

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190561

UNIVERSAL
LIBRARY

كتاب

شعراء النصرانية

بعد الاسلام

القسم الثالث

شعراء الدولة العباسية

تأليف

الاب لويس شيخو اليسوعي

(ظهر تباعاً في مجلة المشرق)

طبع

في مطبعة الآباء اليسوعيين

بيروت

سنة ١٩٢٦

القسم الثالث

مقدمة

قد تعدّد الكتبة النصارى في زمن بني عباس (١٣٢-٦٥٦هـ = ٧٥٠-١٢٥٨م اعني في الخمسة الاجيال التي ثبتت الخلافة في عهدهم في بغداد عاصمة العراق . على ان معظم اولئك الكتبة خدموا الدولة في ما كانت اليه الآداب العربيّة امسّ حاجةً فانقطعوا الى العلوم الفلسفيّة والطبيّة وتهافتوا على درس الآثار القديمة فنقلوا معظم تأليف اليونان وكثيراً من تأليف الرومان والسرّيان الى العربيّة فوسّعوا بذلك نطاق معارف العرب ومهدّوا لهم الطريق الى تلك النهضة الادبيّة التي امتازوا بها في القرون الوسطى

على ان النصارى لم يهملوا مع ذلك درس اللغة العربيّة وفنونها اللسانيّة من نثر وشعر لولا ان كوارث الدهر قد اضاعَت كثيراً منها . وها نحن في هذا الجزء ندوّن ما وجدناه من ذلك متفرّقاً في كتب الادباء وخزائن المخطوطات الدوليّة

١ ابو قابوس الشاعر النصراني

﴿ اصله وجنسُه ﴾ لا نعلم عن اصل ابي قابوس وجنسِه الاّ النذر القليل الذي لا يروي غليلاً . وجدنا في احد مخطوطات مكتبة باريس العموميّة (Ms de Paris, 2107, ff. 41) الذي عنوانه احسن المسالك لاخبار البرامك ليوسف بن محمّد البلوي أنّ ابا قابوس كان اسمه عمرو بن سليمان وابو قابوس كُنية . والقابوس في اللغة الرجل الجميل الوجه الحسن اللون . وبه تكلّى ابو قابوس النعمان بن لمنذر ملك الحيرة . وجاء في مخطوط آخر وهو كتاب الكواكب السنيّة في شرح القصيدة المرقية للادهمي

(Ms de Paris 1534, pp. 100) أَنَّهُ كَانَ حَيْرِيًّا . وَقَدْ تَصَفَّحَ هَذَا النَّسَبَ فِي تَحْفَةِ
 الْمَجَالِسِ لِلْسَيُوطِيِّ (ص ١٧٥) فَسَمَّاهُ أَبَا قَابُوسَ الْحَمِيرِي وَكَانَ يَنْتَسِبُ إِلَى بَنِي شَيْبَانَ
 ﴿زَمَانُهُ وَدِينُهُ﴾ عَاشَ أَبُو قَابُوسَ فِي عَهْدِ هَارُونَ الرَّشِيدِ فِي أَوَاخِرِ الْقَرْنِ الثَّامِنِ
 لِلْمِيلَادِ وَلَمْ يُرَوْا لَمَوْلَدِهِ وَمَوْتِهِ تَارِيخٌ . أَمَّا دِينُهُ فَالنَّصْرَانِيَّةُ لَا شَكَّ فِيهِ كَمَا صَرَّحَ
 كَثِيرُونَ بِالْأَمْرِ مِنْهُمْ ابْنُ الرَّشِيقِ فِي الْعَمْدَةِ (ص ٣٣) قَالَ : « كَانَ أَبُو قَابُوسَ الشَّاعِرَ
 رَجُلًا نَصْرَانِيًّا مِنْ أَهْلِ الْحِيرَةِ » وَكَذَا قَالَ الشَّرِيشِيُّ فِي شَرْحِ مَقَامَاتِ الْحَرِيرِيِّ (١) :
 (٦١) وَأَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ الْبَغْدَادِيُّ فِي تَارِيخِ بَغْدَادٍ فِي مَكْتَبَةِ بَارِيْسِ (Ms, de Paris, 2128, ff. 80) وَغَيْرُهُمْ

﴿أَخْبَارُهُ﴾ كَانَ أَبُو قَابُوسَ شَاعِرًا مَنَقُطَعًا إِلَى الْبَرَامِكَةِ كَالرَّقَاشِيِّ الشَّاعِرِ
 وَاشْجَعَ السُّلَمِيِّ وَجَعَلَتْهُ الْبَرَمِكِيُّ . وَتَقَرَّبَ بِهِمْ إِلَى الْخَلِيفَةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ . وَمِنْ أَخْبَارِهِ
 مَا رَوَاهُ صَاحِبُ تَارِيخِ بَغْدَادٍ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ (ص ٨٣ مِنْ
 نَسْخَةِ بَارِيْسِ) قَالَ : « قَالَ أَبُو قَابُوسَ النَّصْرَانِيُّ : دَخَلْتُ عَلَى جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى فِي يَوْمٍ
 بَارِدٍ فَاصْبَانِي الْبَرْدُ فَقَالَ : يَا غُلَامُ اطْرَحْ عَلَيْهِ كِسَاءً مِنْ أَكْسِيَةِ النَّصَارَى . فطَرَحْتُ عَلَيْهِ
 كِسَاءً مِنْ خَزٍّ قِيَمَتُهُ أَلْفُ دِينَارٍ . (قَالَ) فَانْصَرَفْتُ إِلَى مَنْزِلِي فَارَدْتُ أَنْ أَكْتَسِيَهُ فِي
 يَوْمِ عِيدٍ فَلَمْ أَصِبْ لَهُ فِي مَنْزِلِي ثَوْبًا يَشَاكُلُهُ فَقَالَتْ لِي بُنَيَّةٌ لِي : اكْتُبْ إِلَى الَّذِي
 وَهَبَهُ لَكَ حَتَّى يَرْسِلَ إِلَيْكَ بِنَا يَشَاكُلُهُ مِنَ الثِّيَابِ فَكُتِبَتْ إِلَيْهِ (مِنْ الطَّوِيلِ) :

أَبَا الْفَضْلِ لَوْ أَبْصَرْتَنَا يَوْمَ عِيدِنَا	رَأَيْتَ مُبَاهَاةً لَنَا فِي الْيَسْكِنَائِسِ -
كَانَ ذَاكَ الْمِطْرَفُ الْخَزُّ جُبَّةٌ	لَبَاهَيْتُ أَصْحَابِي بِهَا فِي الْمَجَالِسِ -
جُبَّةٌ مِنْ جَبَابِيكُمْ	وَمِنْ طَيْلَسَانَ مِنْ خِيَارِ الطَّيَالِسِ -
وَهِيَ وَثُوبٌ غِلَالَةٌ	وَلَا بَأْسَ إِنْ أَتَبَعْتَ ذَاكَ بِخَامِسِ -
أَبُ فِي الْعِيدِ خَمْسَةٌ	كَفَتَكَ فَلَمْ تَحْتَجِ إِلَى لُبْسٍ سَادِسِ -
أَفْرَطْتُ فِيمَا سَأَلْتُهُ	وَمَا كُنْتُ لَوْ أَفْرَطْتُ مِنْهُ بَأْسِ -
- لَأَنَّ الشَّعْرَ يَزْدَادُ حَمْدُهُ	إِذَا مَا الْبَيْلَى أَبْلَى جَدِيدَ الْمَلَابِسِ -

قال فبعث اليه جعفر حين قرأ شعره بتخوت خمسة من كل نوع تختاً
وجاء في اخبار البرامك للبلوي وفي شرح مقامات الحريري للشريشي (١: ٦٤)
ان يحيى بن خالد كان اذا وعد انجز وينقذ سريعاً ما وعد . ومن اقواله : من لم يبت
مسروراً بوعده لم يجد للصنيعة مطعماً . فدخل عليه ابو قابوس النصراني فانشده (من
البيط) :

رَأَيْتُ يُحْيِي أَتَمَّ اللَّهِ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ يَأْتِي الَّذِي لَمْ يَأْتِهِ أَحَدُ
يَنْسِي الَّذِي كَانَ مِنْ مَعْرُوفِهِ أَبَدًا إِلَى الرِّجَالِ وَلَا يَنْسِي الَّذِي يَعِدُ

فاجازه يحيى بجائزة سنّية وقضى حوائجه

﴿ديوانه وشعره﴾ لم نجد في مخطوطات المكاتب ولا في كشف الظنون للحاج
خليفة ذكراً لديوان صنفه ابو قابوس الحيري . وانما جاء في فهرست ابن النديم (ص
١٦٣) في باب اخبار العلماء وما صنفوه من الكتب ما حرفه : « ابو قاموس الشيباني
مائة ورقة » يريد ان ديوانه يبلغ مائة ورقة . اما قوله « ابو قاموس » فتصحيف « ابو
قابوس » كما يظهر . ومنه يستدل على انه كان من بني شيبان الذين كانوا يحتلون الحيرة
ومن شعره ما رواه ابو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغانى (٣: ١٢٦-١٢٩)
يذكر مهاجرة ابي قابوس للعتابي وتحامل ابي العتاهية على ابي قابوس قال : لا
هاجى ابو قابوس النصراني كلثوم بن عمرو العتابي جعل ابو العتاهية يشتم ابا قابوس
ويضع منه ويفضل العتابي عليه فبلغه ذلك فقال فيه (مجزؤ الكامل) :

قُلْ لِلْمَكْنِيِّ نَفْسَهُ مَتَخَيَّرًا بَعْتَاهِيَه
وَالْمُرْسَلُ الْكَلِمَ الْقَبِيحَ وَعَتَهُ أُذُنٌ وَاعِيَه
اِنْ كُنْتَ سِرًّا سَوَّيْتَنِي اَوْ كَانَ ذَلِكَ عَلَانِيَه
فَعَلَيْكَ لَعْنَةُ ذِي الْجَلَالِ لَ وَامُّ زَيْدٍ زَانِيَه

يعني ام ابي العتاهية وهي ام زيد بنت زياد فقيل له : اتشتم مسلماً ؟ فقال : لم
اشتبه وانما قلت :

فعليك لعنة ذي الجلا ل ومن عينا زانية

وافضل من ذلك قوله لما اوقع هارون الرشيد بجعفر . قال البغدادي : وما انقضت الايام حتى قُتل جعفر بن يحيى وُصِّلَ عند جسر بغداد فرأوا ابا قابوس تحت جذعه يزرم فآخذهُ صاحب الحرس وادخله على الرشيد فقال له : ما كنت قائلاً تحت جذع جعفر ؟ قال : اتجنّبي منك للصدق ؟ قال : نعم . قال : ترّمتُ والله عليه . ثم انشده يشفع عنده للفضل بن يحيى (من الوافر) :

أَمِينَ اللَّهِ هَبْ فَضْلَ بْنَ يَحْيَى	لنفسك ايها الملكُ الهامُ (١)
وما طَلَبِي اليك العفوَ عنه	وقد قَدَّ الوشاةُ به وقاموا (٢)
أَرَى سَبَبَ الرِّضَى عَنْهُ قَوِيًّا	على الله الزيادةُ والتَّمامُ
نذرتُ عليه فيه صِيَامَ شَهْرٍ	فان تَمَّ الرِّضَى وجب الصيامُ
وهذا جعفرُ بالجسر تمحو	محاسن وجهه ريحُ قَتامُ
اقولُ له وقتُ لديه نصباً	الى ان كاد يفضحني القيامُ :
أما والله لولا خوفُ واشٍ	وعينُ للخليفة لا تنامُ
لَطَفْنَا حَوْلَ جَذْعِكَ واستأمنّا	كما للناس بالحجر استلامُ (٣)
فما شاهدنا قبلك يا ابنَ يحيى	حُساماً فلهُ قبلاً حُسامُ (٤)
عُقَابُ خليفة الرحمان فخرُ	لمن بالسيف عاقبه الحامُ (٥)

(١) ويروى : ائجما الفضلُ الهامُ

(٢) ويروى : وقد قَدَّ الوشاةُ بنا

(٣) ويروى : بالركن استلامُ

(٤) رواه في السُّنْدَةِ :

وما ابصرتُ قبلك يا ابنَ يحيى حُساماً قَدَّه السيفُ الحُسامُ

(٥) ويروى : عاقبه الحامُ . ويروى : اوضعه الحامُ . ويروى : حُساماً حَتَفَهُ السيفُ الحامُ

على الدنيا وساكنها جميعاً لدولة آل برمك السلام

قال ابن الرشيقي في العمدة (ص ٣٣) : وقد اختلط هذا الشعر بشعرين في وزنه ورويه ومعناه أحدهما لاشجع السلمي والآخر لسليان (الاعمى) اخي (مسلم بن الوليد) صريع الغواني فالناس فيه مختلفون وهذه صحته . (قال) فانظر الى تجاسره على مثل هذا الامر العظيم من الشفاعة والثناء .

واردف البغدادي قائلاً : ولما سمع هارون الرشيد هذه الابيات اطرق ملياً ثم قال : رجلٌ اولى جميلاً فنال به جميلاً . يا غلام نادِ بامان ابي قابوس وألاً يُعرَضَ له . ووصى حاجبه ألا يحجبه عنه

هذا ما رواه ابن الرشيقي وابوبكر البغدادي . وقد ذكر في الاغاني (١٥ : ٣٦) اربعة من اواخر ابيات القصيدة الميمية السابقة للرقاشي الفضل بن عبد الصمد الشاعر . وروى عنه انه قال تلك الاشعار عند جذع جعفر وان الرشيد احضره كما مرّ الخبر عن ابي قابوس ثم سأله : وكم كان يُجري عليك ؟ قال : الف دينار في كل سنة . قال : فأتانا قد اضعفناها لك

وقصيدة ابي قابوس مروية ايضاً في كتاب جمهرة الاسلام ذات النثر والنظام من مخطوطات ليدن (Ms Leiden, CCCCXI ff. 107^v) لعبيد الدين ابن الغنائم مسلم ابن محمود الشيرازي أما رواية القصيدة لسليان الاعمى فوردت في المقدم الفريد لابن عبد ربّه (٣ : ٣٢) على الصورة الآتية نذكرها تيمناً للافادة :

هذا الحالون عن شجوي وناموا	وعيني لا يلائمها منام
وما سهري بأني مستهام	إذا سهر المحب المستهام
ولكنّ الحوادث أرقّني	في أرقّ إذا انقطع المنام
فقلت وفي الفؤاد ضرم نار	وللغربات من عيني أنسجام
على المعروف والدنيا جميعاً	ودولة آل برمك السلام
جزعت عليك يا فضل بن يحيى	ومن يزع عليك فلا يلام
هوت بك انجم المعروف فينا	وعزّ بفقدك القوم اللثام
وما ظلم الاله اخاك لكن	قضاء كان سببه اجترام
عقاب خليفة الرحمان فخر	لن بالسيف صبيحه الحلام

عَجِبْتُ لِمَا دَهَا فَضْلَ بْنَ يَحْيَى
جَرَى فِي اللَّيْلِ طَائِرُكُمْ بِنَحْسٍ
وَلَمْ أَرَقُ قَبْلَ قَتْلِكَ يَا ابْنَ يَحْيَى
بِرَّيْنِ الْمَادَنَاتُ لَهُ سِهَامًا
وَأَنَّ الْفَضْلَ بَعْدَ رَدَاءِ مِرَى
فَقُلْ لِلشَّامَتَيْنِ بِهِ جَمِيمًا
أَمِينَ اللَّهُ فِي الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى
أَبَا الْعَبَّاسِ إِنَّ لِكُلِّ هَمٍّ
أَرَى سَبَبَ الرِّضَاءِ لَهُ قَبُولُ
وَقَدْ آلَيْتُ مُنْذَرًا بِنَذِيرِ
بَأَنَّ لَا ذَقْتُ بَعْدَكُمْ مُدَامًا
أَأَلُّهُ بَعْدَكُمْ وَأَقْرَأُ عَيْنًا
وَكَيْفَ يَطِيبُ لِي عَيْشٌ وَفَضْلُ
وَجَعْفَرُ ثَاوِيًا بِالْجِسْرِ بَلَّتْ
أَمْرُهُ بِهِ فَيَغْلِبُنِي بِكَائِي
أَقُولُ وَقْتُ مُنْتَصَبًا لَدَيْهِ
أَمَّا وَاللَّهِ لَوْلَا خَوْفُ وَاشٍ
لَتَسْمَنَارُ كُنْ جِذْعُكَ وَاسْتَلَمْنَا
وَمَا عَجَبِي وَقَدْ غَضِبَ الْإِمَامُ
وَصَبَّحَ جَعْفَرًا مِنْهُ أَصْطَلَامُ
حَسَامًا قَدَّهُ السِّيفُ الْحَسَامُ
فَقَالَتْهُ الْحَوَادِثُ وَالسَّهَامُ
غَدَا وَرَدَاؤُهُ دَالٌ وَلَا مُ
لَكُمْ أَمَّا لَهَا عَامٌ فَعَامُ
رَضِيكُمْ وَالرَّضِيْعُ لَهُ ذِمَامُ
وَأَنْ طَالَ اقْتِرَاضُ وَأَنْصِرَامُ
عَلَى اللَّهِ الزِّيَادَةُ وَالْتِمَامُ
وَلِي فِيمَا نَذَرْتُ بِهِ اعْتِرَامُ
وَمَوْتِي أَنْ يَفَارِقَنِي الْمَدَامُ
عَلَيَّ اللَّهُ بِكُمْ بَعْدَكُمْ حَرَامُ
أَسِيرُ دُونَهُ الْبَلَدُ الشَّامُ
عَاسَنَهُ السَّهَامُ وَالْقَتَامُ
وَلَكِنَّ الْبِكَاءَ لَهُ اِكْتَتَامُ
أَلِي أَنْ سَكَادَ يَفْضَحُنِي الْقِيَامُ
وَعَيْنُ الْخَلِيفَةِ لَا تَنَامُ
كَمَا لِلنَّاسِ بِالْحَجَرِ اسْتِلَامُ

وقد روى في جمهرة الاسلام (f. 63) رثاء آخر لابي قابوس قاله في اخيه سعيد
ويروى هناك ان الاصمعيّ فضله على شعر محمد بن مناذر بل على شعر جرير والفرزدق
والاخطل اوله (من الطويل):

فَمَا أُمُّ سَقْبٍ أَوْدَعَتْهُ قَرَارَةٌ
مِنْ الْأَرْضِ وَأَنَسَاخَتْ لَتَرَوِي وَتَهْجَا
أَلِي أَنْ قَالَ بَعْدَ وَصْفِ حَزْنِ النَّاقَةِ عَلَى حَوَارِهَا بِتِسْعَةِ عَشَرَ بَيْتًا:
بَأَوْجَعَ مَنِي يَا سَعِيدُ تَحْرُقًا
فَلَوْ أَنَّ شَيْئًا فِي لِقَائِكَ مُطْمَعٌ
عَلَيْكَ وَلَكِنْ لَمْ أَجِدْ عَنْكَ مَدْفَعًا
صَبَرْتُ وَلَكِنْ لَا أَرَى فِيهِ مُطْمَعًا

فأقسمُ لا تنفك نفسي شجيرةً
وقد كنتُ ألحي من بكى لمصيبةٍ
وقد قرعتني الحادثاتُ ورثتها
وقد كنتُ مغبوطاً وقد كنتُ مُصعباً
وقد كنتُ لي أنفأ حياً فغالي
فلو أن طوداً من تهمامة ضافه
فيا سيّداً قد كان للحي عصمةً
رُزيتُ به خير الرزايا ولم أجدُ
وأبيضَ وضاح الجين كأنه
قطيع لسان الكلب عن نبح ضيفه
ومجتنباً للقول في غير حينه
يصونُ ببذل المالِ نفساً كريمةً
فتى الخير لم يهجم بفذر ولم يُعب
ولا غاب ألا نأفس القوم بينهم
وما زال حمالاً لكل عزيمةٍ
فتى كان لا يدعو إلى الشر نفسه
ويركبُ صعب الأمر حتى يردهُ
رأته المنايا خيرنا فاختر منه
ومنها :

عليك ووجهي حائل اللون أسفعا
فها أنا ذا قد صرتُ أبكي وأجزعا
بشكلك حتى لم أجدي مفرعا
فاصبحتُ مرجوماً لفقدك أخضعا
بك القدرُ الجاري فأصبحتُ أجدا
من الوجد ما قد ضافني لتضعضعا
ويا جبلاً قد كان للحي مفزعا
له خلفاً في الغابرين فأقنعنا
سنا قمر أوفى مع العشر أربعا
موطأً أكناف الرواق سميدعا
حفاظاً وقولاً اذا قال مضقعا
وعرضاً حمى عن كل سوءٍ ممنعا
بمعجزٍ ولم يمدد إلى الذم إصبعها
ولا آب إلا كان للحي مقنعا
إلى أن قضى من نخبه مذ ترعرا
فإن جاءه الشر امتطاه فأوضعا
على عقبٍ منه ذلولاً موقعاً
وكن بتعجيل الأخير سرعاً

تَرَى النَّاسَ ارْسَالًا إِلَيْهِ كَأَنَّمَا
فَمِنْ صَادِرٍ قَدَّابٍ بِالرِّيِّ حَامِدٍ
وَيَوْمًا تَرَاهُ يُسْحَبُ الْوَشْيَ غَادِيًا
إِذَا نَالَ مِنْ أَقْصَى مَدَى الْمَجْدِ غَايَةً
أَجَلٌ عَنِ الْعُورِ الْهَوَاجِرِ سَمْعُهُ
لَهُ رَاحَةٌ فِيهَا حَبَابٌ لَصْدِيقِهِ
فَمَا فُجِعَ الْأَقْوَامُ مِنْ رُزْنِهَا لَكَ
وَمَنْ طَابَ نَفْسًا عَنْ أَخٍ لَوْدَاعِهِ
فَوَاعِجِبْ لِلْأَرْضِ كَيْفَ تَأَلَّبَتْ
وَيَا بَوَّسَ هَذَا الدَّهْرِ مِنْ ذِي تَلَوْنٍ
هَذَا مَا انْتَخَبْنَا مِنْ هَذَا الرِّثَاءِ وَهُوَ يَبْلُغُ ٩٠ بَيْتًا

٢ اسحق بن حنين

- (صله ودينه) هو ابو يعقوب اسحق بن ابي زيد حنين بن اسحق العبادي .
- كان ابيه حنين من اشهر اطباء عصره واجلهم خدام هارون الرشيد والخلفاء بعده .
- ونقل الى العربية كتباً عديدة من تأليف اليونان . وكان عبادياً والعباد قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا على النصرانية بالخير كما ورد في المعاجم العربية وغيرها .
- والنسبة اليهم عبادي قال الشاعر يصف عبادياً ساقى الحمرة :

يسقيكمها من بني العباد رَشَاءً منتسبٌ عيدهُ الى الِأَحَدِ

- (اخباره) قال ابن العبري في تاريخ الدول (ص ٣٥٢) : «وكان لحنين ولدان داود واسحق فأما اسحق فخدم على الترجمة وتولأها واتقنها واحسن فيها وكانت نفسه أميل الى الفاسفة وأما داود فكان طبيباً للعامة . وقال ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء (١ : ١٨٨) : «كان لحنين ولدان داود واسحق وصنف لهما كتباً طيبة في المبادئ والتعليم ونقل لهما كتباً كثيرة من كتب جالينوس . فأما داود فاني لم اجد له

شهرةً بنفسه بين الأطباء ولا يوجد له من الكتب ما يدل على براعته وعلمه وإن كان الذي يوجد له أنما هو كنّاش واحد . وأمّا اسحق فأثّر واشتهر وتيز في صناعة الطب وله تصانيف كثيرة ونقل من الكتب اليونانية إلى العربية كتباً كثيرة إلا أن جُلّ عنايته كانت مصروفة إلى نقل كتب الحكمة مثل كتب ارسطوطاليس وغيره من الحكماء . وقال جمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء (ص ٨٠) : « وكان اسحق قد خدم من خدم أبوه من الخلفاء والرؤساء وكان منقطعاً إلى القاسم بن عبيد الله (وزير المعتض بالله) وخصيصاً به ومتقدماً عنده يُفشي إليه أسرارته » . وقال ابن أبي أصيبعة (١ : ٢٠١) ولحق اسحق في آخر عمره الفاليج وبه مات وتوفي ببغداد في أيام المقتدر بالله وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ٢٩٨ (٩١٠-٩١١ م)

﴿آدابه وشعره﴾ قال ابن النديم في الفهرست (ص ٢٨٥) : « كان اسحق في نجار أبيه في الفضل وصحة النقل من اللغة اليونانية والسريانية وكان فصيحاً بالعربية يزيد على أبيه في ذلك . . . وله من الكتب سوى ما نقل من الكتب القديمة كتاب الادوية المفردة على الحروف . كتاب كنّاش الحف . وكتاب تاريخ الأطباء » . وقال ابن أبي أصيبعة (١ : ٢٠٠-٢٠١) « ولاسحق حكايات وأشعار مستظرفة وفوارد » . ورد هذا في نسخة برلين (Ms de Wetzstein, 323, fol. 182^v) . وذكر من كلامه قوله « قليل الراح صديق الروح وكثيرها عدو الجسم » . ثم قال : « ومن شعره يذكر كبار الأطباء ويفتخر بالطبابة (من الطويل) :

انا ابن الذين استودع الطب فيهم	وسمي به طفل وكهل ويافع
يُصِرُّني ارسطاليس بارعاً	يقوم مني منطق لا يدافع
وبشرط في تفصيل ما أثبت الألى	لنا الضرر والاسقام طب مضارع
وما زال جالينوس يشفي صدورنا	لما اختلفت فيه علينا الطبائع
ويحيي بن ماسويه وأهرن قبله	لهم كتب للناس فيها منافع
رأى أنه في الطب نيلت فلم يكن	لنا راحة من حفظها واصابع

(قال) ونقلتُ من خطِّ ابنِ بطلانٍ في رسالتهِ المعروفةِ بدعوةِ الاطباءِ انَّ القاسمَ ابنَ عُبيدِ اللهِ وزيرَ المعتضدِ بلغه انَّ ابا يعقوبَ اسحقَ قد شربَ دواءً مُسهلاً فأحَبَّ مداعبتهُ وكانَ صديقاً لَهُ فكتبَ اليه (من الهزج) :

أَيْنَ لي كيفَ أُمِيتَ وكمَ كانَ منَ الحالِ
وكمَ سارتَ بكِ النافِسةُ نحوَ المنزلِ الحاليِ

فكتبَ اليه اسحقُ بنُ حنينٍ (الهزج) :

بِخَيْرٍ كُنْتُ مُسْرُوراً رُخِيَّ الحَالِ والبَالِ
فَأَمَّا السَّيْرُ والنَّاقِسةُ وَالْمُرْتَبِعُ الحَالِي
فَإِجْلَالُكَ أَنَسَانِيهِ يَا غَايَةَ آمَالِي

ثمَّ ذَكَرَ لَهُ تَأْلِيْفَ غَيْرِ السَّابِقَةِ مِنْهَا كِتَابَ فِيهِ ابْتِدَاءُ صِنَاعَةِ الطَّبِّ وَأَسْمَاءُ جَمَاعَةِ مِنَ الْحُكَمَاءِ وَالْأَطْبَاءِ . وَكِتَابَ الْأَدْوِيَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي كُلِّ مَكَانٍ . وَكِتَابَ إِصْلَاحِ الْأَدْوِيَةِ الْمُسَهَّلَةِ وَاخْتِصَارِ كِتَابِ أَقْلِيدِسَ وَكِتَابِ الْقَوْلَاتِ وَكِتَابِ إِيسَاغُوجِيٍّ وَهُوَ الْمُدْخَلُ إِلَى صِنَاعَةِ الْمُنْطَقِ وَإِصْلَاحِ جَوَامِعِ الْأَسْكَندَرَانِيَيْنِ وَشَرْحِ جَالِينُوسَ لِكِتَابِ الْفُصُولِ لِأَبُقِرَّاطٍ وَمَقَالَةٍ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَقْصِدُ الصَّحَّةَ وَالْحِفْظَ وَيَنْعَمُ مِنَ النِّسْيَانِ أَنَّهَا لِعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ جَعْفَرٍ وَكِتَابِ الْأَدْوِيَةِ الْمَفْرُودَةِ وَمَخْتَصَرِ كِتَابِ صِنْعَةِ الْعِلَاجِ بِالْحَدِيدِ وَكِتَابِ آدَابِ الْفَلَسَفَةِ وَمَقَالَةٍ فِي التَّوْحِيدِ

٣ سعيد التستري النصراني

﴿نَسَبُهُ وَآخِبَارُهُ﴾ اسْمُهُ أَبُو الْحَسَنِ (وَيُرْوَى : أَبُو الْحُسَيْنِ) سَعِيدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التَّسْتَرِيِّ نَسَبُهُ إِلَى تَسْتَرٍ أَوْ شَوْشْتَرٍ مِنْ مَدَنِ خُوزِسْتَانَ فِي الْعِجَمِ . وَرَدَّ ذِكْرُهُ فِي الْفَهْرَسْتِ لِأَبِي الْفَرَجِ بْنِ النَّدِيمِ (ص ١٣٤) قَالَ : « ابْنُ التَّسْتَرِيِّ . . . وَيَكْنَى أَبُو الْحُسَيْنِ كَانَ نَصْرَانِيًّا . قَرِيبَ الْعَهْدِ مِنْ صَنَائِعِ بَنِي الْفَرَاتِ وَهُوَ وَابُوهُ يَلْزَمُ السَّجْعَ فِي مَكَاتِبَاتِهِ » . وَنَقَلَ الصَّفْدِيُّ هَذَا الْوَصْفَ فِي وَافِي الْوُفَايَاتِ (Ms. de Paris, 706, fol. 130^r) وَرَوَى

عن ياقوت « انه كان يكتب علي بن محمد بن الفرات ، وزير المقتدر بالله . واخبر هلال الصابي في تاريخ الوزراء (ص ٣٣ ، éd. Amédroz) انه لما أوقف الخليفة المقتدر سنة ٣٠٦ هـ (٩١٨ م) ابا الحسن علي بن الفرات قبض على التستري مع مولاه واعتقل عند نصر الحاجب . ثم أفرج عنه وعاد مع ابي الفرات الى ديوان الكتابة ثم اعتقل كلاهما ثانية سنة ٣١٢ هـ (٩٢٢ م) بعد وزارة ابن الفرات الثانية . وقد ذكره الصابي في تاريخه (ص ٢٤٠) في جملة من كان يضر مائدة الوزير ابن الفرات وما كان يجري فيها من العادات اللطيفة والآداب الشريفة في اكلهم وشربهم واصناف طعامهم وتأثقتهم في مجالس الانس

﴿ أدبه وشعره ﴾ قال ابن النديم (ص ١٣٤) : « والتستري من الكتب كتاب المقصور والمدود على حروف المعجم وكتاب المذكر والمؤنث على ذلك الترتيب . وكتاب الرسائل في الفتوح على هذا الترتيب ورسائل مجموعة في كل فن » . وقد نقل الصفدي قوله هذا بالحرف عن ياقوت ثم اورد له مقاطيع شعرية كما يلي . قال يحض المرء على تسرية الهم عن نفسه (من السريع) :

ما لك قد هيمك الهم وضل منك الحزم والفهم
لو دمت ان يبقى الأذى ما بقي لا فرح دام ولا غم

قال الصفدي : قلت : مثله قول القائل :

لا تسأل الدهر في ضراء يكشفها فلو سألت دوام البؤس لم يدم

ثم اورد له في الغزل (من المقتضب) (١) :

قلت : زوري . فأرسلت : أنا آتيك سحره

قلت : بالليل كان أخفى وأدنى مسره

فاجابت بحجة زادت القلب حسره :

(١) هذه الايات وما يليها في نسخة خطية من مكتبتنا الشرقية فيها شرح شواهد التنصيص

انا شمسُ وَاَنَا تَطْلَعُ الشَّمْسُ بُكْرَه

بكورة اي غدوة . وروى ابو الحسن احمد بن علي البتي الكاتب عن ابيه قال :
كنا عند ابي الحسين سعيد بن ابراهيم كاتب ابن الفرات ففتت ستارته (من الخفيف) :

وَعَدَ الْبَدْرُ بِالزَّيَارَةِ لَيْلًا فَاذَا مَا وَفَى قَضِيْتُ نُدُورِي
قُلْتُ : يَا سَيِّدِي لَمْ تُؤَثِّرْ اللَّيْلَ عَلَى بَهْجَةِ النَّهَارِ الْمُنِيرِ
قَالَ لِي : لَا أَحْبُ تَغْيِيرَ رَسْمِي هَكَذَا الرَّسْمُ فِي طُلُوعِ الْبَدْرِ

فاختلفت الجماعة لمن هذا الشعر . فقال بعضهم للناجم . وقال قوم للعباس وذكروا
جماعة فقال سعيد : هو لي . ثم انشدنا (من الخفيف) :

قُلْتُ لِلْبَدْرِ حِينَ أَتَيْتَ : زُرْنِي وَأَشْمَتِ الْهَجَرَ بِالْقَلْبِ وَالتَّجَافِي
قَالَ : أَنِّي مَعَ الْعِشَاءِ سَأَتِي فَاَنْتَظِرْنِي وَلَا تَخَفْ مِنْ خِلَافِي
قُلْتُ : يَا سَيِّدِي فَأَلَّا نَهَارًا فَهُوَ أَذْنَى لِقُرْبَةِ الْاِنْتِلَافِ
قَالَ : لَا اسْتَطِيعُ تَغْيِيرَ رَسْمِي أَنَا الْبَدْرُ فِي الظَّلَامِ يُوَافِي

(قال) وكنت نقلت الابيات عن نسخة صحيحة مقابلة وارى الصواب في البيت

الاول

‘وَأَشْمَتِ الْوَصْلَ بِالْقَلْبِ وَالتَّجَافِي‘

وقد جمع المعنيين ابو العلاء المعري في قوله :

هي قالت لما رأت شيبَ رأسي وإرادت تشكراً وازوراراً :
انا بدرت وقد بدا الصبحُ من شينسبك والصبحُ يطردُ الافارا
قلت : لابل اراك في الحسن شمساً لا تمرى في الدجى وتبدو نخارا

٤ أبو الحسن بن غسان

﴿اسمه ودينه﴾ قال جمال الدين ابن القفطي في تاريخ الحكماء (ص ٤٠٢) انه أبو الحسن (ويُروى الحسين) الطبيب البصري. ودعاه ابن بطلان في كتاب دعوة الأطباء (ص ٩٠) بابي غسان. وجاء ذكره في تاريخ فطارة كرسى المشرق من كتاب المجدل (ص ٩٦) (éd. Gismondi) فكناه بابي علي بن غسان وروى هناك نصرانيته وما انفقته على نجاز بناء دير مار فثيون في بغداد وذلك سنة ٣٤٣ هـ (٩٥٣ م). فتبين من ذلك انه كان نصرانياً كلدانياً من النساطرة

﴿اخباره﴾ قال ابن القفطي (ص ٤٠٢) : « هذا رجلٌ طيب من اهل البصرة يعلم الطب. يشارك في علوم الاوائل وخدم بصناعته ملوك بني بويه وعلى الخصوص عضد الدولة فتأخسرو. » وفتأخسرو هذا هو المعروف بابي شجاع من الملوك البويهيين وممدوح الشاعر المتني توفي في ٨ شوال سنة ٣٧٢ (٩٨٢ م). وقال عنه ابن ماري في المجدل (ص ٩٦) انه كان « كاتباً لركن الدولة » وركن الدولة هو ابو عضد الدولة كان تولى أولاً على اصبهان ثم خلف اياه في تدبير الدولة في بغداد بعد اخيه مؤيد الدولة توفي سنة ٣٦٦ (٩٧٦ م)

﴿أدبه وشعره﴾ قال جمال الدين القفطي (ص ٤٠٢) : « وكان لابي الحسن هذا ادبٌ متوفرٌ وشعرٌ حسنٌ فمما قاله لعضد الدولة عند مسيره الى بغداد (من المتقارب) :

يسوسُ الممالكَ رأيُ المَلِكِ ويحفظها السَّيِّدُ المحتَكِ

فيا عضدَ الدولةِ أنْهَضْ لها فقد ضِيعَت بين شَشٍّ وِيَكِ

شَشٍّ وِيَكِ عددان فارسِيَّان معنهما في لعب الترد (الطاولة) ستَّة وواحد . قال ابن القفطي : « وذلك لأن عز الدولة بجختيار الذي اخذ عضد الدولة الامر منه كان لهجاً بلعب الترد ». قال : ومن شعر ابي الحسن ايضاً في بجختيار الذي اخرجهُ عضد الدولة عن العراق يهجوهُ ويستَهْجَن عزمَهُ ويستضعفه :

اقام على الاهواز سبعين ليلةً يدبّر امر المَلِكِ حتّى تدبّرنا

يَدْبِرُ امْرَأً كَانَ أَوَّلُهُ عَمَى وَأَوْسَطُهُ بَلَوَى وَآخِرُهُ خَرَا
ومأ ورد لابن غسان في كتاب دعوة الاطباء وهو يدعوهُ هناك باني حسان بن
غسان (ص ٩٠) قوله في احكام الدهر والموت (من الخفيف) :

حُكْمُ كَأْسِ الْمُنُونِ أَنْ يَتَسَاوَى فِي احْتِسَاها الْغَيُّْ وَالْأَلْمِيُّ
وَيَحُلُّ الْبَلِيدُ تَحْتَ ثَرَى الْأَرْضِ كَمَا حَلَّ تَحْتَهَا الْمَوْذَعِيُّ
اصْبَحَا رُمَّةً تَرَايِلَ عَنْهَا فَعَلَهَا الْجَوْهَرِيُّ وَالْعَرَضِيُّ
وَتَلَاشَى كَيَانُهَا الْحَيَوَانِي وَتَوَارَى تَقْدِيمُهَا الْمُنْطَقِيُّ

٥ الموصلي النصراني

هكذا رواه البيهقي في كتاب المعاسن والمساوي (ص ٦٩-٧٠. éd.)
(Schwally) ولم يزدنا علماً . وهو كما يظهر من شعراء اواخر القرن الثالث واوائل
الرابع للهجرة لان البيهقي الذي ذكره عاش في ذلك العهد ثم ذكر له ابیاتاً في مديح
بني هاشم (من الطويل) :

عَدِي وَنُعَيْمٌ لَا أُحَاوِلُ ذِكْرَهُمْ بِسَوْءٍ وَلَكِنِّي مَحَبٌّ لَهَاشِمٍ
وَهَلْ تَأْخُذْنِي فِي عَلِيٍّ وَحُبِّهِ إِذَا لَمْ أَعِثْ يَوْمًا مَلَامَةً لَا نَمٍ
يَقُولُونَ . مَا بَالُ النَّصَارَى تُحِبُّهُ وَاهْلُ الثَّقَى مِنْ مُعَرَّبٍ وَأَعَاجِمٍ
فَقُلْتُ : لَهُمْ أَنِي لَا حَسْبُ حُبِّهِ طَوَاهُ إِلَهِي فِي قُلُوبِ الْبَهَائِمِ

٦ يحيى بن عدي

﴿نسبه وزمانه ودينه﴾ قال ابن النديم في الفهرست (ص ٢٦٤) وجمال الدين

القفطي في تاريخ الحكماء (ص ٣٦١ وابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء (١ : ٢٣٥)

هو ابو زكريا يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا المنطقي نزيل بغداد واليه انتهت الرئاسة ومعرفة العلوم الحكمية في زمانه . قرأ على ابي بشر بن متى بن يونس (الفيلسوف النصراني) وعلى ابي نصر الفارابي وعلى جماعة في وقتهم وكان نصرانياً يعقوب النحلة . قال جمال الدين القفطي (ص ٣٦٣ - ٣٦٤) :

« مات الشيخ ابو زكريا يحيى بن عدي الفيلسوف يوم الخميس لتسع بقين من ذي القعدة سنة ٣٦٤ هـ وهو لثلاث عشرة من آب سنة ١٢٨٥ للمسكندر (٩٧٥ م) ودُفن في بعة القطيمة ببغداد وكان عمره ٨١ سنة شمسية ورأيت في بعض التعاليق بخط من يعنى بهذا الشأن : وفاته كانت في اليوم المقدم ذكره من الشهر المقدم ذكره من السنة ٣٦٣ (٩٧٤ م) »

﴿ اخباره وآدابه وشعره ﴾ قال ابن ابي اصيبعة : « كان يحيى جيد المعرفة بالنقل وقد نقل من اللغة السريانية الى اللغة العربية وكان كثير الكتابة ووجدت بخطه عدة كتب . وقال القفطي : « كان ملازماً للنسخ بيده كتب الكثير من كل فن وكان يكتب خطأ قاعداً بيتاً . قال ابن النديم : « وعاتبته على كثرة نسخه فقال لي : من اي شيء تعجب في هذا الوقت أمن صبري ؟ وقد نسخت بخطي نسختين من التفسير للطبري وحملتها الى ملوك الاطراف . وقد كتبت من كتب المتكلمين ما لا يحصى . لعهدي بنفسى وانا اكتب في اليوم والليلة مائة ورقة واقل . » ثم عدده لجمال الدين القفطي كتباً كثيرة ألّفها في المنطق وابواب الفلسفة او عربها عن ارسطاطاليس وغيره من اليونان . وله عدة فصول حسنة في الدفاع عن العقائد النصرانية وتفنيد من تعرض لها وقد نشرنا شيئاً من ذلك في المشرق سابقاً (١)

وقد وقفنا على فصل كتبه عن يحيى شهاب الدين العمري صاحب مسالك الابصار (نسخة المكتبة الحديوية ص ٣٣٦ - ٣٣٧) قال في باب طبقات الاطباء :

« ومنهم يحيى بن عدي ابو زكريا المنطقي حكيم علمه والودق شيان ، وقلمه والبرق سيان ، كان اول حاله علماً في ملتى ، ومليماً لاهل قباته ، وعرف بالمنطق مع انه بعض علومه ، ومن جملة ما دخل من المخاصص في عموميه ، وأضاءت له من الادب لمع نجمت فضائله ، ونمت هلاله والبدور الكوامل متضائله . »

(١) اطلب ما نشره حضرة الكاهن اوغست بيريه (Aug. Périer) من ترجمة يحيى وتأليفه

وليحي بن عدي شعر قليل منه قوله في من يرد اعتقاد اسرار الدين لعدم فهمها
(Paris, Ms 101, f 45^r) (من البسيط) :

أَفَعَمْتَ فَحَصَّ المعاني عن حقائقها فلم يبين لك اذ لم تحسن النظر
فالشمس تخفى على من ليس ذا بصرٍ وليس تخفى على من أعطى البصراً

وحدث الآمدي ابو الحسين انه سمع من ابي علي بن زرعة تلميذه يقول : ان ابا
زكريا يحيى بن عدي وصى اليه ان يكتب على قبره حين حضرته الوفاة وهو في بيعة
توما بقطيعة الدقيق هذين البيتين (من الخفيف) :

رُبَّ مَيِّتٍ قد صار بالعلم حياً ومُبَقَّى قد مات جهلاً وعياً
فاقتنوا العلم كي تنالوا خلوداً لا تعدُّوا الحياة في الجهل شيئاً

٧ ابو تمام الطائي

﴿توطئة﴾ قوانا في آخر عدد من المقتطف (اغسطس ١٩٢٥ ص ٣٣٤) ما
نحُّه :

«عندنا نسخة الدكتور فان ديك في شرح التبريزي للحماسة وعليها بخط الدكتور ان ابا
تمام كان نصرانياً . فن ابن ابي الدكتور فان ديك بذلك والمتعارف ان ابا ابي تمام كان نصرانياً»

فاجبتنا ان نفرّد هنا فضلاً لهذا الشاعر في كلامنا عن شعراء النصرانية في عهد
الدولة العباسية . فننظر ما في مدعى الدكتور فان ديك من الصحة

﴿نسب ابي تمام﴾ هو حبيب بن اوس الطائي ينتهي نسبه الى ابي القبيلة الغوث
ابن طيٍّ ومنه الى يعرب بن قحطان . يُكنى بابي تمام وابنه ورد ذكره في تعريف
بعض امور ابيه في الاغاني وغيره . ولد حبيب في جاسم وهي على ما قال المسعودي
في مروج الذهبية (٧ : ١٤٧) «قرية من اعمال دمشق بين بلاد الاردن ودمشق
بموضع يعرف بالحوّلان (بالجولان) على اميال من الجابية وبلاد نوا (كذا) وهي
مراعي أيوب عم» . اما صاحب الاغاني فقال (١٥ : ١٠٠) : «هو من نفس طيٍّ صليبة

مولدهُ ومنشأهُ بناحية منبج (كذا) بقرية منها يقال لها جاسمٌ» وكان مولدهُ على قول تمام ابنه سنة ١٨٨ هـ (٨٠٤ م) ووفاته سنة ٢٣١ (٨٤٥ م) أما الشائع بين الكتبة والمؤرخين كنفطويه والطبري وابن الاثير ان وفاته كانت في الموصل وقعت سنة ٢٢٨ (٨٤٢-٨٤٣ م). وروى ابن خلكان في وفات الاعيان (١: ١٥٠) عن ابي القاسم الآمدي في الموازنة قوله: «والذي عند اكثر الناس في نسب ابي تمام ان اباه كان نصرانياً من اهل جاسم قرية من قرى دمشق يقال له تدوس (واهلها تدأوس او تدُرس) العطار فجعلوه أوساً وقد لُفقت له نسبة الى طي». لكن ابن خلكان لم يصدق على قول الآمدي ولم يذكر نسبته الى طي وإنما نقل قول الصولي: «قال قوم ان ابا تمام هو حبيب بن تدوس النصراني فغير فصار أوساً» ثم روى عن ابيه انه كان حماراً بدمشق»

﴿خلاصة اخبار ابي تمام﴾ قال الانباري في طبقات الادباء (ص ٢١٣): «ابو تمام شامي الاصل» وروى ابن خلكان ١: ١٥٣: «انه كان يخدم حاكماً ويعمل عنده بدمشق». قال: «ونشأ بمصر قيل انه كان يسقي الماء في جامع مصر» وزاد الانباري: «وجالس الادباء فاخذ عنهم وتعلم وكان فطناً فهماً وكان يحب الشعر فلم يزل يعانيه حتى قال الشعر وأجاده وسار شعره وشاع ذكره». وقد تنقل ابو تمام في أنحاء الشام وسكن مدة خمس فلم يحمد اهلها (اطلب ديوانه ص ٢٣٨ طبعة محي الدين الحياط) ورحل الى العراق: قال الانباري (ص ٢١٤): «وبلغ الخليفة المعتصم خبره فحمله اليه فعمل فيه ابو تمام قصائد عدة واجازته المعتصم وقدمه على شعراء وقته». ولما سكن في بغداد جالس فيها الادباء وعاشر العلماء وكان موصوفاً بالظرف وحسن الاخلاق وكرم النفس ثم مدح الخليفة هارون الواثق خلف المعتصم وسافر في اوّل أيامه الى سامراء ورحل الى خراسان وارمينية والجزيرة فمدح كبار عمال الدولة واعيانها كالك بك بن طوق التغلبي وابي داف واحمد بن ابي دؤاد وعبدالله بن طاهر وخالد ابن يزيد بن مزيد والوزيران محمد بن الزيات والحسن بن وهب. فعني به الحسن وولاه بريد الموصل فاقام بها اقل من سنتين ومات ولم يتفقوا على سنة وفاته قال البحرى: «وبنى عليه ابو نهشل بن حميد الطوسي قبة». (قلت) ورأيت قبره بالموصل خارج باب الميدان على حافة الخندق والعامّة تقول: هذا قبر ابي تمام الشاعر» (رواه

ابن خلكان

﴿دين ابي تمام﴾ رأيت ان الدكتور فان ديك أعلن في نسخة من حماسة ابي تمام ان «أبا تمام كان نصرانياً» وفي قوله هذا نظر:

﴿أولاً﴾ اتفق من ذكر والد ابي تمام كالصولي والآمدي انه كان نصرانياً فلا بُدَّ ان ابنته حبيباً ولد ونشأ على دينه ومن هذا القبيل يجوز القول ان أبا تمام كان نصرانياً

﴿ثانياً﴾ لنا في اسمه حبيب وهو من الاسامي الشائعة بين النصارى النادرة بين المسلمين ما يدل على نصرانيته

﴿ثالثاً﴾ وليس في نسبه الى طي ما ينفي نصرانيته فقد اثبتنا في كتابنا النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية (ص ١٢١-١٢٢ و ١٣٢-١٣٣ و ٤٥٦-٤٥٧) شيوع النصرانية في قبيلة طي وثبات قسم كبير من بطونها على نصرانيتهم حتى بعد الاسلام بزمان طويل

﴿رابعاً﴾ وفي مزاويله في حديثه الحياكة والسقاية ما يدل على خموله بسبب دينه

﴿خامساً﴾ ثم ليس لنا كلام صريح لاحد رواية ترجمته ما يدل على جحوده دينه النصراني

هذا ما يحملنا على القول بنصرانية ابي تمام. على ان في ديوانه عددة ابيات تشعر بانه يدين بالاسلام فحينئذ يحلف بالبيت الحرام ويقول انه حج الى حينا آخرى كربي العرب ودين الاسلام كانها نبه ودينه واذا ذكر الروم نبذهم بالشرك والكفر ويعظم القرآن. وهذا كله لما ثبت اسلامه.

فلا ترى تطبيقاً بين الامرين إلا ان نقول انه لما اصاب حظوة عند الخلفاء وعند وجوه الامراء وكبار الدولة عدل عن دينه الى الاسلام مجاملة او طمعاً بحطام الدنيا. وليس قولنا هذه حذساً وقد اخذ العجب جناب خليل مردم بك في كتابه الحديث «شعراء الشام في القرن الثالث» (ص ٣٥-٣٧) حيث قابل بين مديح ابي تمام للخلفاء من اهل السنة واطرائه للشيعة العلوية وانتصاره لحقوقها في الخلافة فرأى تناقضاً بيناً نسبة الى اختلاف الزمان

أما المسعودي في مروج الذهب فنسب أبا تمام إلى المجنون وقلة الدين قال (٧):

(١٥١):

«وكان (اي أبو تمام) ماجناً خليعاً في بعض احواله وربما اذاهُ ذلك الى ترك موجبات فرضه فاجبناً لا اعتقاداً (١)»

ثم روى لبعض الثقات عن المبرد النحوي نقلاً عن الحسن بن رجاء قال :
« صار اليّ أبو تمام وانا بفارس فاقام عندي مقاماً طويلاً ونُسيّ اليّ من غير وجه انه لا يصلي . فوكلت به من يراعيه ويتفقدّه في اوقات الصلوات فوجدت الامر على ما اتّصل بي فعاتبته على فعله . فكان من جوابه أن قال : أتراني انشطُ للشخوص اليك من مدينة السلام واتجشّم هذه الطرقات الشاقّة واكسلُ عن هذه الرّكعات لا مؤونة عليّ فيها لو كنت اعلم أنّ ابن صلاًها ثواباً وعلى من تركها عقاباً ؟ (قال) وهمتُ والله بقتله ثم تخوّفت ان يُصرّف الامر الى غير جهة . قال المبرد : وهو مع هذا يقول :
وأحسّ الانام أن يقضيّ الدين م امرؤ كان للإله غريباً
وهذا قولٌ مبين لهذا الفعل »

فترى أنّ اسلام أبي تمام كان سطحياً ليس فاجبناً فقط كما قال المسعودي بل اعتقاداً ايضاً فذكرناه هنا - بين شعراء النصرانية ليس افتخاراً بدينه بل بياناً لحقيقة تاريخيّة . ثم أنّ في شعره ابياتاً تنبيّ بمعرفته لعادات النصارى كقوله في هرب توفيل زعيم الروم (الديوان ٣٣ : ٢) :

جفا الشرقَ حتى ظنّ من كان جاهلاً بدين النصارى ان قبلته الغربُ

﴿مترائيه بين شعراء عصره﴾ لا نطيل الكلام في هذا الموضوع بعد ان طرقه قبلنا انمّة الكتاب وخصوصاً ابو الفرج الاصبهاني في الاغاني (١٥ : ٩٩ - ١٠٨) فاعتبر ابا تمام «كأمير الشعراء وخاتمهم من لا يشقّ الطاعنون عليه غباره ولا يدركون وان جدّوا آثاره» وذكر قول الحسن بن وهب يرثيه :

فُجع القريضُ بخاتم الشعراء وغدير روضتها حبيب الطائي
ماتا ممّا وتجاوزا في حفرة وكذاك كانا قبلُ في الاحياء

ورثاهُ محمّد بن عبد الملك الرّيات وهو حينئذ وزير فقال :

نبأني أنّي من اعظم الانباء لما أتمّ مُقتل الأَحشاء
قالوا حبيبٌ قد نوى فأجبتهم ناشدكم لا تَجملوه الطائي

ولا نشاء ان زوي شيئاً من شعره وديوانه في ايدي الجميع وقد تكرر طبعه .
 فطبع أولاً في مصر سنة ١٢٩٢ هـ طبعة سقيمة بلا شكل وبشروح قليلة على الهامش .
 ثم عني بطبعه في بيروت الاديب شاهين عطيه اللبناني سنة ١٨٨٩ ثم كُرّر طبعه محمد
 جمال مع شروح لمحيي الدين الحياط . وهاتان الطبعتان مع فضلها على الطبعة المصرية
 إلا انها قاصرتان عن كل ما يطلبه العلماء من الضبط بالشكل الكامل وتعريف
 النسخ المتقول عنها الديوان وشرح المعاني وبيان ظروف القصائد واثبات الروايات
 المختلفة وجمع ما جاء متفرقاً من شعر ابي تمام في كتب الادباء . فانك ترى مثلاً في ما
 رواه ابو الفرج الاصفهاني في الاغانى عدة مقاطيع من شعر ابي تمام لم تُرو في الديوان .
 وكذلك هناك وفي الكامل للمبرد وغيرهما قطع أخرى فيها روايات مخالفة لروايات
 الدواوين المطبوعة وبعضها افضل من المطبوع . فيا ليت احداً من ادبائنا يسد هذه
 الثُلم ويستفيد من ملحوظات ابي القاسم محمد الآمدي في الموازنة بين ابي تمام
 والبحثري فيعني بطبعة جديدة وافية الشروط لذلك الديوان الفريد والاثر الجليل

٨ ثابت بن هارون

نسبه واخباره وشعره * هو ابو نصر ثابت بن هارون النصراني الرقي
 العراقي . قال ابو الحسن علي الباخرزي المتوفى سنة ٤٦٧ هـ (١٠٧٤ م) في كتابه دمية
 القصر وعصرة اهل العصر (Flügel, Ms de Vienne, I, 367, f. 46-47) (١):
 "ومن شعراء العراق ابو نصر ثابت بن هارون الكاتب النصراني" . وعرف زهانه
 بما كتبه في اواسط القرن الرابع للهجرة والعاشر للمسيح ولم يذكر شيئاً من اخباره
 ثم قال: ومن شعره قوله في من يحجب بابه (من الوافر):

على رُبْعٍ يحقُّ به الحجابُ ويُغلقُ منه دونَ الخيرِ بابُ (٢)
 سَاهُجُ كُلِّ بابٍ رُدُّ دُونِي اذا ما ازورَّ او خشي الحجابُ

ثم ذكر لثابت الرقي رثاء قاله في المتنبي الشاعر (المتوفى سنة ٣٥٤ هـ ٩٦٥ م) ثم قال: «وهذا مما شدد عن الثعالبي (١) وذهب عنه شعره». وإذا كان المتنبي في طبقات يتيمة من العصرين فالذي بعده ممن يهدي المراثية اليه وينوح مع ورق الحمام عليه أولى بان يُعدّ من الطبقة. وقد عرض عليّ ابنُ الشيخ أبي الحسن علي بن يحيى الكاتب في ديوان الحضرة «ديوان المتنبي» محلى الظهر بتوقيعين له خطهما بيمينه واثبت بها أسماع هذا الفاضل اشعاره منه مرتين فرنيت وعرض مجموعها على سمعه كرتين. وجرى بعد حصوله تحت كلاكل الأجل المتاح، وتصديقه قوله في ترك مهجته سائلة على كل الارماح، على قضية كرم العقل واستئثار الامير عضد الدولة على فاتك وبني اسد». وهذا رثاؤه المتنبي (من الكامل):

الدهرُ أَخْبَثُ (٢) والليالي أَنَكِدُ	من ان تعيشَ لأهلها يا احمدُ
ذُقتَ الكريهةَ بغتةً وفقدتها	وكريةَ فُقدِكَ في الوردى لا يُفقدُ
قل لي ان اسطعتَ الكلام (٣) فإني	صَبُّ الفؤادِ الى خطابك مُكَمَدُ
أتركتَ بعدك شاعراً والله لا	لم يبقَ بعدك في الوردى مَنْ يُنشدُ
ما كان تاركك الزمانُ لاهله	ان الزمان على الغريبة يحسدُ
قصدتُك لما أن رأتك نفيسها	بُخْلًا بمثلِكَ والنفايسُ تُقصدُ
غدرَ الزمان به فجارَ ولم تزل	ايدي الزمان بياسه تسبجدُ
لقي الخطوبَ فبذها (٤) حتى جرى	غلطُ القضاء عليه وهو تعمُدُ

وقال يستثير فيها ابا شجاع عضد الدولة على فاتك وبني اسد :

صه (٥) يا بني اسدِ فلستُ بنجدةٍ آثرتُ فيه بل القضاء يُقيدُ

(١) يريد ان الثعالبي سها عن ذكر ثابت بن هارون فلم ينظمه في جملة الشعراء في كتابه

يتيمة الدهر

(٣) ويروى: الخطاب. ويروى: الجواب

(٢) ويروى: الدهرُ أَنَكى

(٥) ويروى: مه

(٤) ويروى: وبذها

يا ايها الملك المؤيد دعوة ممن حشاه بالآسى تتوقد
 هذي بني اسد بضيفك اوقعت وحت عطائك اذ حواه الفرقد
 وله عليك بقصده يا ذا العلا حق التجرم والذمام الأوكد
 فارع الذمام وكن لضيفك طالبا ان الذمام على الكريم مؤيد
 وأرع الحقوق لقصده وقصيده عضد الملوك فليس غيرك يقصد
 واذا المكارم والمحامد أسندت فالى الامير ابى شجاع تسند

٩ بشر بن هارون

﴿ اصله ودينه واخباره ﴾ هو ابو نصر بشر بن هارون النصراني العراقي . وهو كما يلوح لنا من قرابة ثابت بن هارون السابق ذكره . وكان لبشر اخوان ابراهيم وجابر ذكرهما الطبري في تاريخه (٣ : ١٥١١ و ١٥٢٤) وقال هناك بشر وابراهيم كانا كاتبين لمحمد بن عبدالله بن طاهر الامير والي العراق من قبل المتوكل . واخبر انه في السنة ٢٤٩ (٨٦٣ م) شعب الجند والساكبة في بغداد وانتهبوا الدواوين وقطعوا الدفاتر فالتقوها في الماء وانتهبوا دار بشر وابراهيم ابني هارون النصرانيين كاتبي محمد بن عبدالله وذلك كله في الجانب الشرقي من بغداد . ثم ذكر جابراً اخاهما وقال عنه ان محمد بن عبدالله وجهه الى طبرستان لبعض اموره .

قال الصفدي في الوافي بالوفيات (Ms de Paris, 706, fol. 130.) : كان ابو نصر بشر بن هارون النصراني كثير الهجو للوزراء والرؤساء فمّن هجاهم ابو نصر سابور بن ازدشير وزير شرف الدولة ابن عضد الدولة بن بويه المولود سنة ٣٣٦ والمتوفى سنة ٤١٦ هـ (٩٤٧-١٠٢٥ م) وكان سابور قليل الالفاظ جافي الاقوال دقيق الخط منتظمه قصير التوقيع مختصره كثير الشر مخوف البطش شديد التأثير في المعاملات والميل الى المصادرات . فقال بشر يهجوهُ (من الكامل) :

سابور وَيَحَكَّ مَا أَخْصَكَ مَ مَا أَخْصَكَ بالعيوبِ
وَأَكْدَّ وَجْهَكَ بالشَّناءِ مَ قِ للعيونِ وللقلوبِ
وجهٌ قَبِيحٌ فِي التَّبَسُّمِ مَ كَيْفَ يَحْسُنُ فِي الْقُطُوبِ

واخبر ابن حمدون في تذكرة (Ms British Museum, Or. 3179, fol. 98)
قال: «حضر يوماً بشر بن هارون وجماعة من الكتّاب في دار محمد المهدي الوزير بحيث
يراهم ويسمع كلامهم وهم لا يشاهدونه فانشأ أحدهم يقول :
سَبَّالُ الْوَزِيرِ سَبَّالٌ كَبِيرُ

فقال الآخر:

وعقلُ الوزير وفعلُ صغيرُ

فقال بشر بن هارون :

زِيَادَةُ هَذَا بِنَقْصَانِ ذَا كَمَا طَالَ هَذَا النَّهَارُ الْقَصِيرُ

فخرج اليهم المهدي وشاتمهم وجلس معهم ومازحهم وأجاز كلَّ واحدٍ
وجاء في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي أبي الحسن (طبعة نيويورك ص ٥٩)
وفيها (أي سنة ٣٨٥-٩٩٥م) توفي بشر بن هارون أبو نصر النصراني الكاتب وكان
شاعراً هجاءً خبيث اللسان كتب مرةً إلى إبراهيم الصابي (السريع):

حَضَرْتَ بِالْجِسْمِ وَقَدْ كُنْتَ لَوْ بِالنَّفْسِ لَمَّا تَرَنِي حَاضِرَا
أَنْطَقَنِي بِالشَّعْرِ حَبِيَّ الْكَمِّ وَلَمْ أَكُنْ مِنْ قَبْلِهَا شَاعِرَا
فكتب إليه الصابي تحت خطه: «وَلَا بَعْدَهَا»

١٠ عيسى بن فرخانشاه

﴿اسمهُ واصلهُ ودينهُ﴾ هو عيسى بن فرخانشاه من نصارى بغداد وكان

نسطوري النحلة اشتهر في اواسط القرن الثالث للهجرة والتاسع للمسيح في أيام الخلفاء العباسيين المستعين والمهتدي والمعتز والمعتد تكرّر ذكره في عهدهم في تاريخ الطبري . ولعل اسمه يدل على كون اصله من العجم وقد ورد في بعض روايات الطبري على صورة «فرُنشاه» ومما اخبره في حوادث السنين ٢٤٥ و ٢٤٩ و ٢٥١ هـ (٣ : ١٤٤٤ و ١٥١٣ - ١٥١٤ و ١٦٤٠) ان الخليفة المستعين اتّخذ كُتّاب لوزيره الحسن بن مَخْدُود سنة ٢٤٥ (٨٥٠ م) ثم ولّاه ديوان الخراج بعد عزل الفضل بن مروان سنة ٢٤٩ هـ (٨٦٣ م) . واثبته عليه خلفه المعتز . وذكر في تاريخ سنة ٢٥٢ هـ (٨٦٦ م) ان الاتراك وثبوا عليه فتناولوه بالضرب واخذوا دوابه فقام المغاربة للدفاع عنه . وروى في تاريخ سنة ٢٥٦ (٨٧٠ م) ثورة الاتراك على الخليفة المهتدي وثبات عيسى بن فرُخْشاه في وجههم وقال : « ان الامور كانت تجري على يده وان مقامه كان ك مقام الوزير »

وعلى ظننا انه هو الذي اشار اليه ابن ماري في تاريخ بطارقة المشرق (ص ٨٣) حيث قال ان فرُخْشاه قام باستقبال يوانيس مطران الموصل لما تعين جاثليقا على انصارى سنة ٢٨٠ (٨٩٣ م) . اما سنة وفاته فلم نقف عليها وقد اشتهر من قرابته الأخوان سعيد وعبدالله ابنا فرُخْشاه ولعل عيسى كان بكرهما . وكان سعيد يكتفى بابي عمر ثم ذكرهما هلال الصابي في تاريخ الوزراء (ص ١٦١ و ٢٠٥ و ٢٤٠ - ٢٤١) وقال انها كانا نصرانيين وكاتبين للوزير ابي الحسن بن الفرات وذكر لها اخبارا شتى . وكذلك ذكر عريب القرطبي في تاريخ الصلة (ص ٥٩) الفضل بن يحيى بن فرُخْشاه

الديواني النصراني من دير قنّا على عهد الخليفة المقتدر واستصفا الخليفة لاله **آداب وشعره** * كان عيسى بن فرُخْشاه من كُتّاب ديوان الخلفاء ذوي الانشاء البديع . ذكره ابن النديم في الفهرست (ص ١٦٧) فقال : انه كان كاتباً مقلداً وقد ذكر له الصابي في أدب الكُتّاب شعراً قال (ص ٤٦) : « اهدى بعض الكُتّاب غلاماً كاتباً الى رئيسه وكتب اليه يصفه بالخط وغيره . وسمعت من يحكي ان قاتل ذلك عيسى بن فرُخْشاه براهيم بن عباس الصولي وكان عيسى يكتب له ولا ادري كيف صحته لاني لم اعتد بما لم اسمعه من افواه الرجال (من الكامل) :

إِقْبَلْ هَدِيَّةَ شَاكِرٍ تَجْزِيهِ بِالنَّزْرِ الْجَمِيلَا

بدرًا يُضيء إذا نظرت إليه لم يألف أفولا (١)
 اني بعثت به وكنت بحسن موقعه كفيلا
 لما رأيت بخطه حسنا يصيد به العقولا
 كمننم الموشي قد سحب القيان به الذيولا (٢)
 او كالرياض بكى الحيا فيها فأوسعها همولا (٣)
 وتراه للمعنى اللطيف م اذا اثرت به قبولا
 لا مستعيذا منك اذ تلي عليه ولا ملولا
 عرف المبادئ والوصو ل من الحكاية والفصولا
 وصنوف ترتيب الدعا ، وأن يقصر او يطبلا
 والهمز والمدود والمقصود والمثل المقولا
 والفعل والاسماء والمصروف منها والثقبلا
 فاستكف به وأضمر له أن لا تريد له البديلا
 يحمل بفضل لسانه وبيانه منك الثقبلا

وروى الصولي ايضا (ص ٨٤) قال دخل عيسى بن فرخانشاه على جارية وهي
 تكتب خطأ حسنا فقال (من الطويل) :

(١) يقال : افل البدر أفولا اذا غاب
 (٢) قال في شرحه : يقال وشيت الثوب وشيا من باب وعد رقتة ونقشتة فهو موشي
 والاصل مفعول . ونغمته غنمة رقتة وفي الصحاح : هي خطوط متقاربة قصار شبه ما تنم
 الريح من دقاق التراب ولكل وشي غنمة . والقيان جمع قينة وهي الأمة المغتبية او اعم . والتقين
 التزين بالوان الزينة

(٣) الحيا مقصور الفيت . وهمل المطر همولا جرى

سريعةُ جَرِي الخَطِّ تَنْظُمُ لَوْلُوٓءُ١ وينثرُ دُرًّا لفظها المترشِّفُ
وزادت لدينا حظوةً ثمَّ اقبلتُ وفي اصْبَعَيْهَا اسمُ اللّونِ مُرْهَفُ١
أصمُّ سَمِيعٌ ساكنٌ متحرِّكٌ٢ ينال جَسِيَّاتِ المَدَى وهو اعجفُ٢

١١ ابن بطريق

في كتاب مسالك الابصار في اخبار ملوك الأمصار اشهاب الدين ابي العباس احمد العمري (نسخة المكتبة الخديوية ١٤٧: ٥) بعد ترجمة ابن عدلان ذكر المؤلف ابياتاً نسبها الى ابن بطريق ولم يزد افادة٣. وقد تستى غير واحد بابن البطريق كسعيد ابن البطريق صاحب التاريخ ويحيى او يوحنا بن بطريق وعيسى بن بطريق وكلهم نصارى عاشوا في القرن التاسع للميلاد. والمرجح انّ الابيات لاحدهم نذكرها هنا تتمةً للافادة يخاطب فيها الشاعرُ موفقَ الدين ابن عدلان متفكِّهاً (من البسيط):

موفقُ الدين يا مَنْ في فكاهته وفيه يجلو لعَيْنِ الساهرِ الأَرَقُ
انَّ ابنَ عدلانٍ في إيقادِ شمعه ما شأنه الغَيْظُ من بُخْلِ ولا الخَنَقُ
لكن رأيَ الليلِ أُولَى ان يُقْضِيَةً في نِيَّاتِ مَعَانٍ مِنْكَ تَأْتَلِقُ
لا شيءَ احسنُ منها اذ بدتُ شعلاً شتَّى يُنْظَمُ فيها لَوْلُوٓءُ نَسَقُ

١٢ ابن بطلان المتطبب الراهب

﴿اسمهُ ووطنهُ ودينهُ واساتذتُهُ﴾ قال جمال الدين القفطى في تاريخ الحكماء

(١) مُرْهَف اسم مفعول من ارهفت السيف ونحوه إذا رَفَعَتْ شَفْرَتَهُ

(٢) الاعجف الهازل

(ص ٢٩٤) : هو الحكيم ابو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون طبيب منطقي نصراني من اهل بغداد قرأ على علماء زمانه من نصارى الكرخ . وقال ابن ابي اصيبعة في عيون الانباء من طبقات الاطباء (١ : ٢٤١) : « كان قد اشتغل على ابي الفرج عبدالله بن الطبيب (١) وتلمذ له وأتقن عليه قراءة كثير من كتب الحكمة وغيرها . ولازم أيضاً ابا الحسن ثابت بن ابراهيم بن زهرون الحراني الطبيب واشتغل عليه وانتفع به في صناعة الطب وفي مزاوله اعمالها . وجاء لجمال الدين القفطي في محل آخر (ص ٣١٤) ما حرقه : « وقد كان ابن بطلان هذا من اصحاب ابي الفرج ابن الطبيب البغدادى وكان ابو الفرج 'يُحِلُّه ويعظمه ويقدمه على تلاميذه ويكرمه ومنه استفاد وبعلمه تحوَّج وقد رأيت مثال خط ابي الفرج له على كتابه ثار البرهان من شرحه وهو : « قرأ على هذا الكتاب من أوَّله الى آخره الشيخ الجليل ابو الحسن المختار بن الحسن ادام الله عزه وفهمه غاية الفهم »

﴿ اخباره واسفاره ﴾ قد اغنانا جمال الدين وابن ابي اصيبعة عن تفتيش اخباره والتنقيب عنها الآن بين روايتها تبايناً لا بُدَّ من ذكره للانتقاد . قال القفطي (ص ٢٩٤) : « كان (اي ابن البطلان) مشوَّه الحلقه غير صبيحها كما شاء الله فيه وفُضِّل في علم الاوائل يرتق بصناعة الطب وخرج عن بغداد الى الجزيرة والموصل وديار بكر ودخل حلب واقام وما حمدها . ومن حظريف ما حصل له في حلب وقتئذ ما اخبره القفطي قال (ص ٣١٥) : « ولما دخل ابن بطلان الى حلب وتقدَّم عند المستولي عليها سأله رَدَّ امر النصارى في عبادتهم اليه فولاه ذلك واخذ في إقامة القوانين الدينية على اصولهم وشروطهم فكرهوه . وكان بحلب رجل كاتب طبيب نصراني يُعرف بالحكيم ابي الحارث بن شرارة وكان اذا اجتمع به وناظره في امر الطب يستطيل عليه ابن بطلان بما عنده من التقاسيم المنطقية فينقطع في يده واذا خرج عنه حملته القبط على الوقعة فيه ويحمل عليه نصارى حلب . فلم يكن ابن بطلان المقام بين أظهرهم وخرج عنهم وكان ابن شرارة بعد ذلك يقول : لم يكن اعتقاده مرضياً (٢)

(١) هو الفيلسوف النسطوري كاتب الجائليق صاحب التأليف الدينية والفلسفية والطبيَّة المتعددة المتوفى سنة ١٠٤٥م (اطلب كتابنا المخطوطات (العربية) لكتبة النصرانية ص ٢٢ ع ٦٧)

(٢) لعله يشير بذلك الى مذهب ابن بطلان النسطوري

ثم قال القفطي: وخرج ابن بطلان عن حلب الى مصر فاقام بها مدة قريبة واجتمع فيها بابن رضوان المصري الفيلسوف في وقته وجرت بينهما منافرة احدثتها الغالبية في المناظرة وخرج ابن بطلان عن مصر مُغَضَّباً على ابن رضوان وورد انطاكية راجعاً عن مصر فاقام بها وقد سَمَّ كثرة الاسفار وضاقَ عَطْنُهُ عن معايشة الأغمار فغلب على خاطره الانقطاع فتزل بعض ديرة انطاكية وترهب وانقطع الى العبادة الى ان توفي بها في شهور سنة اربع واربعين واربعمائة (١٠٥٢م) .

ورواية ابن القفطي كاد ابنُ العبري ينقلها مجرفها في تاريخه مختصر الدول (ص

(٣٣١)

أما رواية ابن ابي اصيبعة فهي اوسع وادق وهي تختلف عن رواية جمال الدين في عدة امور قال (ص ٢٤١): « وكان ابن بطلان معاصراً لعلي بن رضوان الطبيب المصري وكان بين ابن بطلان وابن رضوان المراسلات العجيبة والكتب البديعة الغربية ولم يكن احد منهم (منها) يؤلف كتاباً ولا يبتدع رأياً إلا ويرد الآخر عليه ويُسنِّه رأيه فيه . وقد رأيتُ اشياء من المراسلات التي كانت فيما بينهم (بينهما) ووقائع بعضهم (بعضها) في بعض . وسافر ابن بطلان من بغداد الى ديار مصر قصداً منه الى مشاهدة علي بن رضوان والاجتماع به . وكان سفره من بغداد في سنة ٤٣٩ (١٠٤٢م) . ولما وصل في طريقه الى حلب اقام بها مدة واحسن اليه مُعزُّ الدولة نِمال ابن صالح بها واكرمه اكراماً كثيراً . وكان دخوله القسطنطينية في مستهل جمادى الآخرة من ٤٤١ (ك ١٠٤٩) واقام بها ثلث سنين وذلك في دولة المستنصر بالله (ص ٢٤٢) من الخلفاء المصريين . وجرت بين ابن بطلان وابن رضوان وقائع كثيرة في ذلك الوقت ونوادير ظريفة لا تحلو من فائدة . وقد تضمن كثيرًا من هذه الاشياء كتابُ ألقه ابن بطلان بعد خروجه من ديار مصر واجتماعه بابن رضوان . ولا بن رضوان كتاب في الرد عليه . وكان ابن بطلان اعذب ألقاظاً واكثر ظرفاً وأميز في الادب وما يتعلق به . وما يدل على ذلك ما ذكره في رسالته التي دعاها بدعوة الاطباء . وكان ابن رضوان أظب وأعلم بالعلوم الحكمية وما يتعلق بها . وكان ابن رضوان أسود اللون ولم يكن بالجميل الصورة . وله مقالة في ذلك يرث فيها على من عثره بفتح الحلقة وقد بين فيها بزرعه ان الطبيب الفاضل لا يجب ان يكون وجهه

جَمِيلًا . وَكَانَ ابْنُ بَطْلَانَ أَكْثَرَ مَا يَقَعُ فِي عَالِيِّ بْنِ رِضْوَانَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ وَاشْبَاهِهِ .
وَلِذَلِكَ يَقُولُ فِيهِ فِي الرِّسَالَةِ الَّتِي وَسَّعَهَا بِوَقْعَةِ الْأَطْيَاءِ (مَنْ الطَّوِيلُ) :

فَلَمَّا تَبَدَّى لِلْقَوَائِلِ وَجْهُهُ نَكَصْنَ عَلَى أَعْقَابِهِنَّ مِنَ النَّدَمِ
وَقُلْنَ وَأَخْفَيْنَ الْكَلَامَ تَسْتَرًّا : أَلَا لَيْتَنَا كُنَّا تَرَكَنَاهُ فِي الرَّجَمِ

« وَكَانَ يَلْقَبُهُ بِتِمْسَاحِ الْجَنِّ . وَسَافَرَ ابْنُ بَطْلَانَ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ
وَاقَامَ بِهَا سَنَةً وَعَرَضَتْ فِي زَمَنِهِ أَوْبَاءٌ كَثِيرَةٌ . وَنَقَلْتُ مِنْ خَطِّهِ مَا ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ مَا
هَذَا مِثَالُهُ قَالَ :

« وَمِنْ مَشَاهِيرِ الْأَوْبَاءِ فِي زَمَانِنَا الَّذِي عَرِضَ عِنْدَ طُلُوعِ الْكُوكَبِ الْإِثَارِيِّ فِي الْجُوزَاءِ
مِنْ سَنَةِ ٢٤٦ (١٠٥٤م) فَإِنَّ فِي تِلْكَ السَّنَةِ دُفِنَ فِي كَنِيسَةٍ لَوْقَا بَعْدَ أَنْ امْتَلَأَتْ جَمِيعُ الْمَدَافِنِ
فِي الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ١٢,٠٠٠ نَسَمَةً فِي الْغُرُفِ . فَلَمَّا تَوَسَّطَ الصَّبْفُ فِي سَنَةِ ٢٤٧ (١٠٥٥م) لَمْ يَوْفِ
النَّيْلُ فَمَاتَ فِي الْفَسْطَاطِ وَالشَّامُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا وَجَمِيعُ الْغُرَبَاءِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ . وَاتَّقَلَّ الْوَبَاءُ إِلَى
الْعِرَاقِ فَأَتَى عَلَى أَكْثَرِ أَهْلِهِ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِ الْخَرَابُ بِطُرُوقِ الْعَسَاكِرِ الْمُتَعَادِيَةِ وَاتَّصَلَ ذَلِكَ جَاءًا
إِلَى سَنَةِ ٢٥٤ (١٠٦٣م) وَعَرِضَ لِلنَّاسِ فِي أَكْثَرِ الْبِلَادِ قُرُوحٌ سُودَاوِيَّةٌ وَأَوْرَامٌ الطَّحَالُ . . .
وَلَمَّا تَزَلَّ زُحُلُ بَرَجِ السَّرَطَانِ تَكَامَلَ خَرَابُ الْعِرَاقِ وَالْمَوْصِلِ وَالْجَزِيرَةِ وَاخْتَلَّتْ دِيَارُ بَكْرٍ
وَرَبِيعَةٍ وَمُصَّرَ وَفَارَسَ وَكِرْمَانَ وَبِلَادَ الْمَغْرِبِ وَالْيَمَنِ وَالْفَسْطَاطِ وَالشَّامِ وَاضْطُرَبَتْ أَحْوَالُ
مُلُوكِ الْأَرْضِ وَكَثُرَتِ الْحُرُوبُ وَالْغَلَاءُ وَالْوَبَاءُ . . . (وَذَكَرَ مَنْ فُقِدَ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِزَمَانِهِ فِي مَدَّةِ
بَضْعِ عَشْرَةِ سَنَةٍ) بِوَفَاةِ الْأَجَلِ الْمُرْتَضَى وَالشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَالْفَقِيهِ الْحَسَنِ الْقُدُورِيِّ وَاقْضَى
الْقَضَاةَ الْمَأُورِدِيَّ وَابْنَ الطَّيِّبِ الطُّهْرِيِّ عَلَى جَمَاعَتِهِمْ رِضْوَانُ اللَّهِ . وَمِنْ أَصْحَابِ عُلُومِ الْقَدَمَاءِ أَبُو
عَالِيٍّ بْنُ هَيْثَمٍ وَأَبُو سَعِيدٍ الْيَاقِينِيُّ وَأَبُو عَلِيٍّ بْنُ السَّمْعَاقِ وَصَاعِدُ الطَّيِّبِ (ص ٢٤٣) وَأَبُو الْفَرَجِ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنَ الطَّيِّبِ . وَمِنْ مُتَقَدِّمِي عُلُومِ الْأَدَبِ وَالْكِتَابَةِ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى الرَّبْعِيُّ وَأَبُو الْفَتْحِ النَّيْسَابُورِيُّ
وَجَمْسَانِيَارُ الشَّاعِرِ وَأَبُو الْعَمَلَاءِ بْنُ تَرْبِكٍ وَأَبُو عَلِيٍّ بْنُ مُوَصَّلَايَا وَالرِّبَاسِيُّ أَبُو الْحَسَنِ الصَّائِي وَأَبُو
الْعَمَلَاءِ الْمَعْرِيُّ . فَانْطَفَأَتْ سُرُجُ الْعِلْمِ وَبَقِيَتِ الْعُقُولُ بِعَدَمِهِ فِي الظَّالِمَةِ »

« وَتُوفِيَ ابْنُ بَطْلَانَ وَلَمْ يَتَّخِذْ امْرَأَةً وَلَا خَلْفَ وَلَدًا وَلِذَلِكَ يَقُولُ مِنْ ابْيَاسَاتِ
(مَنْ الطَّوِيلُ) :

وَلَا أَحَدٌ أَنْ مُتُّ يَبْكِي لِمَيْتِي سِوَى مَجْلِسِي فِي الطَّبِّ وَالْكِتَابِ بَاكِيًا
(قُلْنَا) فَمِنْ هَذَا يَتَّضَحُّ وَجُودُ عَدَّةِ اخْتِلَافَاتِ بَيْنِ رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي أُصَيْبَةَ وَرِوَايَةِ جَمَالِ

الدين القفطي :

١ يذكر جمال الدين قبيح صورة ابن بطلان . وأما ابن ابي اصيبعة فإنه ينسب ذلك الى علي بن رضوان خصمه . ولو كان ابن بطلان مثله قبيحاً لما تجاسر على هجوه .

٢ قال جمال الدين ان ابن بطلان « اقام في مصر مدةً قريبة » أما ابن ابي اصيبعة فجعل اقامته هناك « ثلاث سنين »

٣ ذكر جمال الدين ان ابن بطلان عاد من مصر الى انطاكية وترهب ببعض اديرتها . أما ابن ابي اصيبعة فيذكر انه سافر من مصر الى القسطنطينية واقام فيها سنة .

٤ وجعل جمال الدين وفاة ابن بطلان في انطاكية سنة ٤٤٤ (١٠٥٢ م) على خلاف ما ورد من التفاصيل في ابن ابي اصيبعة اذ يذكر ما كتبه في السنتين ٤٤٥ و ٤٤٦ . لا بل ذكر في جملة تأليفه (ص ٢٤٣) مقالةً صنفها في انطاكية سنة ٤٥٥ (١٠٦٣ م) ويؤيد ذلك بقوله « ان ابن بطلان صنف كتاب دعوة الاطباء ألّفها للامير نصير الدولة ابي نصر احمد بن مروان » . قال : « ونقلت من خط ابن بطلان وهو يقول في آخرها : فرغت من نسخها انا مصنفها يوانيس الطبيب المعروف بالمختار بن الحسن بن عبدون بدير الملك المنيع قسطنطين بظاهر القسطنطينية في آخر ايلول من سنة ١٣٦٥ (اي من تاريخ اليونان) . ويكون ذلك بالتاريخ الاسلامي من سنة ٤٥٠ » فترى ان ابن بطلان مكث زمناً طويلاً في القسطنطينية وان وفاته بعد السنة ٤٤٤ بعدة سنين . وفي كشف الظنون للحاج خليفة (٤ : ٣١٨) ان وفاة ابن بطلان وقعت سنة ٤٦٣ هـ (١٠٧٠ - ١٠٧١ م) . وبين التاريخين كما ترى بونٌ عظيم

﴿ أدب ابن بطلان وشعره ﴾ يشهد على أدب ابن بطلان وشعره ابن ابي اصيبعة حيث يقول (١ : ٢٤٣) : « ولا ابن بطلان اشعار كثيرة ونوادير ظريفة وقد ضمّن منها اشياء في رسالته التي وسمها بدعوة الاطباء . وفي غيرها من كتبه . ودعوة الاطباء هذه قد غني بطبعها المرحومان الدكتور بشاره زلزل في مصر والدكتور اسكندر البارودي في الطبيب . ومنها نسخةٌ حسنة قديمة في مكتبتنا الشرقية . وهذه بعض امثلة من شعر ابن بطلان مما ورد في كتابه دعوة الاطباء (ص ٢٠) قال في اختيار

الاصحاب (من الوافر) :

عدوك من صديقك مستفادُ فلا تستكثرُ من الصِّحابِ
لأنَّ الداءَ اكثُرُ ما تراهُ يكونُ من الطعامِ او الشرابِ
وقال (ص ٢٤) في منفعة الادوية (من الوافر) :

فانَّ المرَّ حينَ يسرُّ حلوُّ وانَّ الحلوَ حينَ يضرُّ مرُّ
فخذُ مرًّا تُصادِفُ منه حلواً ولا تعدِّلِ الى حلوٍ يضرُّ
وله (ص ٦٢) يهجو طبيباً (من المنسرح) :

قالت له النفسُ : كُنْ طبيباً تقضي على الناس بالذهابِ
تأخذُ مالَ العليلِ قهراً ثمَّ توأتيه الى الترابِ
وقال (ص ٦٧) في نكبات الزمان بعد فقد احد احبابه (من البسيط) :

عينُ الزمانِ أصابَتْنا فلا نظرتُ وعَذِبتُ بعذابِ الهجرِ ألوانا
قد كنتُ أشفقُ من دمعي على بصري فاليومَ كلُّ عزيزٍ بعدكم هانا
ومن اقواله (ص ٧٠) عن لسان من لا يرى إلا سلامة نفسه (من الرمل) :

انما دُنيائي نفسي فاذا ذهبتُ نفسي فلا عاشِ أحدُ
ليت انَّ الشمسَ بعدي غرَبَتْ ثمَّ لم تَطْلُعْ على اهلِ بلدُ
وقال (ص ٨٧) في مصالحة العدو (من الوافر) :

وكم من مرَّ تدٍ للصِّلحِ يوماً فلم يَنجَحْ بِذاك الارتِبادِ
لأنَّ الجرحَ يُنْقَضُ بعد حينٍ اذا كان البناءُ على فسادِ
ومأ انشدهُ في البطنة والشره (من المنسرح) :

كم اكلةٍ دخلتَ حَشَا شَرِّهِ فَأَخْرَجْتَ رَوْحَهُ مِنْ الْجَسَدِ
لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي الطَّعَامِ إِذَا كَانَ هَالِكُ النُّفُوسِ بِالْمَعْدِ
رحله ابن بطوطة الى الشام

هذه الرحلة صَنَّفَهَا ابن بطلان على صورة رسالة كتبها ووجَّهها الى بغداد الى ابي الحسن هلال بن الحسن الصايي (١ سنة ٤٤٠ هـ (١٠٤٩ م) رواها ياقوت قطعاً متفرقة في معجم البلدان وجمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء.

وكانت احوال الشام في تلك السنين مضطربة وكثرت فيها الحروب. كان الخليفة في بغداد القائم بأمر الله وكانت مصر تحت حكم المستنصر بالله العلوي. وكان يملك على حلب معز الدولة ثمال بن صالح بن مرداس صاحب الرحبة سابقاً. أمّا انطاكية فكان استولى عليها الروم سنة ٣٥٢ هـ (٩٦٣ م) في عهد «نيقيفورس فوكاس» فبقيت في يدهم الى السنة ٤٧٧ هـ (١٠٨٤ م) فدخلها ابن بطلان في أيام حكم الروم عليها :

«المقدمة» بسم الله الرحمن الرحيم أنا لما اعتقدته من خدمة سيدنا السيد الاجل اطال الله بقاءه وكتبته اعدائه دانياً وقاصياً، وأقترحت من طاعته مقيماً وظاعماً، أضمرت عند وداعي حضرته العالمة وقد ودعت منها الفضل والسودد والمجد والفخر والمخند أن اتقرب اليها وأجدد ذكرى عندها بالمطالعة عما أستطرفه من اخبار البلاد التي أطرقها واستغريها من غرائب الاصقاع التي أسلكها خدمة للمكتتاب الذي هو تاريخ المحاسن والمفاخر، وديوان المعالي والمآثر، ليودعه ادام الله تمكينه منها ما يراه ويلحق ما يستوفيه ويروضه وعلي ذكره. فما رأيت احداً بصر وهذه الاعمال اكثر من الراغب فيه. وكل رئيس في هذه الديار متشوق اليه ولو صوله متقرب متوقع. ولو وصلت منه نسخة لبلغ الجالب لها أمنيته في رنجها ونفعها. والى الله تعالى ارغب في نشر فضيلته الباهرة ومحاسنه الزاهرة بجوده.

«من بغداد الى حلب» كنت خرجت من بغداد وبدأت بلقاء مشايخ البلاد وخواصها واستملا ما عندهم من آثارها وعجائبها. فذكر لي اخبار مستطرفة وغرائب

(١) وروى ياقوت (٢: ٢٠٦) انه كتبها الى هلال بن الحسن بن ابراهيم الصايي في دولة

بني مرداس. وهلال هذا من مشاهير الكتاب توفي سنة ٤٤٨ هـ (١٠٥٦ م)

عجيبة وعجائب غريبة وانواع من الشعر (١) رائقة . واضيق الوقت وسُرعة الرسول اضربت عن اكثره واختصرت على أقله . وكنت خرجت على اسم الله وبركته مستهلاً شهر رمضان سنة اربعين واربعائة (ك ٢ ١٠٤٩) مُصعداً في نهر عيسى (٢) على الانبار . ووصلت الى الرحبة (٣) بعد تسع عشرة مرحلة وهي مدينة طيبة وفيها من انواع الفواكه ما لا يحصى وبها تسعة عشر نوعاً من الأغانب . وهي متوسطة بين الانبار وحلب وتكريت والموصل وسنجار والجزيرة . وبينها وبين قصر الرصافة مسيرة اربعة أيام . « وهذا القصر (٤) حصنٌ دون دار خلافة ببغداد مبني بالحجارة وفيه بيعة عظيمة ظاهرها بالنص المذهب (٥) انشأها قسطنطين بن هيلانة وجدّ الرصافة وسكنها هشام بن عبد الملك وكان يفرع (يفزع) اليها من البق في شاطئ الفرات . وتحت البيعة (٦) صهريج في الارض على مثل بناء الكنيسة معقود على اساطين الرخام ملبأ بالمرمر ملوّه من ماء المطر . وسكان هذا الحصن بادية اكثرهم نصارى ومعاشهم تحنير القوافل وجلب المتاع والصعاليك مع المصوص . وهذا القصر في وسط برية مستوية السطح لا يردّ البصر من جوانبها إلاّ الأفق »

« حلب » ورحلنا منها الى حلب (٧) في اربع رحلات وهي بلدٌ مسورٌ بالحجر الابيض فيه ستة ابواب وفي جانب السور قلعة في اعلاها مسجد وكنيسةتان وفي احدهما كان المذبح الذي يقرب عليه ابراهيم عم . وفي اسفل المغارة كان ينبأ فيها غنمه واذا حلبها اطاف الناس بلبنها فكانوا يقولون : « حَبَّ ام لا » ويسأل بعضهم

(١) ويروى : اقطاع من الشعر

(٢) نهر عيسى احد الانهار المشتهة من الفرات

(٣) الرحبة هي المدينة المعروفة برحبة مالك بن طوق على شطّ الفرات

(٤) ما وُضع بين هلالين ورد في معجم البلدان لياقوت (٣: ٧٨٥) ولم يروِ جلال الدين

القفطي

(٥) النصّ المذهب هو المعروف بالفسيفساء (mosaïque)

(٦) كانت في الرصافة بيعة للقدّيس مرجيوس الذي استشهد هناك مع القدّيس بَجُوس

وكان العرب يعظمونها ودكرها الاخطل في شعره

(٧) هذا الوصف ذكره ايضاً ياقوت في معجم البلدان (٢: ٣٠٦)

بعضاً عن ذلك فسُميت حلب (١) . وفي البلد جامع وستُ بيع وبيارستان صغير والفقهاء يُفتون على مذهب الإمامة . وشربُ اهل البلد من صهاريج مملوءة بما المطر . وعلى بابهِ نهرٌ يُعرف بِقَوَيْق يُمَدُّ في الشتاء وينضبُ في الصيف . وفي وسط البلد دارُ علوةَ صاحبة البحري (٢) وهو بلد قليل الفواكه والبقول والنبذ إلا ما يأتيهِ من بلاد الروم (٣) . ومن عجائب حلب أنَّ في قيسارية البزَّ عشرين دكاناً لوكلاء يبيعون فيها كل يوم متاعاً قدره عشرون ألف دينار . مستمرُّ ذلك منذ عشرين سنة وإلى الآن . وما في حلب موضع خراب اصلاً »

﴿انطاكية﴾ وخرجنا من حلب طالبين انطاكية بينها يوم وليلة فبتنا في بلدة للروم تُعرف بِعَمَ فيها عين جارية يُصاد فيها السمك ويدور عليها رحى وفيها من الخنازير (٤) ومباح النساء والمحجور امرٌ عظيم . وفيها اربع كنائس وجامع يؤذَن فيه سرّاً . والمسافة التي بين حلب وانطاكية عامرة لا خراب فيها اصلاً ولكنها ارضُ زرعٍ للحنطة والشعير تحت شجر الزيتون (٥) قراها متصلة ورياضها مزهرة ومياها منفجرة يقطعها المسافر في بالٍ رخيٍّ وأمن وسكون . وانطاكية بلد عظيم ذو سور وفصيل وللور ثلثانة وستون برجاً يطوف اعيانها بالنوبة اربعة آلاف حارس يُنفذون من القسطنطينية من حضرة الملك فيضمنون حراسة البلد سنةً ويُستبدل بهم في الثانية . وشكل البلد كنصف دائرة قُطرها يتَّصل بجبل والسور يصعد مع الجبل الى قُلَّتِهِ ويستتم دائرة (٦) . وفي رأس الجبل داخل السور قلعةٌ تبينُ لبعدها من البلد صغيرة . وهذا الجبل يستر عنها الشمس فلا تطلع عليها الا في الساعة الثانية . والسور المحيط بها دون الجبل خمسة ابواب وفي وسطها بيعة القسيان (٧) . وكانت دارُ قسيان

(١) هذه رواية ضعيفة فان اسم حلب ورد في الآثار الاشورية قبل عهد ابراهيم الخليل

(٢) هي علوة بنت زُرعة الحليسة كان البحري يشبب بها

(٣) هذا ما ذكره القفطي لابن بطلان عن حلب وزاد عليه يا قوت في معجم البلدان (٢) :

(٤٠٧) ذكر بعض شعراء وجدهم في حلب وختم بما وضعناه بين هلاين

(٤) روى يا قوت (٣: ٧٢٩) : « مشارير الخنازير

(٥) روى القفطي : بجانب شجر الزيتون

(٦) روى يا قوت : فتم دائرة

(٧) روى القفطي : قلعة القسياني

للملك الذي احيا ولده فُطرس رئيس الحواريين (١) وهو هيكَل طوله مائة خطوة وعرضه ثمانون وعليه كنيسة على أساطين ودائر الهيكل اروقة يجلس فيها القضاة للحكومة ومعاًمو (٢) النجو واللغة. وعلى احد ابواب هذه الكنيسة فَنجَان (٣) الساعات يعمل ليلاً ونهاراً دائماً اثنتي عشرة ساعة وهو من عجائب الدنيا. وفي أعلاه خمس طبقات في الخامسة منها حَمَامَات وبساتين ومقاصير حسنة (٤) تحرُّ منها المياه وعَلَّة ذلك انَّ الماء ينزل عليها من الجبل المطل على المدينة

وهناك من الكنائس ما لا يُحدِّد كثرة كلِّها معمولة بالفض (بالفض) المذهب (٥) والزجاج الملوّن والبلاط المجزَّع. وفي البلد بيمارستان يراعي البطريق المريض فيه بنفسه. ويُدخل المجدِّمين الحَمَام في كل سنة فيغسل شعورهم. ومثل ذلك يفعل الملك بالضعفاء كل سنة ويعينه على خدمتهم الاجلاء من الرُؤساء والبطارقة التماس التواضع (٦) : « وفي المدينة من الحَمَامَات ما لا يوجد مثله في مدينة اخرى لذاذة وطيبة » لان وقودها من الآس وماءها تسمى سِنجاً بلا كلفة »

« وفي بيعة القُسيان (٧) من الخدم المسترزقة ما لا يُحصى . ولها ديوان لدخُل الكنيسة وخرُجها . وفي الديوان بضعة عشر كاتباً . ومنذ سنة وكُسِر وقعت في الكنيسة صاعقة وكانت حائلها عجيبة . وذلك انه تكاثرت الامطار في آخر سنة ١٣٦٢ للاسكندر الواقع في سنة ٤٤٢ للهجرة وتواصلت اكثر ايام نيسان . وحدث في الليلة التي صبيحتها يوم السبت الثالث عشر من نيسان رعد وبرق اكثر ممَّا أُلِف

(١) ورد في بعض التقاليد القديمة انَّ القديس بطرس الرسول لما دخل انطاكية وجد ابن واليه الروماني ميتاً فاحياه وعُدَّ الوالد والولد ونشر النصرانية في انطاكية واعطاه الحاكم قصره فجعله كنيسة عُرفت ببيعة القُسيان

(٢) روى ياقوت : متعلمو

(٣) فَنجَان كلمة فارسية تعرب بنكان وهي الساعة الزوالية (clépsydre) ويقال في العربية ايضاً بنكام

(٤) روى ياقوت : مناظر حسنة

(٥) روى ياقوت : بالذهب والقصة

(٦) ما جعلناه بين هلالين رواه ياقوت وحده (١: ٢٨٢)

(٧) كل هذه القطعة بين الهلالين التي تضمَّن وصف الزلزلة التي حدثت في انطاكية لم

يذكرها جلال الدين (تقضي) وأتَّاماً دونها ياقوت (١: ٢٨٢-٢٨٤)

وعُهد وُسُمع في جملته اصوات رعد كثيرة مهولة ازعجت النفوس ووقعت في الحال صاعقة على صدفة مخبئة في المذبح الذي للقسّيان ففلقت من وجه النّسْرانية (كذا) قطعة تشاكل ما قد نُحت بالفاس والحديد الذي تُنحِت به الحجارة وسقط صليب حديد كان منصوباً على عارِ هذه الصّدفَة وبقي في المكان الذي سقط فيه . وانتقطع من الصّدفَة ايضاً قطعة يسيرة . وتزل الصّاعقة من منفذ في الصّدفَة وتزل فيه الى المذبح سلسلة فضّة غليظة يُعلّق فيها الشميوطون (كذا) وسعة هذا المنفذ اصبعان فتقطعت السلسلة قطعاً كثيرة وانسبك بعضها ووجد ما انسبك منها ملقى على وجه الارض . وسقط تاج فضّة كان معلقاً بين يدي مائدة المذبح وكان من وراء المائدة في غربيها ثلث كراسي خشبية مربّعة مرتّعة يُنصب عليها ثلاثة صلبان كبار فضّة مذهّبة مرصّعة وقُلع قبل تلك الليلة الصليبان الطرفيان وتشطّيا وتطايرت الشظايا الى داخل المذبح وخارجِه . من غير ان يظهر فيها اثر حريق كما ظهر في السلسلة ولم ينل الكرسيّ الوسطاني ولا الصليب الذي عليه شيء . وكان على كل واحد من الاعمدة الاربعة الرخام التي تحمل القبة الفضة التي تغطي مائدة المذبح ثوب ديباج ملفوف على كل عمود فتقطع كل واحد منها قطعاً كبيراً وصغاراً . وكانت هذه القطع بمنزلة ما قد عفن وتهرأ ولا يُشبه ما قد لامسته نار ولا ما احترق ولم يابق المائدة ولا شيئاً من هذه الملابس التي عليها ضرر ولا بان فيها اثر . وانتقطع بعض الرخام الذي بين يدي مائدة المذبح مع ما تحته من الكاس والنورة كقطع الفاس . ومن جملته لوح رخام كبير طفر من وضعه فتكسر الى عوارِ تربع القبة الفضة التي تغطي المائدة وبقيت هناك على حاله وتطافر بقية الرخام الى اقرب من المواضع وبعد . وكان في المجنبة التي للمذبح بكرة خشب فيها جبل قُب مجاور السلسلة الفضة التي تقطعت وانسبك بعضها معلّق فيها طبق فضّة كبير عليه فراخ قناديل زجاج بقي على حاله ولم ينطفئ شيء من قناديله ولا غيرها ولا شمعة كانت قريبة من الكرسيين الخشب ولا زال منها شيء . وكان جملة هذا الحادث مما يُعجب منه . وشاهد غير واحد في داخل انطاكية وخارجها في ليلة الاثنين الخامس من شهر آب من السنة المقدّم ذكرها في السماء شبه كوكب ينور منها نور ساطع لامع ثم انطفأ واصبح الناس يتحدثون بذلك . وتواتر الاخبار بعد ذلك بانّه كان في اول نهار الاثنين في مدينة غنجرَة وهي داخل بلاد

الروم على ١٩ يوماً من انطاكية زلزلة مهولة تتابعت في ذلك اليوم وسقط منها ابنية كثيرة وخسف موضع في ظاهرها . وكان هناك كنيسة كبيرة وحصن لطيف غابا حتى لم يبق لها اثر ونبت من ذلك الحسف ماء حار شديد الحرارة كثير المنبع المتدفق وغرق منه سبعون ضيعة . وتهارب خلق كثير من تلك الضياع الى رؤوس الجبال والمواقع المرتفعة العالية فسلموا . وبقي ذاك الماء على وجه الارض سبعة ايام وانبسط حول هذه المدينة مسافة يومين ثم نضب وصار موضعه وحلاً . وحضر جماعة ممن شاهد هذه الحال فجدثوا بها اهل انطاكية على ما سطرته وحكوا ان الناس كانوا يصعدون امتعتهم الى رأس الجبل فيضطرب من عظم الزلزلة فيتدحرج المتاع الى الارض»

«وظاهر البلد نهر يعرف بالملقوب (١) يأخذ من الجنوب الى الشمال وهو مثل نهر عيسى وعليه رحي ويسقي البساتين والاراضي . وخارج البلد دير سمعان وهو مثل نصف دار الخليفة يضاف فيها المجتازون يقال ان دخله في السنة اربعمئة الف دينار (٢) . ومنه يصعد الى جبل اللكّام وفي هذا الجبل من الديارات والصوامع والبساتين والمياه المنفجرة والانهار الجارية والزهاد والسيّاح وضرب النواقيس في الاسحار والحن الحيات ما يتصور معه الانسان انه في الجنة . وفي انطاكية شيخ يعرف بالي نصر ابن العطار قاضي القضاة فيها انه يد في العلوم مليح الحديث والافهام

«وخرجت من انطاكية الى اللاذقية وهي مدينة يونانية (٣) لها ميناء وملعب وميدان للخيال مدور . وبها بيت كان للاصنام وهو اليوم كنيسة وكان في اول الاسلام مسجداً وهي راكبة البحر وفيها قاضي للمسلمين وجامع يصلون فيه واذان في اوقات الصلوات الخمس . وعادة الروم اذا سمعوا الاذان ان يضربوا الناقوس . وقاضي المسلمين الذي بها من قبل الروم . . . ومن البلد من الحبساء والزهاد في الصوامع والجبال كل فاضل يضيق الوقت عن ذكر احوالهم والالفاظ الصادرة عن صفاء عقولهم واذهانهم»

(١) يريد نهر العاصي او نهر اورنط

(٢) وجاء في ياقوت (٢ : ٦٧٢) : وله من الارتفاع كل سنة عدة قناطير من الذهب

(٣) كانت اللاذقية وقتئذ في ايدي الروم

١٣ صاعد بن شماس

﴿زمانه ودينه﴾ ورد ذكر صاعد بن شماس في رحلة ابن بطران ومنه يستدل على زمانه وعلى دينه ووطنه . وقد مرَّ بك أنَّ ابن بطران عاش في القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح . اوما قال عنه ابن بطران فورد في معجم البلدان لياقوت (٢: ٣٠٢) في مادة « حلب » قال ابن بطران : « وفيها (اي حلب) كاتب نصراني له في قطعة في الخمر اظنه صاعد بن شامة (كذا) »

خاضت صوارم أيدي المازحين (١) بها فألبست جسمها درعاً من الحب

فقوله « صاعد بن شامة » قد اصاحه ناشر كتاب معجم البلدان في فهرس الاعلام (٦: ٤٧٦) ودعاه « صاعد بن شماس » ويحيل هناك الى الجزء الرابع (ص ٨٠) حيث يروي ثلثة ابيات انشدها « ابو زياد اصاعد » دون زيادة في التعريف ولعلها لصاعد آخر غير ابن شماس فظن ناشر الكتاب انها له . فنرويها هنا على علاتها وهي واردة في مادة « قرينة » اسم روضة او وادٍ قال (من الوافر) :

ألا يا صاحبي قفا قليلاً على دار القدور فحيها

ودار بالشُّميط فحيها بي ودار بالقرينة فأسألاها

سقمها كلُّ واكفة هتونٍ رَجَّيها جنوباً أو صباها

فدار القدور والشُّميط والقرينة كأنها امكنة في البرية . وهذا غاية ما عرفنا عن صاعد المذكور

١٤ عون الراهب

﴿زمانه وشعره﴾ ورد ذكره في كتاب زهر الآداب وثمر اللباب لابي

(١) كذا في الاصل بالخاء ولعلها « المازجين » بالميم

اسحاق الحصري القيرواني فاستدلنا بذكره فيه انه كان من ادياء القرن الحادي عشر للمسيح سبق الحصري المتوفى سنة ٤٥٣ للهجرة الموافقة للسنة ١٠٦١ للمسيح . وقد روى اعون الراهب ابياتاً في مديح الغراب ردّاً على من يتشاءم بهذا الطائر فقال (في الطبعة المصرية على هامش عقد الفريد لابن عبد ربه (٣ : ٨٤) وفي الطبعة الجديدة (٢ : ١٧٠) (من الكامل) :

غَلَطَ الَّذِينَ رَأَيْتُهُمْ بِجَهَالَةٍ يَلْحُونُ كُلَّهُمْ غُرَابًا يَنْعَقُ
مَا الذُّبُّ إِلَّا لِلْأَبَاعِ إِنَّهَا مِمَّا يُشْتَرُّ جَمِيعُهُمْ وَيَفْرَقُ
إِنَّ الْغُرَابَ يُؤْمِنُهُ تَدْنُو النُّوَى وَتُشْتَرُّ الشُّمْلُ الْجَمِيعُ الْإَيْنُقُ

وقد بحثنا كثيراً في كتب الادباء وتراجم القدماء لنقف اعون المذكور على اثر فخاب رجاؤنا

١٥ ابن مرغر الاشبيلي

﴿ زمانه ودينه ﴾ ابن مرغر هو ايضاً من شعراء القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح . وقد ورد اسمه على صور شتى فيروى ابن مرغري وابن المرغوي وابن المزعري وابن المغربي . والصواب ما ذكرنا . كان في أيام الملك ابي القاسم محمد الملقب بالعتيد بن عبّاد وهو آخر ملوك العبّاديين في اشبيلية حاضرة الاندلس ملكاً من السنة ٤٦١ الى ٤٨٤ هـ (١٠٦٨-١٠٩١ م) . وكان ابن مرغر من نصارى الاندلس لا شك في الامر

﴿ اخباره وشعره ﴾ اخباره قليلة وجدنا منها شيئاً في مخطوطات مكاتب اوربة الشرقية . فمن ذلك ما جاء في كتاب اخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء (Ms de Leide, 834, II p. 288) للملك المنصور امير حماة المتوفى سنة ٦١٧ (١٢٢٠ م) قال (ص ٢٤٧-٢٤٨) : « ابن مرغر من نصارى الاندلس من

اهل اشبيلية . قال الشيخ ابو عباس شهاب الدين احمد بن يحيى بن الفضل العمري في

كتاب مسالك الابصار من ممالك الامصار : ابن مرغر النصراني 'مُجيدٌ على ما عُرف من مُدماه ، وُعِلِم منه من جهلٍ ما فكَّ عنه فِدماه ، وقد تَرَدَّى القلب (١) وهي عَاد ، وتَنطَقُ الاوتاد وهي جماد ، وتُضي النار وهي من حطب الى رماد ، والحمامة وهي عجا. قد تَسَعَجُ ، والغمامة وهي طَلَّةٌ تُسْتَنَجَعُ »

ثمَّ انشد له يصف كلبَ صيدٍ وهي ستة ابيات رويت في نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب (٢ : ٩٤٦) فقال : « حُكي ان ابن المرغوي (كذا) النصراني الاشبيلي اهذى كلبه صيد للمعتمد بن عباد وفيها يقول (من المنسرح) :

لم أَر مَلَهًى لذي اقتناصٍ (٢)	ومكسباً مُنْعَ الحريصِ
كمثل خَطَّارٍ ذاتِ جيسِدٍ	أَتَاعَ في صفرة القميصِ (٣)
كالقوس في شكلها ولكن	تَنفَذُ (٤) كَالسَّهْمِ للقنيصِ
ان تَخِذَتْ أَنْفَهَا دليلاً	دلَّ على الكامن العويصِ
محبوكة الظَّهَر لم يَخْبَهُ	خوف بطنٍ لها خَميصِ (٥)
لو انها تستشير برقاً	لم يَجِدِ البرقُ من محيصِ

قال (ومنها في المديح) :

يشفع تأمليه (٦) بَوَدٍ شَفَعَ القياساتِ بالنصوصِ

وقد روى له عماد الدين الاصفهاني في كتاب خريدة القصر وجريدة اهل العصر

(١) كذا في الاصل . ولعل الصواب تَرَوَى القُلُب وهو جميع قَلِيب اي البئر وتَرَوَى

كمثل رَوَى (٢) ويروى : لدى اقتناص

(٣) ويروى : كمثل خطلاء . . اتلع مصفرة . واتلع عن صفرة

(٤) ويروى : ينفذ

(٥) ويروى : لم يَخْبَهُ . . جا

(٦) ويروى : تنوبله

(Ms de Paris, n° 3330, fol. 175^r, de Londres, 574) غيرها من الابيات .
منها قوله في المديح (من الكامل) :

والله اكبرُ انت بدرُ طالعُ والنَّعْجُ (١) دجنُ والكمأة نجومُ
والجرْدُ افلاكُ وانت مُديرها وعدوك الغاوي وانت رجومُ (٢)

وقال في قوم بات عندهم فلم يوقدوا له سراجاً (من البسيط) :

نزاتُ في آل مكحولٍ وضيْفُهُمْ كنازلٍ بين سَمْعِ الارضِ والبصرِ
لا تستضيءُ بضوءٍ في بيوتهمُ ما لم يكن لك تطفيلٌ على القمرِ
وقال يدح كريباً رطب لسانه بكرمه وشحد قريحته في مديحه (من البسيط) :

انطقني بالندى حتى سرى نَفْسِي كما تنفَسُ في الأنداء رَيجانُ
وغاص في بحر نَعْماك المحيطِ به فيذه دُرُّ منه ومرجانُ

١٦ زينا النصراني

زمنانه وشعره زينا اسم سرياني بمعنى المبيع والمملوك . كان في القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح . ذكره الراغب الاصفهاني (المتوفى سنة ١١٠٨هـ / ١١٠٨م) في كتابه محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء وروى له شعراً (١: ١٩٦) في باب الرجل « الموصوف بكثرة المساوي » بعد ذكره لقول الاخطل :

قومُ تهاوى اليهم كلُّ فاحشةٍ وكلّ مخزبةٍ سُبَّتْ بها مُضَرُّ

قال زينا النصراني (من البسيط) :

(١) ويروى : والنفع بالفاء

(٢) وفي نفع الطيب (٢: ٩٤٦) : والجود وعن رجوم

لي صاحبُ لستُ أُحصي من محاسنه شيئاً صغيراً ولا تُحصى مساويه (١)
وليس فيه من الخيرات واحدةً وأكثرُ السوء لا بل كلُّه فيه
وقد نقبنا عن زبيدنا هذا لنعرف شيئاً من اخباره فلم نجدنا التنقيب شيئاً

١٧ ربيب النصراني

﴿زمانه وشعره﴾ ربيب النصراني هو ايضاً من الشعراء الذين نقل عنهم بعض مقاطيع اشعارهم الرائب الاصفهاني في كتابه «محاضرات الادباء» وبه عرفنا زمانه اي انه من شعراء القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح. وفي غير هذا الكتاب لم نجد له ذكراً واعلمه هو زبيدنا السابق ذكره فيكون اسمه مصحفاً. أما ما رواه عنه فهو بيت مفرد ذكره في باب «المعالة بما لا يقل وجوده» (١: ٢٩٢) قال ربيب النصراني (من البسيط) :

وكلّ شيء غلا او عزّ مطلبه مُستَرخصٌ ومهانُ القدرِ إن رخصاً

١٨ سعيد النصراني

﴿زمانه وشعره﴾ سعيد النصراني هو الشاعر الثالث الذي اوقفنا عليه الرائب الاصفهاني في محاضراته فأفادنا انه عاش في زمانه اي في القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح ولم يزدنا علماً أما شعره فلم يرو منه الا ثلاثة ابيات في باب «مزاورة الجيب وملاقاته والنظر اليه» (٢: ٦٤) قال سعيد النصراني (من الخفيف) :

وعدّ البدرُ بالزيارة ليلاً فاذا ما وفّى قضيتُ نذوري
قلتُ: يا سيدي ولم توثر الليل على بهجة النهار المنير

قال : لا استطيعُ تغييرَ رسمي هكذا الرسمُ في طلوع البدور
وقد بحثنا بدون جدوى عن سعيد النصراني المذكور في الراغب فلم نتوفَّق الى
معرفة شيء من اخباره في سائر الكتب التي راجعناها

١٩ امين الدولة العلاء بن موصلايا

﴿ اسمه وزمانه ﴾ قال عماد الدين الاصبهاني في خريدة القصر وجريدة العصر
(Ms de Paris, 3326) : « هو امين الدولة ابو سعد العلاء بن الحسن بن وهب بن
الموصلايا » وفي نسخة ليدن (Ms de Leide, 881, p. 41) وفي تراجم ابن خلكان
(ص ٥٤٥ طبعة باريس) انه يكنى « ابا سعيد العلاء بن الحسين » . وضبط ابن خلكان
اسمه موصلايا بضم الميم وسكون الواو وفتح الصاد قال : « وهو من اسماء النصارى » .
كان منشأه بغداد فدعاه ابن خلكان « بالكاتب البغدادى ومنشئ دار الخلافة » على
ان اسم جدّه يدلّ على ان اصلهم من الموصل
اما زمانه فانه عاش في القرن الخامس للهجرة كانت وفاته في ١٣ ربيع الاول
سنة ٤٩٧ (اواسط كانون الثاني ١٠٤١م) كما روى الاصفهاني في خريدة القصر وابن
الاثير في الكامل . اما ابن خلكان فيجعل وفاته في تسع عشر من جمادى الاولى من
السنة ويروى ثامن عشر جمادى

وجاء في نكت العميان للشيخ خليل بن ايبك الصفدي (مكتبة بايزيد في
الاستانة نمر ١٦٣) انه ولد سنة ٤١٢ (١٠٢١م) فيكون عاش ٨٥ سنة
﴿ دينه ﴾ ولد امين الدولة نصرانيا وعاش نصرانيا في خدمة الخلفاء الى السنة
٤٨٤هـ (١٠٩١م) فاسلم . اما اسلامه فلم يكن عن اقتناع واختيار بل كرهاً
واضطراً كما روى ابن تغري بردي في تاريخ سنة ٤٨٤ (ed. Popper, III, 287)
قال :

« فيها في صفر كتب الوزير ابو شجاع (محمد بن الحسين الرؤدراوري) الى الخليفة (المقتدي
بالله) يعرفه باستطالة اهل الذمة على المسلمين (كذا) وان الواجب تمييزهم عنهم . فامر الخليفة
ان يفعل ما يراه . فالتزمهم الوزير لبس الفيار والرناوير وتعليق الدراهم الرصاص في اعناقهم

مكتوب «عليّ الدراهم» وتُجمل هذه الدراهم ايضاً في اعناق نساكنهم في الحمامات ليُعرفن بها وان يلبسن الحُفّاف فرداً اسود وفرداً احمر وجلجلًا في ارجلهم. فذلّوا وانقمعوا بذلك وأسلم حينئذ ابو سعد ابن الموصلايا كاتب الانشاء للخليفة وابن اخيه ابو نصر هبة الله «

فترى التساهل المزعوم الذي يدّعيه بعض الكتبة للخلفاء وكيف أكره على جحود دينهم كثيرون من النصارى وفي جملةهم ابن الموصلايا أفيحُّ لنا ان ننظمه في سلك الاسلام وان دان به ظاهراً في السنين الاخيرة من حياته ؟

﴿ أخباره ﴾ كان ابن موصلايا من نصارى بغداد المنتمين الى البدعة النسطورية ورد ذكره في تاريخ المجلد لابن ماري النسطوري (١٢٢ و ١٣٣). واصل اسرته من الموصل كما يدلّ عليه اسمه تخرّج بالأدب على اهل نخلته ثم دخل في ديوان الانشاء في خدمة الخلفاء. قال الصفدي في كتابه نسكت الهيمان في نسكت العميان (عن نسخة الاستانة. اطلب طبعته الجديدة ص ٢٠١-٢٠٢) :

« كان (ابن موصلايا) يتولّى ديوان الرسائل منذ ايام القائم (بامر الله) وناب في الوزارة وأضر آخر عمره وكانت خدمته خمساً وستين سنة كل يوم منها يزيد جاهه وناب في الوزارة. ولما أضرّ كان ابن اخته هبة الله بن الحسن يكتب الاشعار عنه . وكان كثير الصدقة والخير. ومواده سنة ٤١٢ وتوفي سنة ٤٩٧ ثامن عشر جمادى الاولى. وكان الخليفة قد لقبه امين الدولة. قال محمد بن عبد الملك الحمدي (ويروى : الحمذاني) : ومن قرأ علم السير عليم ان الخليفة والملك لم يثقوا باحد ثقتهم بامين الدولة ولا نصحبهم احد نصحبه »

وقال عماد الدين الاصفهاني في خريدة القصر :

« ولم يزل امين الدولة موقّراً. وقدر الحرمة ينوب عن الوزارة المقندية والمستظهرية حتى قال عميد الدولة للمستظهر عنه وعن ابن اخيه : هما بيننا الدولة واميناها لا يبرم دونها امر . وكان كثير الصدقة والصلة ذكر عنه انه فرق في يوم من ايام الغلاء (ويروى : في ايام قليلة) ثلاثين الف رطل خبزاً »

وقال ابن الاثير في الكامل في تاريخ سنة ٤٩٧ ان امين الدولة توفي فجأة وانه « كان كثير الصدقة جميل المحضر صالح النية ووقف املاكه على ابواب البر »

(قلنا) فكان جزاؤه على هذا الفضل العميم ان أرغموه على جحود دينه . فتأمل ﴿ آدابه وشعره ﴾ غني عن البيان ان رجلاً تولّى ديوان الانشاء للخلفاء مدة

خمساً وستين سنة بلغ من الآداب مبلغاً عظيماً . قال عماد الدين الاصفهاني يصف

كتابته ويطري حسن انشائه :

« كان امين الدولة بليغ الانشاء سديد الآراء رسالته تعبر عن فضله ووفور علمه . وكان ثمره احسن من نظمه لتدبره عليه وانقطاعه اليه . على ان له مقاطعات مستعذبة اراها احلى من الأزي وأزین من الحلي وهي في اسلوب شعر الكتاب بعيدة عن التكلف في الصنعة ، ارق معنى من الدمة ، واعذب لفظاً [لتكلم] مستبشر الطلعة »

اماً ابن تغري بردي فقد وصفه في تاريخه (٣ : ٣٤٥) بالترسل والشاعر المجيد . وقد خلف ابن موصلايا كتاباً في الترسل ذكره القلقشندي في صبح الاعشى (١٣ : ٢٧٢) . اها شعره فدونك ما جمعنا منه نقلاً عن كتاب خريدة القصر لعبد الدين وعن نكت العميان لخليل بن ابيك الصفدي وعن تاريخ ابن تغري بردي . فنه (من الخفيف) :

يا خليلي خليلاني ووَجدي فكلامُ العذول (١) ما ليس يجدي
ودعاني فقد دعاني الى الحكم م غريمُ الغرامة اللت عندي (٢)
فعساهُ يرقُ اذ ملك الرق م بنقدٍ من وصله او بوعدٍ
ثمَّ مَنْ ذا يُجير منه اذا جا ر ومن ذا على تعديهِ يُعدي
وقال في وصف المدامة (من الطويل) :

وكأسٍ كساها الحسن ثوبُ ملاءةٍ فجازت ضياءَ مُشرقاً يُشبه الشمسا
اضاءت على كف المديروما درى وقد دجت الظلماءُ اصبحَ ام أمسى
ومن شعره ايضاً (من السريع) :

يا هندرتي لفتي مُدنفٍ يحسنُ فيه طلبُ الأجرِ
يرعى نجومَ الليل حتى يرى حلَّ عُراها بيدِ الفجرِ

(١) ويروى : فلام العذول

(٢) ويروى : غريم الغرام الذي عندي . واللت بدل التي لضرورة الوزن

ضاق نطاقُ الصبر عن قلبه عند اتساع الخرق في الهجر
وهو القائل (من الوافر) :

اقول للأنبي في حب ليلى وقد ساوى نهاراً منه ليلاً
أقلّ فما أقلّت قط أرضاً محبباً جرّ في الهجران ذيلاً

وقال في الشوق ووصف الخمرة (من الطويل) :

أحنُّ إلى روضِ التّصايي وأرتاحُ وأمتحُ من حوضِ التّصافي وامتاحُ
واشتاقُ ريثماً كلما رُمّتُ صيدهُ تصدُّ يدي (١) عنه سيوفُ وارماحُ
غزالُ إذا ما لاح أوفاحُ نشرهُ تعذبُ أرواحُ وتَعذبُ أرواحُ
بنفسٍ وان عزّتْ واهليَ اهلهُ لها غررٌ في الحسن تبدو وأوضحُ
نجومُ اعاروا النورَ للبدر عندما اغاروا على سربِ الملاحه واجتاحوا
فتتضحُ الأعذارُ فيهم إذا بدوا ويفتضحُ الإخوان (٢) فيهم إذا لاحوا
وكرخيّة عذراء يُعذرُ حبها ومن زندها في الدهر تُقدحُ افراح (٣)
إذا جليت في الكأس والليل ما انجلي تقابلُ إصباحُ لَدَيْكَ ومُصباحُ
يطوفُ بها ساقٍ لسوقِ جماله نفاقُ لإفسادِ الهوى فيه إصلاحُ
به عجمة (٤) في اللفظ تُغري بوصله وان كان منه في القطيعة إفصاحُ
وغرتهُ صبحُ وضرتهُ دُجى وملبسهُ دُرٌّ وريقتهُ راحُ

(١) وبرى : تصدّى يرى

(٢) وبرى : ويفتضحُ الاخوان

(٣) وبرى : يندر . . . ومن ذنّها . . . تُقدحُ اقداح . واراد بالكرخ خمر كرخ بندا

(٤) وبرى : له عجمة

أَبَاحَ دَمِي مَذْجَتُ فِي الْحَبِّ بِاسْمِهِ وَبِالشَّجْوِ مِنْ قَبْلِي الْمَجْبُونُ قَدْ بَاحُوا
وَأَوْعَدَنِي بِالسَّوْءِ ظُلْمًا وَلَمْ يَكُنْ لِإِشْكَالٍ مَا يُفْضِي إِلَى الضَّيْمِ ابْضَاحُ
وَكَيْفَ أَخَافُ الضَّيْمَ أَوْ أَحْذَرُ الرَّدَى وَغَوَيْتُ عَلَى الْإَيَّامِ أَبْلِجُ وَضَاحُ
وِظْلُ نِظَامِ الْمَلِكِ لِلْكَسْرِ جَابِرُ وَلِلضَّرِّ مَنَاعُ وَلِلْخَيْرِ مَنَاحُ
وله ايضاً (من الطويل) :

وَإِنِّي لَصَبٌّ بِالصَّبَا مَذْغَدَاتُهَا هُبُوبٌ بِهَاتِيكَ الْخِيَامِ يَجُولُ
وَمَنْ عَجَبٍ إِنْ أَبْتَغِي مِنْ نَسِيمِهَا شِفَاءً عَلِيلٍ وَالنَّسِيمُ عَلِيلُ
وله في خريدة القصر من نسخة ليدن ابیات اخرى منها داليةٌ بديعة لم يسمح لنا الزمان بنسخها . أمّا ترسلُهُ فقد ورد منه مثال في تاريخ المجدل لابن ماري (ص ١٣٣- ١٣٥) وذلك نسخة من انشاء عهد كُتِبَ بِاسْمِ الْخَلِيفَةِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ الْجَائِلِقِ النَّسَاطِرَةِ الْفَطْرُكُ عَبْدِيشُوعُ نَذَكَرْ مِنْهُ بَعْضَ فَقَرَاتِهِ كَمَثَالٍ مِنْ انْشَاءِ ابْنِ الْمُوصَلَايَا .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ وَهُدًى

« هذا كتابُ امرٍ بكِيتِيتهِ عبدُ الله ابو جعفر الامام القائم بأمر الله تعالى » اعتضادي بالله » لعبد يشوع الجائليق الفطرك . أمّا بعد فالحمد لله الواحد بغير ثانٍ ، القديم لا عن وجود زمان ، الذي قصرَتْ صِغَةُ الْإِوهَامِ عَنْ ادْرَاكِهِ ، ونضلت صفة الافهام عن بلوغ يدي (مدى) صفاته . . . ليس كمثلِه شيء . وهو السميع البصير » الى ان قال :

« الحمد لله الذي استخلص امير المؤمنين من اذكى الدرجه والارومة واحلَّت (واحلَّهُ) من عزِّ الامانة ذروةً من المجد منيعةً غير مروه (غير مرؤمة) ، . . . ولَمَّا أَنْهَى إِلَى حَضْرَةِ امِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تَمْيِيزَكَ مِنْ نِظَرَانِكَ ، وَتَحْلِيكَ مِنَ السَّدَادِ بِمَا يَسْتَوْجِبُ مَعَهُ مِنْ امِثَالِكَ الْبَالِغَةِ فِي وَصْفِكَ وَاطْرَانِكَ ، وَتَحْصُصِكَ بِالْإِنْخَاءِ الَّتِي قُتِّ

فيها ساو (شأو) اقرانك ، وأفدت بها ما قصر معه مُساجلتك من ابنا جنسك ان يعدلك في ميزانك ، وما عليك (عليه) نِحلتك من حاجتهم الى جاثليق كافل بامورهم ، كافر في سياسة جمهورهم . . . فلم يصادفوا من هو بالرياسة عليهم احق و احرى ، وللشروط الموجبة للمقدم فيهم اجمع واحوى ، وعن اموال وقوفهم اعف واورع ، ومن نفسه اداعي التجري فيها اتبع ومنك اطوع ، فأصاروك لهم راعياً ، ولتشديد نظامهم ملاحظاً واعياً ، وسألوا إمضاء نصبك عليهم . . . فرأى امير المؤمنين الاجابة الى ما وجهت اليه فيه الرعية . . . مقتدياً فيما اسداه اليك ، واسناه من انعامه اديك ، بافعال الائمة الماضين والخلفاء الراشدين ، صلوات الله عليهم اجمعين ، مع امثالك من الجلالة الذين سبقوا ، وفي مقامك اتسقوا ، واوعز ترتييك جاثليقاً لتسطور النصارى في مدينة السلام والاصقاع وزعيماً لهم وللروم واليعاقبة طراً ولكل من تحويه ديار الاسلام من هاتين الطائفتين . . . وان يُخضى تشقيفك لهم وأمرُك فيهم اسوة بما جرى الامر عليه من كان قبلك بينهم . . . فقابل نعمة امير المؤمنين عندك بما يستوجب من شكر يبلغ فيه المدى الاقصى . . . عرض هذا المنشور بحضرة سيدنا وولانا الامام القائم بامر الله امير المؤمنين اعز الله انصاره وضاعف اقتداره ، وأنزله وامضاه ، وشرّفه بالعلامة الطاهرة على اعلاه ، فليُتمد ويُعمل بحسبه ومقتضاه ، ان شاء الله

٢٠ ابو نصر بن موصلايا

﴿ اسمه وزمانه ﴾ هو تاج الرؤساء ابو نصر هبة الله ابن صاحب الخير حسن ابن علي ابن اخت امين الدولة السابق ذكره . كان مولده سنة ٤٢٨ هـ (١٠٣٦ م) وتوفي على ما رواه عماد الدين الاصبهاني في خريدة القصر وابن خلكان في تراجمه (ص ٥٤٥) في عشية الاثنين حادي عشر جمادى الاولى سنة ٤٩٨ ببغداد (اوائل شباط ١١٠٥) وله سبعون سنة وبين موته وموت خاله سنة إلا عشرة أيام (هلاية) ﴿ دينه ﴾ كان ابو نصر كخاله امين الدولة نصرانياً من النحلة النسطورية وتقي على نصرانيته الى السنة ٥٦ من عمره فأسلم مكرهاً مع خاله كما مر . قال

الشيخ خليل بن ابيك الصفدي: «لما رسم الخليفة المقتدي في رابع صفر سنة ٤٨٤ إلزام اهل الذمة الغيار والتزام ما شرطه عليهم عمر بن الخطاب (١) فهووا كل مهرب واسلم ابو غالب الاصباغي وابن موصلايا صاحب ديوان الانشاء وابن اخته ابن صاحب الخير على يد الخليفة»

﴿آدابه واخباره﴾ قال عماد الدولة الاصباهاني :

ربّي ابا نصر خاله فكُتِبَ بين يديه في ديوان الانشاء في الايام القائميّة والمقتديّة والمستظهرية وأسلم مع خاله على يد الامام المقتدي. وكان لما أضرّ خاله يكتب عنه ما جرت به العادة من الإحناءات. فلما توفي خاله ردّ ديوان الانشاء اليه في الايام المستظهرية. وخرج في الرسالة الى السلطين مراراً. وعاد من الرسالة الى بركيارق (٢) بعد موته الى بغداد. . . وكان لا يقاربه احد في الانشاء والعبارة ولم يكتب كتاباً قطّ فرجع فيه الى مبيضة»

وقد ذكره ابن تغري بردي (٣٠٤:٣) بعد ذكره فتح الفرنج لانطاكية وانتصارهم على جيش الامراء المسلمين قال :

«كتب دقاق ورضوان (٣) والامراء الى الخليفة المستظهر العبّاسي يستظهرونهم. فاخرج الخليفة ابا نصر بن الموصلايا الى السلطان بركيارق ابن السلطان ملكشاه السلجوقي يستجده»

وقد ذكره ابن الاثير في الكامل في تاريخ سنة ٤٩٥هـ (١١٠٢م)

«في هذه السنة في ربيع الاول (٢٠١٠١م) خرج تاج الرؤساء ابن اخت امين الدولة ابن سعد بن موصلايا الى الحلة السيفيّة مستجيراً بسيف الدولة صدقة. وسبب ذلك ان الوزير الاعزّ وزير السلطان بركيارق كان ينسب اليه انه هو الذي يُبيل جانب الخليفة الى سلطان محمد. فسار خائفاً واعتزل خاله امين الدولة الديوان وجلس في داره. فلما قُتل الوزير الاعزّ على ما ذكرنا عاد تاج الرؤساء من الحلة الى بغداد وعاد خاله الى منصبه»

وقال في تاريخ سنة ٤٩٧هـ (١١٠٤م) :

«ولما مات امين الدولة خُلع على ابن اخته ابي نصر ولُغِبَ نظام الحضرتين وقُلت ديوان الانشاء»

وقال في تاريخ سنة ٤٩٨هـ (١١٠٥م) :

«وفيها توفي ابو نصر ابن اخت ابن الموصلايا وكان كاتباً للخليفة جيد الكتابة وكان عمره

(١) ما يُنسب هنا لعمّر في إلزام اهل الذمة الغيار لا يثبت التاريخ الصحيح
(٢) بركيارق ومحمد هما ابنا السلطان ملكشاه السلجوقي الذي استولى على بغداد فتنازع

الملك بعده ولداه (٣) كان دقاق صاحب دمشق ورضوان صاحب حلب

سبعين سنة . ولم يُخلف وارثاً لانه اسلم واهله نصارى فلم يرثوه وكان يُبَحِّلُ الا انه كان كثير الصدقة »

ووصفه ابن خلكان في ترجمة خاله قال :

« كان تاج الرؤساء ابو نصر فاضلاً له معرفة بالادب والبلاغة والخط الحسن وكان ذارساتل جيدة وهي مدونة ايضاً ومشهورة »

﴿ شعره ﴾ روى له عماد الدين الاصبهاني شعراً (Ms de Leide 88r, p. 45-46) قال ملفراً في الخاتم (من الوافر) :

ومنكوح اذا ملكته كفٌ وليس يكون في هذا مراة
له عين تخللها (١) ضياء فان كُحلت فبالميل العماء
وقد اوضحته وابنت عنه ففسره فقد برح الخفاء
وله في دالية الماء (اي الناعورة) (من السريع) :

وميتة فيها حراكٌ اذا قامت على منبرها خاطبة
ساعية في غير منفوعها فهي اذا عاملة ناصبة
ان وطئت تحمل من وقتها حين ترى مجذوبة جاذبه
تمد غرناها بري اذا اضحت بروق للحيا كاذبه (٢)

هذا ما امكننا الحصول عليه من اخبار ابني موصلايا . وقد ورد ذكر كاتب آخر بهذا الاسم وهو « ابو علي بن الموصلايا » جاء ذكره في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة قال عنه (١ : ٢٣٢) انه كان كاتباً للوزير ابي قاسم المغربي . وذكره ابن بطلان في رحلته التي روينها منها قسماً ان من جملة المتوفين باطاعون في اواسط القرن

(١) ويروى: تخللها

(٢) قال في شرحها اي انما اذا قامت على حائطها صارت ذات حركة واذا وطئت بالارجل تحمل من وقتها بالماء وفلا تدها الحبال الملققة بها . والحيا المطر

الخامس للهجرة كان أبو علي بن الموصلايا من متقدمي علوم الادب والكتابة .
فيكون سبق عهد امين الدولة وتاج الرؤساء وهو من اسرتها في بغداد

٢١-٢٢ أبو غالب وأبو طاهر ابنا الاصبغاني

﴿ اخبارهما ودينهما ﴾ هما اخوان نصرانيان من كتبة ديوان الانشاء للخلفاء
كانا معاصرين لابني الموصلايا اضطرأ مثلهما الى الإسلام لينجوا من تذليل النصارى
كما مر سابقاً . أمّا اخبارهما فلم نجد لها في غير خريدة القصر لعاد الدين الاصفهاني
نقلها عن نسخة لندن (British Museum, Ms. 1096, ff. 40-46) وباريس
(Paris, Ms. 3326, f. 7) وليدن (Leide, Ms. 881, p. 46-49) قال الاصفهاني
عن ابي غالب :

« هو تاج الرؤساء أبو غالب بن الاصبغاني الكاتب كتب بديوان الذمام (١) في بعض
الأيام المستظاهرة وناب عن ديوان الذمام في أيام المعتدي . وله تصنيف في علم الكتابة . وجماعة
الحساب وكتاب العراق يكتبون الحساب على طريقتيه . وأسلم في صفر سنة ٤٨٤ (١٠٩١ م)
قبل اسلام ابني موصلايا بيوم حيث خرج التوقيع الشريف بإلزام اهل الذمة بالغيار وكان من
بركات ذلك اسلامهم (كذا) »

وقال عن ابي طاهر : « أبو طاهر بن الاصبغاني اخوه كان يخدم عفيفاً القائم (٢)
وانصرف عن خدمته فبلغه انه تهدده وكان عفيف قد بنى داراً وانفق على سقها في
التذهيب اكثر من خمسة آلاف دينار فعمل فيه أبو طاهر ابياتاً غاظته فتهدد ابا
طاهر . ولم يذكر العاد إسلام ابي طاهر
﴿ شعرهما ﴾ روى العاد الاصفهاني لابي غالب قوله يصف الحمرة وفعلها في
شاربها (من الكامل) :

عقرتهم معقورة لو سالت شرابها ما سميت بمقار
ذكرت طوائفها القديمة اذ غدت صرعى تداس بأرجل العصار

(١) روى في احدى النسخ: ديوان الزمام وفي نسخة اخرى: ديوان الزمام بالزاي

(٢) يريد احد الامراء الذين في خدمة القائم باسم الله الخليفة العباسي

لَأَنْتَ لَهُمْ حَتَّى انْتَشَوْا وَتَمَكَّنْتَ مِنْهُمْ فَصَاحَتْ فِيهِمْ بِأَثَارِ
وَقَالَ مَلْفَزًا فِي الْقَمَرِ (مَنْ السَّرِيعُ) :

مُقَامَرٌ مَذْكَانٌ لَمْ يُقَمَّرْ كَأَنَّمَا يَلْعَبُ بِالسُّدْرِ
يَعِشَقُهُ النَّاسُ عَلَى جَوْرِهِ وَالْجَوْرُ مَمْقُوتٌ عَلَى الْأَكْثَرِ
شَبَابُهُ الْمَرْمُوقُ فِي شَيْبِهِ وَشَيْبُهُ مَذْكَانٌ لَمْ يَخْطُرْ
يَدُلُّ فِي الْبَيْعِ وَلَكِنَّهُ يَمِيلُ أَحْيَانًا مَعَ الْمُشْتَرِي
حَدِيثُهُ مَعَ أَنَّهُ صَامِتٌ يَهْيِجُ مِنْ شَقَشَقَةِ السُّمْرِ (١)

وروى لابي طاهر الابيات التي ذكر فيها تزويق عفيف القائي لسقف داره
وتذهيبها قوله (من الطويل) :

تَنَوَّقْ وَزَوِّقْ وَادْهِنْ السَّقْفَ وَالْعُمْرَا فَاِنْ تَمَّ فَارْكَتَبْ تَحْتَ زَنَارِهِ سَطْرَا
عَلَوْْ وَإِقْبَالَ وَمَجْدُ مَوْثَلُ لَصَاحِبِهِ حَقًّا وَمَالِكِهِ دَهْرَا
لَمَنْ عِنْدَهُ فِي الدَّارِ وَجْهٌ مُقَدَّرُ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْوَجْهِ وَالْأَوْجُهُ الْآخَرَى
وَهَذَا دَعَاءُ أَنْتَ مِنْهُ مَبْرَأُ وَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ أُخْرَى
قَالَ فَتَطَيَّرَ عَفِيفٌ مِنْهَا وَمَاتَ بَعْدَ شَهْرٍ وَاخَذَ الْمُقْتَدِي السَّقْفَ فَكَانَ اللَّهُ أَنْطَقَ
مَا فِي الْقَدَرِ عَلَى لِسَانِهِ

٢٣ ابن بابي

﴿زَمَانُهُ وَدِينُهُ وَخَبَارُهُ﴾ هو أحد كبار الكتّاب عاش في أواخر القرن الخامس

(١) قال الشارح: سمّاهُ مقامراً لأن اسمه فعل القمار. ولقبه السُّدْر (ويروى: الصُّدْر) معروف وجوره علوه. وشبابه إيداره. والمنجسون ذكروا أن له ميلاً مع المشتري. وحديثه

دوام ضوئه

للهجرة واوائل السادس اعني في القرن الحادي عشر للمسيح . اصله من بغداد من نصارى النساطرة وأتما انتقل الى مدينة واسط التي كانت في ذلك العهد من حواضر العراق متوسطة بين الكوفة والبصرة واشتهر بين ادباؤها . وقد افادنا عن كل ذلك عماد الدين الاصفهاني في تأليفه خريدة القصر وجريدة العصر قال : (Ms de Leide : 881, ff 163, Ms de Paris 3326 ff. 163^v) ابن بابي الواسطي النصراني توفي بعد الخمسمائة وكان من ظرفاء واسط واعيانها . وله شعر لطيف ونظم ظريف وعبارة مستعذبة وكلمات مطربة معجبة . ولم أدرك زمانه . انشدني له الرئيس العلاء بن السوادى بواسط سنة ثلث وخمسين وخمسمائة (١١٥٨م) وذكر انه كان من بغداد واقام مدة عمره بواسط

﴿شعره﴾ قال ابن السوادى انشدني ابو غالب ابن بابي النصراني الكاتب لنفسه (من مجزؤ الكامل) :

وَعَشِقتُ حَتَّى ما أَمَا لُ وَهَمْتُ حَتَّى ما أُفِيقُ
وَأنا بَعْدَ رَيِّ الصبا بة في الهوى نَسِي عَرِيقُ

(قال) وانشدني ايضاً ابو غالب لنفسه في جارية دخلت عليه يوم كسوف الشمس في لباس اسود (من الكامل) :

عَايَنْتُ في حُلِّ السوادِ خَريدةً مِثْلَ القُضيبِ المائِلِ المِياسِ
قُلْتُ : أَسْلَمِي ما ذا اللباسُ وغيَرُهُ أَدَّى الى الإِبْهاجِ والايَناسِ
قَالَتْ : فِهْذِي الشمسُ أُخْتِي عَوِجَلَتْ بِالِافتِضاحِ في اَعينِ الناسِ
طَلَعَتْ فشا كَلْتُ الضياءَ بَطَلَعَتِي وَدَجَّتْ فشا كَلْتُ الدُّجى بِلِباسِي

(قال) وانشدني ابن بابي لنفسه في بغداد سابع ربيع الاول سنة سبع وخمسين (١١٦٢م) يصف غلاماً ورد من سفر شاحباً (من السريع) :

فَدَيْتُ مَنْ أَقْبَلَ مِنْ سَفَرَةٍ فَأَقْبَلْتُ نَفْسِي على أَنسِها
وَقُلْتُ اذْ أَبْصَرْتُهُ شاحِباً قَدْ خَضَبَتْهُ الشمسُ مِنْ وَرْسِها

ما كان عندي ان شمس الضحى
تعمل في الخلق وفي نفسها
وله في غلام رَمِد (من البسيط) :

واهيف كقضيّب البان مقلته
قالوا : تمكّن من اجفانه رَمِدُ
فقلت : بل وجهه شمس منورة
وله في غلام خازن (من المتقارب) :

ايا خازناً حافظاً للحفا
لئن كنت تحفظ مالي لقد
ظ اصبي الانام بوجه مليح
أضعت بهجرك قلبي وروحي
وقال في غلام خياط (من الطويل) :

مررت بخياط حكي البدر طلعة
يقد ويفري الثوب ثم يخيطه
وشا كل غصن البان لما أنشئ قدّا
فلم ثوب قلبي لا يخاط وقد قدّا
وقال في صديق نال رتبة شريفة فنها عنه (من الطويل) :

منحتك صفو الودّ اذ نحن جيرة
وأملت ما قد كان من ربّ العلى
وموردنا في الأئس جمّ الجداول
فلا تحدّثني فيك زهو المطاويل
فان الغصون الشاخات تميلها
وقال في الشوق (من البسيط) :

عطفاً سعاد فقد أودى بي الكمد
وعدت اطلب في تيار حِكَم
وخانني صاحباي الصبر والجلد
شريعة ارتقي فيها فلا أجد
فكيف خصّ باثواب الضنى الجسد
طرنى جنى وفوادي فيك تابعه

وقال في معناه وفيه لزوم ما لا يلائم (من مجزؤ الرمل) :

كلّ يومٍ لا أراكم هو عندي مثلُ حَوْلٍ
فانا المذنبُ بالشو قِ ولا عَوَادَ حَوْلِي
جُلُّ ما ألقاهُ فيكم أن أعانيه بحَوْلِي (١)

وقد وجدنا له في مجموعة مخطوطة عند المرحوم طُتوس افندي اصفر . قال ابو غالب الواسطي (ص ٤٩ من الكتاب) (من البسيط) :

ما زلتُ أجزرُ قلبي عنكم ثقةً بأنَّ عِشْدَكُمُ ما زال محلولا
فحلَّ بي عندكم ما كنتُ أحذره ليقضيَ الله امرأ كان مفعولا
وقال يصف المدام وساقيا (من الطويل) :

وضافية صهباء من نسلِ كَرَمَةٍ منابتها قد أعرقت في المكارمِ
يطوفُ بهاساقٍ أغرُّ كأنه هلالٌ تبدَّى من مُتون الغمامِ
لواظهُ وَقَعُ الأسنّةِ دُونها والأفاظهُ سَلُّ السيفِ الصوارمِ
وفي عارِضِيهِ للمُحِبِّ مَعادِرُ بخطِّ عِذارٍ كَفَّ غَرْبَ اللوائِمِ

وقال في غلام (من المتقارب) :

تَبَسَّمْ عن بَرَدٍ ناصعٍ ولا حظَّ عن مُرْهَفٍ قاطعٍ
وحَطَّ اللثامُ فقلنا الغمامُ تجلَّى عن القَمَرِ الطالعِ

وروي له ايضاً هناك (ص ٤٨) قوله (من البسيط) :

بما بعينيك من غُنَجٍ ومن حَوَرٍ وما بحدّيك من وَرْدٍ ومن زَهَرٍ

وما بشغرك من در ومن برد
وما به من رضاب فائح عطر
وطرقة طار لي عند رؤيتها
وغرة تركت عيني على غرار
وحاجب حجب السلوان عن فكري
وعارض عرض الاجفان المسهر
وقامة قد امانتني على قدم
في معرك الوجد والإطاع والخذل
هب لي اماناً من الحيران ان له
كاساً تجرعت منها علقم الصبر

٢٤ ابن ابي سالم النصراني

﴿اصلُه . دينُه . اخبارُه . وشعرُه﴾ هو ايضاً احد الشعراء الذين ذكرهم عماد الدين الكاتب الاصفهاني في كتابه خريدة العصر وجريدة القصر (Ms de Paris 1414, ff. 192, Ms de Leide, 881) قال في نسبه : « هو الرئيس ابو الحسن عيسى بن الفضل النصراني المعروف بابن ابي سالم » ثم ذكر زمانه وقد ادركه العماد في شيخوخته ورآه في اواسط القرن السادس للهجرة كشيخ بهي ولم يذكر سنة وفاته . ومما يؤخذ من كلامه انه خدم بني مروان اصحاب ميافارقين وبني بويه . وهذا كلامه :
« الرئيس ابو الحسن عيسى بن الفضل النصراني المعروف بابن ابي سالم وكان شيخاً بهياً . ولما حل والدي (١) بالوصل سنة اثنتين واربعين وخمسمائة (١١٤٧م) كان يزورنا ويعرض علينا العم الصدر الشهية عزيز الدين اليه (٢) ولم اثبت له شيئاً فسأت الآن

(١) والد عماد الدين الكاتب يدعى صفياً الدين ابا الفرج محمداً

(٢) قول العماد « العم عزيز الدين » يريد به عمه ابا نصر احمد الاصفهاني المستوفي وبه عرف هو ابن اخي العزيز . قال ابن خلكان (ص ٨٩) كان العزيز رئيساً كبير القدر ولي المناصب العالية في الدولة الساجقية ولم يزل مقدماً فيها . قصده بنو الحاجات ومدحه الشعراء واحسن جوائزهم . . . وكان ابن اخيه العماد يفتخر به كثيراً . قتله السلطان سنجر بن ملكشاه سنة ٥٢٥ و قيل ٥٢٦ هـ (١١٣٠م)

الشاتاني (١) فقال: هذا من بيت كبير ابوه كان وزير بني مروان يمياً فارقين (٢) وأمه يقال لها الست الرحيمة قال لها نظام الملك (٣): أنت الست الرحيمة؟ قالت: بل الأمة المرحومة. وكان (ابن ابي سالم) مشهوراً بين ارباب الدولة وأمه اشعار غثة وسمينة واهية وممتنة وقد وازن الامير تميم بن المعز المصري (٤) في قوله:

أَسْرِبُ مَهْ عَنْ أُمِّ سِرْبٍ جَنَّةٍ حَكِيمَتُهُنَّ وَلَسْتَنَّ هُنَّ

بقصيدة أولها (من الطويل):

لقد عذب الماء من ريقه وطاب الهواء بانفاسه

وله الى بها الدولة (٥) صاحب شاتان (٦) وقد سافر الى حصن زياد (٧) (من الطويل):

(١) الشاتاني هو علم الدين ابو علي حسن بن سعيد ولد في شاتان بلدة في نواحي ديار بكر سنة ٥١٣ هـ (١١١٩ م) وتوفي في شبان سنة ٥٧٩ هـ (١١٨٣ م) كان اديباً شاعراً سكن بغداد وودحه العلماء. وكان قدم دمشق وعقد له فيها مجلس وعظ سنة ٥٣١ (١١٣٧ م) وقدم على صلاح الدين ايوبي في مصر سنة ٥٧٣ (١١٧٧ م) فأكرم مثواه

(٢) بنو مروان المذكورون هنا ينسبون الى ابي علي بن مروان الكردي تولى بعد ان قُتل باد خاله سنة ٣٨٠ هـ (٩٩٠ م) على ديار بكر وعلى المدن اللاحقة بها كأمد واربز الروم وميافارقين وحصن كيفا ومضى الى مصر فقلده الخليفة العلوي المعز لدين الله ولاية حلب وكانت وفاته سنة ٣٨٧ هـ (٩٩٧ م) قتله اهل آمد فخلفه اخواه عمهد الدولة ابو منصور (٣٨٧-٤٠٢) ثم نصر الدولة ابو نصر احمد (٤٠٢-٤٥٣) ثم ابناء نصر سعيد ونصر (٤٥٣-٤٧٢) واخرهم منصور ابن نصر بن احمد فاستولى على دولته سنة ٤٧٨ فخر الدولة بن جهير (١٠٨٥ م)

(٣) نظام الملك هو ابو علي الحسن كان اصله من طوس. اتصل بالب ارسلان بن داود بن ميكائيل السلجوقي فخدمه بصفة وزيره فعز شأنه وبني المدارس والمساجد. قال ابن خلكان هو اول من انشأ المدارس فاقتدى به الناس واليه تنسب المدرسة السطامية في بغداد سنة ٤٥٧ (١٠٦٥ م) قتله صبي دليعي سنة ٤٨٥ في ١٢ رمضان (١٠٩٢ م)

(٤) يريد ابا علي تميم بن المعز. كان ابوه صاحب الديار المصرية والمغرب وهو الذي بنى القاهرة الميمنية. لم يملك ابنته تميم بعده لأن ولاية العهد كانت لاختيه العزى وكان هو شاعراً ماهراً لطيفاً ورد ذكره في كتاب اليتيمة للشالبي مع كثير من مقاطيع شعره (١: ٣٥٥-٣٤٥) توفي تميم سنة ٣٧٤ هـ وكان مولده ٣٣٧ هـ (٩٤٨-٩٨٤ م)

(٥) هو بهاء الدولة ابو نصر بن عضد الدولة بن بويه ملك العراق توفي سنة ٤٠٣ هـ (١٠١٢ م) (٦) شاتان قلعة في ديار بكر

(٧) قال باقوت في معجم البلدان (٢٧٦: ٢): «حصن زياد بارض ارمينية ويعرف اليوم

بجرتسرت وهو بين آمد ومطية وهو الى ملتطية اقرب»

تَكُونُ بِمَافَارِقِينَ وَوَحْشَتِي تَرِيدُ لِنَايَ عِنكُمْ وَبِعَادِي
فَكَيْفَ احْتِيَالي وَالْمَهَامَةُ بَيْنَنَا تَحُولُ وَاطْوَادُ لِحْصَنِ زِيَادِ
هذا ما رواه العباد الاصفهاني ولم نقف على ذكر ابن ابي سالم في غير العباد كما
انه لم يعرف سنة وفاته

٢٥ ابو الفتح بن صاعد

اسمه ودينه وشعره هو ايضا من شعراء بغداد الذين ورد ذكرهم في
خريدة القصر وجريدة العصر للعباد الاصفهاني ومنه يُعرف زمانه انه كان في القرن
السادس للهجرة والثاني عشر للمسيح وقد دعاه في كتابه (Ms de Leide, 881,
'f. 54^r: Ms de Paris, 1447, ff. 54^v) جمال الرؤساء ابو الفتح بن صاعد النصراني.
وقد وجدنا في مخطوط آخر من مكتبة ليدن في كتاب اخبار الملوك وتزهر المالك
والمملوك في طبقات الشعراء للملك المنصور صاحب حماة المتوفى سنة ٦١٧هـ (١٢٢٠)
(Ms de Leide 884) ثم في طبقات الشعراء لابن ابي اصيبعة (١: ٢٧٥) انه يُدعى
«جمال الرؤساء ابو الفتح هبة الله بن الفضل بن صاعد البغدادي»
ولم يُفدنا هؤلاء الكتبة شيئا عن اخبار ابي الفتح إلا انهم رووا له قطعاً من
شعره. فَمَا رَوَاهُ الْعَبَادُ الْكَاتِبُ قَوْلُهُ مَلْفُزاً فِي وَصْفِ خِيَمَةٍ (من الوافر):

وَذَاتِ ذَوَائِبٍ بِيضٍ خَوَالٍ وَلَيْسَ بِيَاضُهَا مِنْ فَرْطِ كِبَرٍ
لَهَا فَرْجٌ وَلَيْسَتْ ذَاتَ بَعْلٍ يَطَاهَا النَّاسُ مِنْ عِبْدٍ وَحَرٍّ
وَأَذَانٌ وَلَيْسَ تُصَيِّخُ سَمْعاً إِلَى الدَّاعِي وَلَيْسَتْ ذَاتُ فَتْرٍ
وَيَحْمِلُ بَطْنُهَا عِدْداً كَثِيراً وَلَمْ تَرَحَامَ لَا شَخْصاً بَطْهَرٍ
تَرَى فِي سَاقِهَا قَيْدِي حَدِيدٍ وَكُلُّ مِنْهُمَا فِي عَرْضِ فِتْرِ
وَتُنْظَرُ أَكْثَرَ الْأَوْقَاتِ حُبْلَى وَفِي وَقْتِ الْوِلَادَةِ ذَاتُ طَهَرٍ

فَفَسِّرْ مَا ذَكَرْتُ وَكُنْ مُبِينًا لِمَا أَلْفَزْتُ مِنْ مَعْنَى وَشِعْرِ
وروى له صاحب اخبار الملوك ونزهة المالك والملوك قوله في غلام (من مجزوء
الرمل) :

زاد في حُسن حبيبي ما به زاد الجنونُ
عارضُ أنْبَتَهُ الحَسَنُ لِرَعَاهُ العيونُ
وقال في العذار (من المنسرح) :

يلومني في هواهُ قومُ ما رأيهم في الهوى صحيحُ
فكيف أسلو وقد بدالي عذارهُ الاخضرُ المايحُ
وقال في وصف غلام (من مجزؤ الخفيف) :

يا لَعَيْنٍ فَسِحْرُهَا جَلَّ عَنْ سِحْرِ بَابِلٍ
وجفونٍ قَسَّيَتْهَا مَنَعَتْ مِنْ تَوَاصُلِي
وعِذارٍ تَقِيمُ عُذُّ رِي عِنْدَ الْعَوَاضِلِ
تَحْتَ صُدُغٍ مُبْلِلٍ زَائِدٍ فِي بِلَابِلِي
لَا تَسَلَّيْتُ عَنْ هَوَا هُ وَانْ كَانَ قَاتِلِي

وقد جاء في كتاب طبقات الاطباء لابن ابي اصيعة ان امين الدولة ابا الحسن
هبة الله المعروف بابن التلميذ الطبيب النصراني كتب الى المترجم جمال الرؤساء ابي
الفتح جواباً الايات التالية (٢٧٥:٢) :

ما نُشِرُ انْفَاسَ الرِّياضِ مَرِيضَةً عَوَّادُهَا طُلُّ النَّدى وَقَطَارُ
بَدِينَةٍ مَيِّئَةٍ حَلَّى وَجْهَهَا وَحَبَا عَلَيْهَا حَنُوءٌ وَعَرَّارُ

كفَلْتُ بِثَوْعِهَا مَوْبِدَةً جَا وَكَفَى صِدَاها جَدُولٌ مَدْرَارُ
 بَكَتِ السَّاءُ فَأَضْحَكْتُهَا مِثْلَ مَا ابْكِي فَتَضْحَكُ بِي الْغَدَاةُ نَوَارُ
 وَإِذَا تَعَارَضُهَا ذُكَاةٌ تَشْمِشَعَتْ فَتَمَازِجُ النُّوَّارُ وَالنُّوَّارُ
 مَشَتْ الصَّبَا بِفِرْعَوْنِهَا مِثْلَ مَالَةٍ فَصَبَا الْمَشُوقُ وَغَيْرُهُ اسْتَعْبَارُ
 وَإِذَا تَغَنَّى الطَّيْرُ فِي أَرْجَائِهَا ابْدَى بِلَابِلَ صَدْرِهِ التَّذْكَارُ
 يَوْمًا بِأَطْيَبِ مَنْ جَوَارِكِ شَاهِدًا أَوْ غَائِبًا تَدْنُو بِكَ الْإِخْبَارُ

٢٦ ابن أبي الخير سلامة الدمشقي

﴿أصله دينه زمانه﴾ هو أيضاً أحد الشعراء النصارى الذين نظمهم في تراجمه عماد الدين الكاتب الاصفهاني في كتاب خريدة القصر وجريدة العصر. على انه لم يزد في تعريفه له على سطرين فقال، (Ms de Paris 1414, ff. 71^v et Ms de Leiden, 245, n° 71) : «هو ابو الحسن بن ابي الخير سلامة كان نصرانياً من اهل دمشق وكتباً لتاج الملوك اخي الملك الناصر فيه ادب وذكاء.»

فمن هذه الالفاظ القليلة يظهر أولاً أصله فأنه من اهل دمشق. ثم دينه النصراني وزمانه اذ عاش في الفصل الثاني من القرن السادس للهجرة. يتقرر ذلك من كونه كاتباً لتاج الملوك اخي الملك الناصر. ولكن من هو تاج الملوك ومن هو الملك الناصر؟ اذ لم يزد العماد في هويتها وقد عرف غيرهما بتاج الملوك وبالمملك الناصر فبقينا مرتابين في امرهما الى ان تحققت ان تاج الملوك هذا هو اخو الملك الناصر يوسف بن أيوب الشهير بصلاح الدين فاتح الشام والجزيرة ومصر المولود سنة ٥٣٢ هـ والمتوفى سنة ٥٨٩ (١١٣٨-١١٩٣م). وكان للسلطان صلاح الدين عدة اخوة اشتهر منهم الملك العادل سيف الدين ابو بكر. وكان اصغر اخوته تاج الملوك هذا واسمه تاج الملوك يوري تبع اخاه صلاح الدين لما خرج من مصر قاصداً فتح الشام والجزيرة. فبلغ الى الكرك وسار الى الحسي فاقر اخاه تاج الملوك على الناس وامره بان يسير بهم عتة. ثم لحقوا بالسلطان بعد اسبوع بالازرق وهو ماء في طريق حاج الشام وذلك في اول سنة ٥٧٨ (١١٨٢م) هذا ما رواه شهاب الدين المقدسي في كتاب الروضتين

ثم مشى في خدمة أخيه السلطان لفتح بلاد نور الدين زنكي وحاصر معه الموصل وكان صاحبها عماد الدين زنكي بن مودود قال ابن شداد في تاريخ صلاح الدين : « ونزل تاج الملوك بوري أخو صلاح الدين على باب الهادي وجرى بينهم القتال ففتحت الموصل . ثم عاد السلطان إلى حلب فحاصرها وفتحها في صفر سنة ٥٧٩ (١١٨٣م) » . قال أبو الذئد في تاريخه : « وكان في جملة من قُتل على حلب تاج الملوك بوري بن أيوب أخو السلطان الناصر . وكان كريماً شجاعاً طعن في ركبته فانفكت فمات منها » . وقال ابن شداد في سيرة صلاح الدين : « وشقَّ أمرُ موته على السلطان وجلس للعزاء . . . » . ففي خدمة تاج الملوك هذا كان ابن أبي الخير سلامة النصراني كاتباً وكان مقيماً في دمشق وطنه كما يلوح من شعره

ولنا في تعريف زمانه أنَّ عماد الكاتب ذكر تاريخ بعض شعره في السنة ٥٧٢ (١١٧٦م) لكنَّهُ لم يذكر سنة وفاته

﴿ أدبه وشعره ﴾ رأيت في ما قاله عماد الكاتب أنَّ أبا الحسن بن أبي الخير سلامة « كان فيه أدب وذكاء » ثمَّ روى له عدَّة قطع شعريَّة فأتسع بروايتها على خلاف عادته في وصف معظم الشعراء الذين ذكرهم . وبين قصائده ما قاله في تاج الملوك سيِّده ومنها يتَّضح أنَّه لم يكن فقط كاتباً بل كان شاعراً ايضاً مقرباً من الملوك . ولعلَّه صنَّف ديواناً وقف عليه العماد الأصفهاني فنقل عنه المقاطيع المذكورة التي تشهد له بحسن القرينة وسلامة الذوق . فمَّا نقله قوله يدح تاج الملوك من أبيات صنَّفها في زمن الربيع (من البسيط) :

تاج الملوك ادام الله نِعْمَتَهُ أسخى البرية من عجم ومن عرب
مولى أياديه في ارضٍ يحلُّ بها أجدى واحسن آثاراً من السحب
تفتح النور فيها من أنامله فتنبلي منه في أثوابه القُشب
حتى ترى روضها يحكي مواهبه فالبعض من فضة والبعض من ذهب
وله من قصيدة بعث بها إليه في الربيع (من السريع) :

مولاي مجد الدين قد عاودت دِمَشقَ من بعدك أشجانها

نَيرُبُهَا (١) قَد مَاتَ شَوْقًا إِلَى مِ الْمَوْلَى وَوَادِيهَا وَمِيدَانُهَا
 مَالَتْ إِلَيْهِ فِي بَسَاتِينِهَا مِنْ شِدَّةِ الْأَشْوَاقِ اغْصَانُهَا
 وَأَقْسَمَتْ مِنْ بَعْدِهِ لَا صَحَا مِنْ لَوْعَةِ الْأَشْجَانِ نَشْوَانُهَا
 وَمَاسَ مِنْ أَشْوَاقِهِ (٢) آسُهَا وَاهْتَزَّ إِذْ بَانَ لَهُ بِأَنْهَا
 وَغَنَّتِ الْأَطْيَارُ مِنْ شَجْوِهَا وَاخْتَلَفَتْ فِي الدَّوْحِ الْحَانُهَا
 وَاصْفَرَّتْ فِي الرُّوضَةِ مَنُشُورُهَا مِنْ شَوْقِهِ وَاخْضَرَّتْ رَيَّحَانُهَا
 رَقَرَّتِ الدَّمْعَ عَلَيْهِ كَمَا تَرَقَّرَتْ بِالْمَاءِ غُذْرَانُهَا
 فَلَا خَلَا يَا خَيْرَ هَذَا الْوَرَى بَطْنَانُهَا مِنْكَ وَظَهْرَانُهَا
 تِلْكَ هِيَ الْجَنَّةُ لَكِنَّمَا مَذْ غَبَّتْ عَنْهَا غَابَ رِضْوَانُهَا
 (قال) وَلَهُ فِيهِ وَقَدْ وَعَدَهُ بِجَلْعَةٍ (مِنْ الْبَسِيطِ) :

يَا مَنْ لَهُ الشُّكْرُ بَعْدَ اللَّهِ مَفْتَرَضٌ عَلَيَّ مَا عَشْتُ فِي سَرِّي وَفِي عَلَنِي
 إِنْ كَانَ غَيْرُكَ لِي مَوْلَى أَوْ مَلَأَهُ وَأَرْتَجِيهِ فَكَانَتْ خِلْعَتِي كَفْنِي
 (قال) وَلَهُ يَقْتَضِيهِ بِالْخُلْعَةِ وَقَدْ عَزَمَ عَلَى السَّيْرِ إِلَى الْعَسْكَرِ الْمَنْصُورِ (مِنْ
 الْمَجْتَبِثِ) :

مَوْلَايَ جُدْ لِي بِوَعْدِي مِنْ قَبْلِ سَيْرِ الرِّكَابِ
 أَنْعِمْ عَلَيَّ بِشَوْبٍ تَرَبَّحَ جَزِيلَ ثَوَابِي
 ثَوْبٌ تَكَامَلَ حُسْنًا كَخُلُقِكَ الْمُسْتَطَابِ

(١) قال ياقوت في معجم البلدان (٤ : ٨٥٥) : « نهر بقرية مشهورة بدمشق على نصف فرسخ في وسط البساتين اتزه موضع رأيتُهُ »
 (٢) في الاصل : اسواقه

كَأَنَّهُ زَمَنُ الْوَصْلِ م فِي زَمَانِ الشَّبَابِ
وَفُوطَةٌ مِثْلُ شِعْرِي رَقِيقَةٌ أَوْ شَرَابِي
طَوِيلَةٌ مِثْلُ لَيْلِي لَمَّا جَفَا أَحْبَابِي
كَأَنَّهُا رَمَضَانٌ إِذَا أَتَى فِي آبِ

قال العباد: ومن محاسنه في تاج الملوك (من مجزؤ الكامل):

يَا حَبْدًا ابْوَاهُ إِذَا وَلَدَاهُ مِنْ كَرَمٍ وَخَيْرِ
وَكَذَاكَ قَدْ يُسْتَخْرَجُ م الدُّرُّ النَّفِيسُ مِنَ الْبُحُورِ
وَالشَّمْسُ مِنْ أَنْوَارِهَا يَبْدُو سَنَا الْقَمَرِ الْمُنِيرِ
مَا زَالَ مِنْذُ فِطَامِهِ فِي عَقْلِ مُكْتَهَلٍ كَبِيرِ
مَوْلَى حَوَى سِنِّ الْأَكَا بَرٍ وَهُوَ فِي سِنِّ الصَّغِيرِ
وَلَقَدْ رَقَى دَرَجَ الْأَوَا ثَلٍ وَهُوَ فِي الزَّمَنِ الْآخِرِ

وقال فيه أيضاً يستجديه (من الكامل):

يَا مَنْ يَعُمُّ سَمَاحَهُ وَنَوَالُهُ كَرَمًا كَمَا عَمَّ السَّحَابُ الْمُطِيرُ
وَيَفْنُو مَا بَيْنَ الْأَنَامِ ثَنَاؤُهُ فَكَأَنَّهُ فِي كُلِّ حِينٍ غَنَبَرُ
أَنِي شَقِيتُ وَفِي ظِلَالِكَ أَنْعَمُ وَلَقَدْ ظَلِمْتُ وَفِي يَمِينِكَ أَتَجَرُ
وَلَقَدْ ذَلَلْتُ وَأَنْتَ حَصْنٌ مَانِعٌ وَلَقَدْ ضَلَلْتُ وَأَنْتَ بَدْرٌ تَنِيرُ
أَغْنَى جَدَاكَ النَّاسَ إِلَّا فَاتَنِي فَاللَّهُ يُغْنِي مَنْ يَشَاءُ وَيُقْفِرُ
فَلَنْ نَظَرْتَ إِلَيَّ نَظْرَةَ مُجْمِلٍ فَلَا نَتَّأَوَّى بِالْجَمِيلِ وَاجْدَرُ

ثم قال عماد الدين صاحب الترجمة: ومدحني (أي ابن أبي الخير) وهي في حسن

الفريدة في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين (وخمسائة) (١٧٧٢م) (من الكامل) :

أَمْطِيلَ عَذْلِي فِي الْهَوَى وَمُفَنِّدِي هَلْ أَنْتَ مِنْ غِيِّ الصَّبَابَةِ مُرْشِدِي
هِيَهَاتِ مَا هَذَا الْكَلَامُ بِزَاجِرِي فَأَنْقُصْ أَبَيْتَ اللَّعْنِ مِنْهُ أَوْ زِدِ
أَنْتَ الْفِدَاءُ وَمَنْ يَلُومُ لَشَادِنِ أَنَا فِي هَوَاهُ مُضَلَّلٌ لَا اهْتِدِي
يَجْلُو لَعِينِكَ غُرَّةً فِي طُرْقِ فَيُرِيكَ أَحْسَنَ أَبْيَضٍ فِي اسْوَدِ
يَسْطُو عَلَى عَشَّاقِهِ مِنْ قَدَمِ وَجْفُونِهِ بِمُتَقَفٍ وَمَهْنَدِ
قَرُّ يَظَلُّ الْمَاءُ فِي وَجَنَاتِهِ وَالنَّارُ بَيْنَ تَرْقُوقٍ وَتَوَقُّدِ
وَمَنْ الْعَجَائِبُ أَنَّ نَارًا خَالَطَتْ مَاءً وَأَنَّ ضَرَامَهَا لَمْ يَخْمُدِ
وَكَذَلِكَ مَاءُ الدَّمْعِ إِنْ تَنَضَّحَ بِهِ (١) نَارَ الصَّبَابَةِ وَالْأَسَى تَتَوَقَّدِ
فَصَبَابَتِي لَمَّا تَخَفَّ وَأَدْمَعِي لَمَّا تَحَفَّ وَزَفَرْتِي لَمْ تَبْرُدِ
كَمْ بَتُّ أَرعى الْفَرْقَدَيْنِ كَلَامَهُمَا شَفَفًا بَيْنَ يَرُونِ بَعِينِي فَرَقْدِ
أَلَيْتُ أَرْقُدُ فِي هَوَاهُ وَمَنْ يَكُنْ ذَا لَوْعَةٍ - وَعَلَاقَةٍ لَمْ يَرْقُدِ
عَلَّ اللَّيَالِي يَكْتَسِبْنَ بِشَاشَةً يَوْمًا فَتُشْجَزَ بَعْدَ مَطْلٍ مَوْعِدِي
أَنْ رَقَّ لِي بَعْدَ الْقَسَاوَةِ قَلْبُهُ فَالْمَاءُ يَقْطُرُ مِنْ صِفَاحِ الْجَلْمِدِ
فَاجْعَلْ لِحَاطِكَ فِي مُحَاسِنِ وَجْهِهِ أَنْ تَسْتَطِيعَ نَظْرًا إِلَيْهِ وَرَدِّ
تَنْظُرَ إِلَى الْأَنْوَارِ بَيْنَ مُمَسِّكَ وَمُثَبِّجٍ وَمُرْجَسٍ وَمَوْرِدِ
فَكَأَنَّهَا نَوْرُ الرَّبِيعِ إِذَا بَدَا أَوْ حَسَنَ خَطِّ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ (٢)
هَذَا عِمَادُ الدِّينِ وَالْدُنْيَا مَعًا وَمَلَاذُ كُلِّ مَوَّمِّلٍ أَوْ مُجْتَدِي

هذا الذي ما أغلقت ابوابه
 هذا الذي أحيا العلوم واهلها
 وابان منها كل نهج دارس
 بيضاء حسن ما دجت ألا بدا
 لو عاش حينئذ فرام تشبها
 يقط له القلمان في انشائه
 ان حاول الانشاء يوماً ما فيا
 ويضن اللفظ البديع معانياً
 وكأن خط حسامه في طرسه
 لو قلد الدنيا كفاها وحده
 واقام منتهضاً بكل عزيمة
 هذا وأما الفقه فهو إمامه
 فلو أن أسعد عاش بعد وفاته
 واذا انبرى للشعر خلت قريضه
 شعر ترشقه النفوس كأنه
 أو طيب وصل بعد كره قطيعة
 واذا تفاخر بالأروم معاشر
 ما زال يخبر فضله بل نبهه

من دون مُسْتَجِدٍ ولا مُسْتَنْجِدٍ
 بعد الردى والعرف إحياء الردي
 درس الرسوم من الديار الرصد (١)
 فأضاء مثل الكوكب المتوقد
 عبد الحميد (٢) بخطه لم يُخمد
 وحسامه في مصدر أو مورد
 ناهيك من دره هناك منضد
 اشهى من الماء الفرات الى الصدي
 شعر تنم في عوارض أعيد
 في الحالتين ولم يرد من مُسعد
 منها وقوم كل ما متاود
 فعلمه في الفقه كل مُقتدي
 يوماً فساجله (٣) به لم نسعد
 اطواق دره في نحور الحرْد
 لفظ الحبيب مقررًا للموعد
 من ذي انبساط بعد طول تحقد
 فله العلاء عليهم بالمتحد
 عن حسن شيمته وطيب المولد

(٢) هو عبد الحميد ابو غالب صاحب الرسائل

(٣) وفي الاصل. فساخو

(١) و يروى : الهمد

البليغة قلته (السفاح سنة ٥٢٣٢هـ ٨١٢٧م)

جَلَّ الَّذِي اعطَاكَ يَا ابْنَ مُحَمَّدٍ فِي كُلِّ فَضْلٍ بَاهِرٍ طَوَّلَ الْيَدِ
اَقْسَمْتُ بِالْكَرَمِ الَّذِي اَوْتَيْتَهُ لَوْلَاكَ مَا اتَّضَعْتُ سَبِيلَ السُّوْدُودِ

وقال عماد الدين: وكتب اليّ ايضاً (من الطويل):

أَلَا قُلْ لِمَنْ ذَمُّ الزَّمَانِ جِهَالَةً وَعَنْفُهُ فِي مَا جَنَاهُ وَفَدَا
دَعِ الْعِزَّوْا نَهْضَ غَيْرَ وَإِنِّي إِلَى أَمْرِي يَكُنْ لَكَ فِيمَا أَنْتَ رَاجِيهِ مُسْعِدَا
فَأَنْتَ لَمْ تَبْلُغْ مِنَ الدَّهْرِ طَائِلًا فَتَحَمَّدهُ حَتَّى تَرُورَ مُحَمَّدَا
وَإِنَّ عِمَادَ الدِّينِ أَمْنَعُ مَعْقِلٍ إِذَا مَا رَمَاكَ الدَّهْرُ يَوْمًا تَعَمَّدَا
وَأَسِيرُ هَذَا النَّاسِ فَضْلًا وَسُودُودًا وَأَغْزَرُهُمْ بَرًّا (١) وَكَثَرَهُمْ نَدَى
تَفَرَّدَ إِلَّا أَنَّهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَإِنْ كَانَ فِي عَلَيْهِ قَدْ تَفَرَّدَا
مُعِزُّ مُذِلُّ مَا نَحْجُ مَا نَعُ مَا يُرْجَى وَيُخْشَى وَاعْدَا مَتَوَعَّدَا
إِذَا مَا رَأَى يَوْمًا بِإِبْعَادِهِ الْعِدَى أَقَامَ خَوْفَ الْإِنْتِقَامِ وَأَقْعَدَا
جَدِيرٌ بِجَلِّ الْأَمْرِ أَشْكَلَ حُلُهُ بِرَأْيِي بِهِ فِي كُلِّ عَشْوَاءٍ يُهْتَدَى
لَهُ قَلَمٌ مَا هَزَّهُ فِي مُلَمَّةٍ مِنْ الدَّهْرِ إِلَّا هَزَّ سَيْفًا مَهْنَدَا
إِذَا انْسَلَّ مِنْ بَيْنِ الْأَنَامِلِ خِلَتُهُ يُنْظَمُ فِي الْقِرَاطِاسِ دَرًّا مَبْدَدَا
إِذَا مَا رَأَى يَوْمًا بَعِينَ كَحِيلَةٍ رَأَيْتَ لَدَيْهِ نَاطِرَ الرَّمْحِ أَرْمَدَا
وَإِنْ يَتَحَرَّكَ يَسْكُنُ الْخُطْبُ فَادْحَا وَيَبْدُضُ وَجْهَ الرُّشْدِ أَنْ هُوَ سُودَا
لَأَنْتَ عِمَادُ الدِّينِ أَحْسَنُ شِيمَةٍ وَاطْيَبُ هَذَا النَّاسِ أَصْلًا وَمَحْتَدَا
فَلَوْ جَازَ يَوْمًا أَنْ يُجْلَدَ سَيِّدُ كَرِيمٌ بِمَا أَسْدَى لَكُنْتَ الْمَخْلَدَا

وَمَا اسْتَحْسَنَهُ لَهُ الْعَمَادُ الْاَصْفَهَانِي قَوْلُهُ (مَنْ الْبَسِيطُ) :

يَا حَبْذَا يَوْمُنَا وَالْكَاسُ نَاطِمَةٌ نَظَّمَ الْجُبَابُ عَلَيْهَا شَمْلُ احِبَابِ
وَنَحْنُ بَيْنَ اَزْهَارٍ تَجِفُّ بِانْهَارِ مَ وَمَا بَيْنَ اقْدَاحِ وَأَكْوَابِ
وَالْمَاءُ تَلْعَبُ اَرْوَاحُ الْفَسِيمِ بِهِ مَا بَيْنَ مَاضٍ وَآتٍ اَيُّ تَلْعَابِ
كَأَنَّهُ زَرَدُ الزَّغْفِ السَّوَابِغِ أَوْ نَقَشُ لِأَطْيَارِ (١) أَوْ تَفْرِيكَ اثَابِ
وَرَوَى لَهُ اَيْضًا فِي الشُّوقِ وَوَصَفِ الرَّبِيعِ (مَنْ الْبَسِيطُ) :

سَلِّ الْجَيْبَ الَّذِي هَامَ الْفَوَادُ بِهِ هَلْ يَذْكُرُ الْعَهْدَ اِنْ الْعَهْدَ مَذْكُورُ
اَيَّامٍ نَأْخُذُهَا صَهْبَاءَ صَافِيَةً يُسَمِّي الْحَزِينَ لَدَيْهَا وَهُوَ مَسْرُورُ
يَسْعَى بِهَا غَصْنُ بَانٍ فِي كَثِيبٍ نَقًّا لَهُ عَلَى الْقَوْمِ تَرْدِيدُ وَتَكْرِيرُ
اِذَا اَتَاكَ بِكَاسٍ خَلَتْهَا قَبْسًا يَسْعَى بِهِ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ مَقْرُورُ
يُعْطِيكَهُ وَهُوَ يَاقُوتُ وَيَأْخُذُهُ اِذَا أَشْرَتْ اِلَيْهِ وَهُوَ بَلُورُ
وَالْاَرْضُ قَدْ نَسَجَتْ اَيْدِي الرَّبِيعِ لَهَا وَشَيْءًا تَرَدَّتْ بِهِ الْاَكَامُ وَالْقُورُ
فَالْتَبَرُ مُجْتَمِعٌ فِيهَا وَمَقْتَرَقُ وَالزَّهْرُ مُنْتَظَمٌ فِيهَا وَمَنْشُورُ
كَأَنَّ مَنْشُورَهَا وَالْعَيْنُ تَرْمُقُهُ دَرَاهِمُ حِينَ تَبْدُو اَوْ دَنَانِيرُ
مَا شِئْتَ مِنْ مَنْظَرٍ فِي رَوْضِهَا نَضِيرُ كَأَنَّمَا نَوْرُهُ مِنْ حُسْنِهِ نَوْرُ
نَظَّلُ اَطْيَارَهَا تَشْدُو بِهَا طَرَبًا اِذَا تَبَدَّتْ مِنَ الصَّبْحِ التَّبَاشِيرُ
مِنْ بُلْبُلٍ كُلَّمَا غَنَّاكَ جَاوِبُهُ فِيهَا هَزَارُ وَقُمَرِيٌّ وَشُحُرُورُ
كَأَنَّمَا صَوْتُ ذِي صَنْجٍ يَجَاوِبُهُ مِنْ ذَاكَ نَائِيٌّ وَذَا بَمٍّ وَذَا زِيرُ

٢٧ جرجس الانطاكي النصراني

﴿اخباره ودينه﴾ هو ايضاً ممن نظمهم العماد الاصبهاني في كتابه خريدة القصر وفريدة العصر (Paris, 1414 ff. 157 et 3330 ff. 157. Leide 881, n° 157) يدعى الفيلسوف الانطاكي النصراني وهو موصوف كفيلسوف وشاعر معاً. كان اصله من انطاكية فرحل الى مصر ومارس فيها فن الطبابة واشتغل بالفلسفة. قال جمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء (ص ١٥٧) : « جرجس الفيلسوف الانطاكي نزل مصر يزعم انه قرأ على علماء بلده واستوطن مصر وطب بها » وهناك وجده ابو الصلت امية بن عبد العزيز لما دخل مصر سنة ٥١٠ هـ (١١١٦م) وذكر في رسالته المصرية التي وصف فيها ما رآه في ديار مصر من هبتها وآثارها ومن اجتمع بهم من الاطباء والمنجمين والشعراء وغيرهم من اهل الادب (راجع ابن ابي اصيبعة ٢: ٦٣)

ودونك ما قاله في جرجس الانطاكي كما رواه عنه جمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء (ص ١٥٧) وابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء (٢: ١٠٦) وابن العبري في مختصر تاريخ الدول (ص ٣٤٨) وكلهم نقلوا كلام ابي الصلت حيث يذكره ويذكر معاداته لطبيب يهودي مصري يدعى ابا الخير سلامة بن رحمون كان يتعاطى مثله الطبابة والفلسفة فكان مولعاً بهجائه. وهذا ما كتبه ابو الصلت بحرفه الواحد قال : « لما دخلت الى مصر في حدود سنة عشر وخمسمائة ادركت بها طبيباً انطاكياً يسمى جرجيس ويلقب بالفيلسوف على نحو ما قيل في القراب ابو البيضاء وللبديغ سليم. وقد تفرغ للتوابع باي خير سلامة بن رحمون اليهودي الطبيب المصري والازراء عليه. وكان يفرر فصولاً طبية وفلسفية يبرزها في معارض الفاظ القوم وهي محال لا معنى لها فارغة لا فائدة فيها ثم ينفذها الى من يسأل ابا الخير عن معانيها ويستوضحه اغراضها فيتكلم ابو الخير عليها ويشرحها بزعمه دون تيقظ ولا تحفظ باسئس سال واستعجال وقلة اكتراث واهتبال (ويروى : واهمال) فيؤخذ (ويروى : فيوجد) فيها عنه ما يضحك منه »

هذا ما قال ابو الصلت وفي قوله « ان جرجس الانطاكي لقب بالفيلسوف على نحو ما يقال في القراب ابو البيضاء وللبديغ سليم » تهكم ظاهر كانه لقب بذلك على عكس المعنى وهو نوع من البديع. ولا نعرف شيئاً من اعمال جرجس المذكور لتتحقق صحة قول ابي الصلت فيه

﴿شعره﴾ لجرجس الانطاكي اقوال في الشعر حسنة وكلها في هجو ابي الخير الطبيب اليهودي المذكور . ويظهر من كلام ابي الصلت في حق ابي الخير انه لم يكن محققاً بل متشدقاً قال عنه (طبقات الاطباء ٢: ١٠٦): « انه كان يكثر كلامه فيُضِلُّ ويُسرِع جوابه فيزلَّ وكان مثله في عظيم ادعائه وقصوره عن أيسر ما هو متعاطيه كقول الشاعر :

يُسْمِرُ لِلْحَجِّ عَنْ سَاقِهِ وَيُضْمِرُهُ الْمَوْجُ فِي السَّاحِلِ

او كما قال الآخر :

تَنْتَبِهُ مَائِنِي فَارِسٍ فَرَدَّكُمْ فَارِسٌ وَاحِدٌ

وقال ابو الصلت: وأنشدت لجرجس وهو احسن ما سمعته في هجو طبيب مشرؤم وانا منهم له فيه (من السريع) :

انَّ ابا الخيرِ على جهله يَخْفُ في كَفَّةِ الفاضلِ
عليه المسكينُ من شؤمه في بحر هلكٍ ما له ساحلُ
ثلثةُ تدخلُ في دفعةٍ طلعتُهُ والنَّعشُ والفاسِلُ

وقال ابو الصلت: ولبعضهم (يعني جرجس الانطاكي) فيه (من الخفيف) :

لابي الخير في العلا ج يدُ ما تُقَصِّرُ
كلُّ من يَسْتَطِبُهُ بعد يومين يُقْبِرُ
والذي غابَ عنكم وشهدناه أكثرُ

ولجرجس في هذا الطبيب (من الطويل) :

جنونُ ابي خيرٍ جنونٌ بعينه وكلُّ جنونٍ عنده غايةُ العقلِ
خُذوهُ وغلوهُ وشُدُّوا وثاقه فما عاقلٌ من يَسْتَهينُ بِمُخْتَلِ
وقد كان يؤذي الناسَ بالقولِ وحدهُ فقد صار يؤذي الناسَ بالقولِ والفعلِ

وقد اردف عماد الدين ابياتاً في هذا المعنى ولم يذكر قائلها واعل منها ما هو

لجرجس الانطاكي فنفا :

قُلْ لَوْ اَنْتَ وابْنُ زُهَيْرٍ قد جُرْنَا الحَدَّ في النكابةِ
ترَفَّقَا بالورى قليلاً في واحدٍ منكما كفايةِ

وقال آخر :

ما خطرَ النبضُ على بالِهِ يوماً ولا يعرفُ ما الماءُ
بل ظنَّ أنَّ الطِّبَّ ذُرَاعُهُ وحيَّةٌ كالقُطْنِ يعضُّهُ

وقال آخر في مثلهم :

وطبيبٌ مجرَّبٌ ما لَهُ بامٍ لِنُجْحٍ في كلِّ ما يجربُ عادةً
مرَّ يوماً على مريضٍ فقلنا فُرْعَيْنَا فقد رُزِقَتِ الشهادةُ

٢٨ ابو الفرج يحيى ابن التلميذ

﴿اصلُهُ وابخارهُ ودينُهُ﴾ هو الاجلُّ الحَكَمُ معتمد الملك ابو الفرج يحيى بن صاعد بن يحيى بن التلميذ النصراني النسطوري . قال جمال الدين القفطي (ص ٣٦٤) : « كان طبيبَ الدولة العباسية في زمانهِ ويستشار برأيه وله الفضل الوافر والادب الغزير والمعرفة الكاملة . واتفقت له سعادة جذرٍ حتى كسب الاموال وعاش الى آخر عهد المستظهر بالله في حدود سنة ٥١٢ هـ (١١١٨ م) »

قال ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء ١ : (٢٧٦) : كان معتنياً (ويروى : متعنياً) في العلوم الحكيمة ، متقناً للصناعة الطبية ، متحلياً بالادب ، بالغاً فيه الى الرتب ، وكذلك كان لامين الدولة ابن التلميذ جماعة من الانساب ، كلُّ منهم متعلق بالفضائل والآداب ، وقد رأيتُ بخط الاجلِّ معتمد الملك يحيى ابن التلميذ ما يدلُّ على فضله ، وعلو قدره ونبله ، وكان من المشايخ المشهورين في صناعة الطب وله تلاميذ عدَّة ﴿شعرهُ﴾ لم يكن يحيى ابن التلميذ طبيباً نطاسياً فقط بل كان ايضاً شاعراً مجيداً . قال الملك المنصور صاحب حماة (Ms Leide 884, p. 340) : « يحيى ابن التلميذ الحَكَمُ كان يلقبُ معتمد الدولة وكان فاضلاً اديباً وديوان شعره مشهور » . ومنهُ يتضح أنَّ شعرهُ كان وافراً حتى جُمع في ديوان ولم نجد له ذكراً في احدى مكاتب حواضر البلاد ولا عند الخاصة والعامة . وانما ذكر له الادباء عدَّة مقاطيع جمعناها في ما يلي . فمن شوقياته قولُهُ نقلًا عن احدى مجموعات باريس (Paris, Ms 3412, ff. 32^v) (من البسيط) :

اللهُ ابقاكَ للدنيا وللدنِ ولا يُخَلِّيكَ من عزٍّ وتمكينِ
روحي بروحك ممزوجٌ وممتصلٌ وكلُّ عارضةٍ تُؤْذيكَ تُؤْذيني
وله فيها (ff. 35): (من الخفيف) :

أنعمًا بالوصلِ أيا الفرقدانِ وأسلمًا من صروف هذا الزمانِ
كم أشتُ الفراقَ بين حبيبٍ وحبيبٍ وانتما تصحباني
وسنُقضي اليكما عن قريبٍ نوبةُ البينِ ثم تفترقانِ
وروى له في هذا المعنى صاحب الايضاح على المفتاح (ص ١٤٨) (من
السريع) :

بدا اليُنا أَرَجُ القادمِ فبرَد الغُلة من هائمِ (١)
رُوح عن قلبي على نأيه وقد يَلْدُ الطَّيفُ للحالمِ
ورُوي له في الغزل في طبقات الاطباء (من المتقارب) :
فراقكَ عندي فراقُ الحياةِ فلا تُجْهَزنَّ على مُدْنِفِ
عَلَيْتُكَ كالنارِ في شَمْعِها فما إن تُفارِقَ او تنطفي
ومن ظريف اقواله قوله في دار جديدة بناها سيف الدولة صدقه وقعت فيها
النار يوم فراغه من بنائها (من الكامل) :

يا بانيًا دار العلى مُتَلَهِّيًا (٢)
عَلِمْتَ بأنك انما شَيْدَتْها
للمجدِ والافْضالِ والاحْسانِ
فَقَفَّتْ عوائدُ الكرامِ وسابقتْ
لِتَزِيدَها شرفًا على الكِوانِ
تَسْتَقْبِلُ الاضيافَ بالنيرانِ

(١) رواية ابن ابي اصيبعة ١ : (٢٧٠) : من حاتم

(٢) ويروى : مَلَيْتُها . ومَلَأْتُها

وقال في المعنى (من الكامل) :

عَلِقَ الْفَوَادُ (١) عَلَى خُلُوِّ حَبِّهَا عَاقَ الذُّبَالَةَ فِي حَشَا الْمَصْبَاحِ
لَا يُسْتَطَاعُ الدَّهْرُ فُرْقَةً بَيْنَهُمْ إِلَّا لَحِينَ تَفَرَّقَ الْأَشْبَاحُ (٢)

وقرأنا له في بعض المجاميع المخطوطة في مكتبتنا الشرقية (من المنسرح) :

إِضْضَ لِمَنْ غَابَ عَنْكَ بِكِبَرِهِ فَذَاكَ ذَنْبٌ عِقَابُهُ فِيهِ
لَوْ لَمْ يَنْلُهُ مِنَ الْجَفَاءِ سِوَى بُعْدِكَ عَنْهُ لَكَانَ يَكْفِيهِ

وقال في هلاك الظالم (من الخفيف) :

وَإِذَا أَنْبَتَ الْمُهَيَّمَنُ لِلنَّمْلِ مَ جَنَاحًا أَعَدَّهَا لِلتَّرَدِّي
وَلِكُلِّ أَمْرٍ مِنَ النَّاسِ حَدٌّ وَهَلَاكَ الْفَتَى جَوَازُ التَّعَدِّي

وله أيضاً وفيه إشارة منطقية (من الكامل) :

تَعَسَّ الْقِيَاسُ فَلِلْغَرَامِ قَضِيَّةٌ لَيْسَتْ عَلَى نَهْجِ الْحِجَى تَنْقَادُ
مِنْهَا بَقَاءُ الشُّوقِ وَهُوَ بَزْ عَمَّهُمْ عَرَضٌ وَتَقْنَى دُونُهُ الْأَجْسَادُ

وروى له الدميدي في حياة الحيوان (٢ : ٣٢) قوله في تشبيه السَّمَكِ وَضُرَرِ

النسيم بها وهو يروى لهبة الله ابن التلميذ (من المتقارب) :

لَبَسْنَ الْجَوَاشِنَ خَوْفَ الرَّدَى عَلِيهِنَّ مِنْ فَوْقِهِنَّ الْخَوْذُ
فَلَمَّا أُتِيحَ لَهَا أَهْلِكَ بَرَدَ النِّسِيمِ الَّذِي يُسْتَلَذُّ

ومن هجوه ما قاله في مُعَنَّ (الرجز) :

(١) وفي طبقات الشعراء: قَلِقَ الْفَوَادُ . . .

(٢) وروى: لَا يَسْتَطِيعُ الدَّهْرُ . . . تَبْلُغَ الْإِصْبَاحِ

لنا مَغْنٍ ان شدا تَدِفُنَا ثَلُوْجُهُ
فَوُتُنَا خَرُوجُهُ (١) وَبَعَثُنَا خَرُوجُهُ (٢)

وليحيى ابن التلميذ عدّة الغاز بالشعر. من ذلك ما اخبر به علي بن يوسف بن ابي المعالي سعد بن علي الحظيري قال: وجدت بخط الرجل الحكيم معتمد الملك يحيى ابن التلميذ لنفسه اغزاً في الابرّة وخيطةا (من الوافر):

وفاغرة فما في الرجل منها ولكن لا تُسِيغُ به طعاما
ومُخْطِفة الحشا في الرأس منها لسان لا تُطِيق به الكلاما
تصول بشوكة تبدو وُسمٌ (٣) وما من ذا قه يُرِدُ الحِماما
تجر وراءها ابداً اسيراً كما قادت يدُ الحادي الزماما
منيعاً ذا قوَى لكن تراه بقبضتها ذليلاً مُستضاماً
فقلبيهِ بمحبسها مقيماً طوال الدهر لا يأبى المقاماً
أيا عجباً لها سوداء خُلُقاً تُريك خلائقاً بيضاً كراماً
غدّت عُريانة عن كل لبسٍ وفاضلُ ذيلها يكسو الأناماً

وقال ملفزاً في قوس رواه عماد الدين في خريدته (من الوافر):

وما ذو قامة ذات اعوجاج يئن وينحني عند الهياج
له المكر الجففي مع التّمطّي كمسكر الراح في القدح الزجاج

(١) خروج المنى ان يمدّ صوته في الغناء ويُخرجهُ في الايقاع . يريد انه اذا فعل ذلك مات السامعون من قبح صوته (٢) اي اذا خرج عادت البنا الحياة (٣) سُمّ الابرّة خرمها

وروى له ابن منظور في نثر الازهار (ص ١٠٦) لغزاً في الظل (من الطويل):

وَشَيْءٌ مِنَ الْاَجْسَامِ غَيْرِ مَجْسَمٍ لَهُ حَرَكَاتٌ تَارَةً وَسَكُونٌ
اِذَا بَانَ الْاَنْوَارُ بَانَ لَنَاظِرِي وَأَمَّا اِذَا بَانَ فَلَيْسَ يَمِينٌ
يَتَمُّ اَوْ اِنْ كَوْنُهُ وَفْسَادُهُ وَفِي وَسْطِ مَحْيَاهُ الْمَحَاقُ يَكُونُ

وللشريف ابي العلاء محمد بن الهبارية قصيدة مدح فيها يحيى ابن التلميذ وكان
ابو العلاء قد اتاه الى اصبهان فحصل له يحيى من الامراء والاكابر مالا جزيلا. وفيها
يقول:

وَجَمِيعُ مَا حَصَلَتْهُ وَجَمْعُهُ مِنْهُمْ وَكَتُّ لَهُ بِشْعَرِي كَاسِبَا
نُصِّى اَبِي الْفَرَجِ بْنِ صَاعِدٍ الَّذِي مَا زَالَ عَنِي فِي الْمَكَاسِبِ نَاقِبَا
هُوَ لَا عُدَمْتُ عَلَيْهِ حَصَلَ كُلِّ مَا أَمَلْتُهُ وَرَمَى فَكَتُّ الْخَالِبَا
يَحْيَى بْنُ صَاعِدٍ بَنٍ يَحْيَى لَمْ يَزَلْ لِلْمَكْرَمَاتِ اِلَى جَنَابِي جَانِبَا
مَا زَالَ يُنْعَشِي نَدَاهُ حَاضِرَا وَبَنُوبُ عَنِي فِي الْمَطَالِبِ غَانِبَا
فِي بَابِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ أَبْنِ جَاهِنَا وَكَذَا نَصِيرُ الدِّينِ كَانَ مَخَاطِبَا
كَاتَبْتُهُ بِجَوَائِحِي وَهَزَزْتُهُ فَوَجَدْتُهُ فِيهَا الْحَسَامَ الْقَاضِيَا
مَا زَالَ يَفْرَسُنِي يَدَاهُ وَلَمْ أَزَلْ بَدَّاهُ مَا بَيْنَ الْبَرِّيَّةِ خَاطِبَا

ومنها:

لَا زَلْتُ أَتَيْتُ بِالَّذِي أَوْلَيْتَنِي وَعَلَى الْمَدِيحِ مَحَافِظًا وَمَوَاطِبَا
وَبَقِيتَ لِي ذُخْرًا وَدَمْتَ مَعْتَمًا بِالْمَجْدِ لِلْأَبْرَادِ مِنْهُ سَاحِبَا
ثِقَّةُ الْخَلَافَةِ سَيِّدُ الْحُكْمَاءِ مَعْتَمَدُ الْمُلُوكِ الْفِيلَسُوفِ الْكَاتِبَا

فيستفاد من هذا المديح ما كان عليه يحيى ابن التلميذ من الميزة العالية عند
الخلفاء وكبار الدولة ثم قيامه بخدمة الادباء كابن الهبارية واقامته مدة في اصبهان.
ويحيى ابن التلميذ هو جد امين الدولة هبة الله الشهيد بابن التلميذ الآتي ذكره

٢٩ هبة الله ابن التلميذ

﴿اسمُه ونسبُه﴾ قال ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء. (٢٥٩: ١) : هو الأجل موفّق الملك امين الدولة ابو الحسن هبة الله بن ابي العلا. (وفي تراجم الاعيان لابن خلكان (٢٥٢: ٢) : بن ابي الفناهم صاعد بن ابراهيم (وفي ابن خلكان : صاعد بن هبة الله بن ابراهيم بن عليّ) بن التلميذ. وقد لقّب ايضاً بسُلطان الحكماء. كما روى عماد الدين الاصفهاني في الحريدة. وقال ابن ظافر الازدي في بدائع البدائع (ص ٥٤) : هو المعروف بابن التلميذ. وأما أمّه من بنات التلميذ فُعرف بذلك. وقال جمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء. (ص ٣٤٠) : وابن التلميذ هو جدّه لأُمّه والحكيم معتمد الملك ابو الفرج يحيى هو ابن بنته فُنسب اليه. وقال ابن ابي اصيبعة عن والد هبة الله : «وكان امين الدولة وهو ابو العلا صاعد طبيباً فاضلاً مشهوراً». وقال في محلّ آخر (١: ٢٧٦) : «وكذلك ايضاً كان لامين الدولة ابن التلميذ جماعة من الانساب كلُّ منهم متعلّق بالفضائل والآداب». وزاد على قوله فيه : «واكثر اهلِه كُتّاب». وذكره عمرو بن متى في اخبار فطاركة كرسيّ المشرق من كتاب المجلد (ص ١٠٣) ودعاه «بالطبيب الفياثي»

﴿زمانه ودينه﴾ كان اصل امين الدولة من بغداد. فيها كان مولده نحو السنة ٤٧٤هـ (١٠٨١م). قال ابن ابي اصيبعة (١: ٢٦٤) : «وكانت وفاة امين الدولة ببغداد في ٢٨ من شهر ربيع الاول سنة ٥٦٠ (شباط ١١٦٤). أمّا عماد الاصفهاني فجعل وفاته في صفر من تلك السنة. قال في خريدة القصر : «هلك ابن التلميذ الطبيب النصراني بصفر سنة ٥٦٠ هـ وقد ناهز المئة وعاش الى زماننا ورأيتُه وهو شيخ...»

أما دينه النصراني فلا يشك فيه احد. قال ابن ابي اصيبعة : «ومات نصرانياً» وقال عمرو بن متى في المجلد (ص ١٠٦) في ترجمة البطريق ايشوعياي : «وفي ايامه توفي امين الدولة ابن التلميذ رضي الله عنه ودُفن في الصحن الداخلى ببغدة العتيقة» ويتضح من ذلك انه كان نسطورياً. وقال ابن الازرق الفارقي في تاريخه : «ومات ابن

التلميذ في عيد النصارى ، وقال جمال الدين القفطي : توفي وذهنه بحاله
 ﴿أخباره﴾ قال ابن ابي اصيبعة : « كان ابن التلميذ في أول امره قد سافر الى
 العجم وبقي بها في الخدم سنين كثيرة » ثم عاد الى بغداد . ولما توفي يحيى بن التلميذ
 قام امين الدولة مقامه وهو ابن بنته وخدم الخلفاء والملوك واتخذ الخليفة المقتفي بالله
 (٥٣٠-٥٥٥=١٣٣٦-١١٦٠ م) كطبيب الخصاص وجعل له راتباً بدار القوارير
 فقطعه الوزير عون الدين بن هبيرة ولم يعلم الخليفة بقطعه حتى اشار الى ذلك ابن
 التلميذ اشارة لطيفة اذ قال له الخليفة يوماً : قد كبرت يا حكيم . فاجابه : « نعم يا
 مولانا وتكسرت قواريري » فادرك الخليفة بعد البحث سر جوابه وتقدم برذ راتبه
 بدار القوارير عليه وزاده اقطاعاً آخر (تاريخ الحكماء ص ١٤١) . وأقيم ساعوراً اي
 رئيساً على البيارستان الكبير في بغداد المعروف بالبيارستان العضدي المنسوب الى
 عضد الدولة ابن بويه الى حين وفاته . وخدم ابن التلميذ بعد وفاة المقتفي ابنه
 المستنجد . قال ابن ابي اصيبعة (١ : ٣٦٢) كانت دار امين الدولة التي يسكنها في
 بغداد في سوق العطر مما يلي باب المجاور لباب الغربية من دار الخلافة المعظمة بالشرعة
 النازلة الى شاطئ دجلة

﴿مقامه وعلومه وفوائده﴾ قد اتسع الكتابة في وصف هبة الله بن التلميذ
 واطنبوا في فضله قال عماد الدين الاصبهاني في الخريدة :

« هو مقصد العالم في علم الطب بقراط عصره وجالينوس زمانه ختم به هذا العلم ولم يكن
 في الماضين من بلغ مداه في الطب . عمر ابن التلميذ طويلاً ، وعاش نبلاً جليلاً ، ورأته وهو
 شيخ في المنظر حسن الرواء عذب المجتلى والمجتنى لطيف الروح ظريف الشخص بعيد الهم
 عالي الهمة ذكي الحاطر مصيب الفكر حازم الرأي شيخ النصارى وقسيسهم ورأسهم ورئيسهم »

ونقل ابن خلكان (٢ : ٢٥٣) ما ورد عنه في كتاب غرر الأعيان من شعراء
 الزمان فيمن أدرك بالسماع او بالعيان :

« كان ابن التلميذ متفانياً في العلوم ذا رأي رصين ، وعقل متين ، طالت خدمته للخلفاء
 والملوك ، وكانت منادته احسن من التبر المسبوك ، والدر في السلوك ، اجتمعت به مراراً في
 آخر عمره ، وكنت أعجب في امره ، كيف حرم الإسلام مع كمال فهمه ، وغزارة عقله وعلومه ،
 والله يهدي من يشاء بفضله ، ويضل من يريد بحكمه ، وكان اذا ترسل استطال وسطاً ، وان
 نظم وقع بين ارباب النظم وسطاً »

ونقل ابن ابي اصيبعة عن موفق الدين البغدادي في هبة الله ابن التلميذ ما يدل على مروءته وتزاهته وعظم نفسه قال :

«كان ابن التلميذ حسن العشرة كريم الاخلاق عنده سخاء ومروءة واعمال في الطب مشهورة وحدوس صائبة . . . قال ومن مروءته ان ظهر داره كان يلي المدرسة النظامية فاذا مرض فقيه نقله اليه وقام في مرضه عليه . فاذا ابل وهب له دينارين قصره»

ومما حكاه عبد اللطيف عن امين الدولة وكأنه قد تجاوز في هذه الحكاية قال :

«وكان امين الدولة لا يقبل عطية الا من خليفة او سلطان فعرض لبعض الملوك النائية داره مرض من قيل له : ليس لك الا ابن التلميذ وهو لا يقصد احدا . فقال : انا اتوجه اليه . فلما وصل افرده له ولعلمائه دورا وافاض عليه من الجرايات قدر الكفاية وابت مدة . فبرى الملك وتوجه الى بلاده وارسل اليه مع بعض التجار اربعة آلاف درهم واربعة تحوت عتاي واربعة ممالك واربعة افراس . فامتنع من قبولها وقال : ان علي يميناً ان لا اقبل من احد شيئا . فقال التاجر : هذا قدر كبير . فقال : «انا لما حلفت لم استغن . واقام شهرا يراوده وهو لا يزاد الا اباة ونأيا . فقال له عند الوداع : ها انا اسافر ولا ارجع الى صاحبي وانتمتع بالمال فتقلد منته وتفتوتك منفعته ولا يعلم احد انك ردته . فقال : ألسنت اعلم في نفسي اني لم اقبله فنفسى تشرف بذلك علم الناس او جهلوا»

وكان ابن التلميذ مع سمو فضله حسن السمعة وافر الوقار كثير التواضع . وجرى له مناقشات مع احد حكماء زمانه ابي البركات هبة الله بن علي بن ملكا وكان يهودياً فاسلم وكان معروفاً بالصلف والكبرياء على خلاف ابن التلميذ فقال البديع الاسطرلابي فيها :

ابو الحسن الطيب ومقنفي ابو البركات في طرقي نقيض
فذاك من التواضع في الثريا وهذا بالتكبر في الحضيض

ووصف ابو سعيد بن ابي سهل البغدادي ابن التلميذ فقال :

« رأيت امين الدولة ابن التلميذ فاجتمعت به وكان شيخاً ربيع القامة عريض اللحية حلوة الشامخ كثير النادرة (قال) وكان يحب صناعة الموسيقى وكان يميل الى اهلها »

وله اخبار كثيرة تدل على براعته في الطب رويناهما سابقاً في المشرق (١)

﴿آدابه وتآليفه﴾ ذكر شهاب الدين العمري سعة معارف ابن التلميذ في كتاب مسالك الابصار في اخبار ملوك الامصار (نسخة المكتبة الحديوية ص ٣٣٦) قال في طبقات الاطباء :

« ومنهم امين الدولة ابن التلميذ فرد زمانه ، وندى (وفدى ؟) أقرانه ، وبلغ بعلومه مبالغ الأشراف ، ووصل في فهمه حد الأشراف . وكان يتكلم في مجالس الخلفاء منبسطاً ، يتقدم في مجال السؤال للضعفاء متوسطاً ، لسابقة خدمه ، وبأسفة صنعه في بيت الإمامة دون باقي خدمه ، ولا تجلت به شيمه من مآثر ، وحلت بأدبه ثمة لا يقدر عليه مكاثر ، حتى كان يناظر جلته الفقهاء ، وجلة اهل العلم سوى السفهاء . ويفرس الادباء ، ويفرس مواظبه الاطباء ، ويضرب بقلمه عصا ابن البواب ، ويطرف طرف طرسه مقلة ابن مقلة بفاضل الجلباب ، وهو على دينه المخالف يكره الصدور ، ويجره جرة (كذا) البدور ،

قال ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٥٩) : « كان ابن التلميذ جيد الكتابة يكتب خطاً منسوباً وقد رأيت كثيراً من خطه وهو في غاية الحسن والصحة وكان خبيراً باللسان السرياني والفارسي متبحراً في اللغة العربية . . . وكان يرسل وله ترسل كثير جيد وقد رأيت له من ذلك مجلداً يحتوي على انشاء ومراسلات . . » ثم ذكر (ص ٢٧٦) عدة تأليف صنفها في الطب لا يزال بعضها في خزائن الكتب الشرقية كقرا باذنيه ورسائله في الفصد والاقتناع والمقربات . وقد وجدنا له في مكتبة الكلدان في ديار بكر سنة ١٨٩٥ رسالة لطيفة في اثبات عقائد الدين المسيحي سنعود اليها ان شاء الله . وله الرسالة الأمينية كتبها الى ولده وكان يُعرف برضى الدولة ابي نصر قال ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٦٠) : « ولم يكن مدركاً لصناعة الطب وكان في سائر احواله بعيداً عما كان عليه والده » وقال (ص ٢٦٤) :

« خلف ابن التلميذ نعتاً كثيرة واموالاً جزيلة وكتباً لا نظير لها في الجودة فورث جميع ذلك ولده وبقي مدة ثم انه خفق في دهايز داره وأخذ ماله ونقلت كتبه على اثني عشر حملاً الى دار المجد بن صاحب وكان ابن امين الدولة قد اسلم قبل موته »

﴿شعره﴾ قال ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٥٩) : « ولابن التلميذ شعر مستظرف حسن المعاني إلا انه اكثر ما يوجد له البيتان او الثلاثة وأما القصائد فلم اجد له منها الا القليل . وقد نظمهم العماد الاصبهاني في كتابه خريدة القصر في جملة الشعراء وقال عنه : « كان من اكبر كتّاب النصارى له ابيات افراد كلها فرائد وكلمات وافية رائقة ، شافية شائقة » وقال صاحب كتاب اخبار الملوك ونزهة المالك والملوك في

طبقات الشعراء (Ms Leid, p. 427) فوصف نظمهُ بقوله: «ان شعرهُ كثيرُ الملح»
ودونك بعض ما وقفنا عليه من ذلك نفضله ابواباً
﴿له في المديح﴾ ما كتب به في صدر رسالة الى جمال الدين ابي الفتح بن
الفضل بن صاعد جواباً (من الكامل):

عَوَّادُهَا ظِلُّ النَّدى وَقِطَارُ	مَا نَشَرُ أَنْفَاسِ الرِّيَاضِ مَرِيضَةً
وَكَفَى صَدَاها جَدولُ مِدْرَارُ	كَفَلَتْ بِثَرَوَتِهَا مَوْبِدَّةً بِهَا
أَضْحَكَ فَتَضَحُّكَ بِي الْغَدَاةُ نَوَّارُ	بَكَتِ السَّمَاءُ فَأَضْحَكْتُهَا مِثْلَ مَا
فَتَمَازَجَ النَّوَّارُ وَالنُّوَّارُ	وَإِذَا تُعَارِضُهَا ذِكَاؤُ تَشْمَشَتْ
فَصَبَا الْمَشُوقُ وَغَيْرُهُ أُسْتَعْبَارُ	مَشَتْ الصَّبَا بِفِرْعَوْنِهَا مَخْتَالَةً
أَبْدَى بِلَابِلِ صَدْرِهَا التَّذْكَارُ	وَإِذَا تَغَنَّى الطَّيْرُ فِي أَرْجَائِهَا
أَوْ غَائِباً تَذْنُو بِكَ الْإِخْبَارُ	يَوْمًا بِأَطْيَبِ مِنْ جَوَارِكِ شَاهِدًا

وكتب الى الوزير سعد الملك نصير الدين (من البسيط):

وَجَدُّ ضِدِّكَ بِالْإِذْلَالِ مَغْلُولَا	لَا زَالَ جَدُّكَ بِالْإِقْبَالِ مَوْصُولَا
تُعِيدُ رَبَّكَ بِالْعَافِينَ مَأْهُولَا	وَلَا عَدِمْتَ مِنَ الرَّحْمَنِ مَوْهَبَةً
أَضْحَى اللَّثِيمُ عَنِ الْمَعْرُوفِ مَغْلُولَا	فَنَعَمْ مُنْطَلِقُ الْكَفِّينِ أَنْتَ إِذَا
تُسَالُ فَصَاحَتُهُ بَدَأُ الْوَرَى قِيَلَا	تَجُودُ بِالْمَالِ لَمْ تُسَالِ يَدَاهُ وَإِنْ
إِذَا الضَّنِينَ رَأَى لِلْبُخْلِ تَأْوِيلَا	لَا يَسْتَرِيحُ إِلَى الْعِلَّاتِ مَعْتَذِرًا
تَعْجِلُهُ بَعْدَ بَدَلِ الْوَجْهِ تَأْجِيلَا	يَبَادِرُ الْجُودَ سَبْقًا لِلسُّوَالِ يَرَى
فَأَكْثَرَ النَّاسِ تَقْبِيحًا وَتَهْلِيلَا	لَا غُرُوانَ كُسِفَتْ شَمْسُ الضَّحَى وَبَدَتْ
صَوْنًا وَعَادَ عَلَى الْأَعْدَاءِ مَسْلُولَا	فَأَنْتَ سَيْفُ غِيَاثِ الدِّينِ أَعْمَدُهُ

فما يليق بغير السَّعدِ مُسندُهُ وإن أعاروهُ إعظاماً وتجيلاً
فأسلم على الدهر في نَعماءٍ صافيةٍ من النواذب رهوناً ومأمولاً
ومن ظريف قوله في شريف كان يتواضع (من الطويل) :

تواضع كالبدْر أُستنارَ لِناظرٍ على صَفحاتِ الماء وهو رفيعُ
ومن دونه يسمو الى المجد صاعداً سمو دُخانِ النار وهو وَضِيعُ

وقال يدح موفّق الدين ابا طاهر الحسين بن محمّد . وكان ابن التلميذ دخل مدينة
ساوة واشتغل في خزانة كتبها التي اوقفها موفّق الدين على المدينة (من المنسرح) :

وُفِّتَ لآخرٍ اذ عَمَّتْ بِهِ طَلابَهُ يا موفّقَ الدِّينِ
أزلفتَ للنَّاسِ جَنَّةً جَمَّتْ عيونَ فَضْلِ أَشهى من العِينِ
فيها ثَمَرُ العقولِ دانيةٌ قُطوفُها حُلوةٌ الأَفانينِ
لا زلتَ تَسْمُو بكلِّ صالحةٍ بِمُسْعِدِي قَدَرٍ وتمكينِ
ويرحمُ اللهُ كلَّ مُستمعٍ مُشيعٍ دَعَوِي بتأمينِ

واهُ ﴿ في الشكر والتهاني والهدايا ﴾ قال يشكر مستوفي الممالك العزيز ابا نصر
ابن حامد (من الطويل) :

لَعَمْرُ ابيك الخير ليس بواحدٍ من الناسِ إِلَّا حامداً لابنِ حامدٍ
كَأَنَّهُمْ دَانُوا الإِلهَ بِشكرهم علاه ولكن لا كشكر ابنِ صاعدٍ
همُ خَبَرُوا عَنْهُ فَأَثْنُوا بِصالحٍ وعندي بما أَثْنيتُ خيراً المشاهِدِ
ومن تهانته قوله يهني بجلعة (من الوافر) :

لَئِنْ شَرُفْتُ مَناسِبُها وَجَلَّتْ لَقَدْ زُفْتُ الى كُفٍّ شريفٍ

الى مَنْ زانها وأزدان منها كسالفه المليحة والشنوف
واهدي الوزير ابن صدقة كتاب المحاضرات الراغب وكتب معه (من
الكامل) :

لما تعذر ان اكون ملازماً لجناب مولانا الوزير صاحب
ورغبت في ذكرى بحضرة مجده اذكرته بمحاضرات الراغب
وكان ابو القاسم بن الفضل عتب على ابن التلميد في امر فاجابه خالفاً عليه قيماً
مصمتاً اسود وكان السواد من اعلام الدولة العباسية (من الطويل) :

أحبك في السوداء تسحب ذيلها خطيباً ولكن لا بذكر مثالي
وقال ايضاً يسترضيه (من الطويل) :

اتاني كتاب لم يزني بصيرة بسودد مهديها الي وفضله
فقلت وقد أخرجتني بابتدائه: أبي الفضل إلا ان يكون لاهله

وله ﴿في الرثاء﴾ قال في رئيس مات في يوم مطار (من الكامل) :

كم ذا الوقوف على غرور أمني
هل عيشة بعد الرضا مرضية
ان السماء بفقده حزينة
الغيث أدممها وما برقت به
لو ذاق فقدك من يلوم على البكا
أأخذت من دنياك عهد أمان
كلأ ولو كانت خلود جنان
فرياحها نفس الكئيب العاني
نار الجوى والرعد للارنان (١)
لزرى على التسميم (٢) والسُلوان

تَبْعُوكَ اِذْ صَلَّوْا عَلَيْكَ وَلَمْ تَرَكَ كَالنَّجْمِ تُهْدِيهَا بِكُلِّ مَكَانٍ
لَا يُبْعِدُنَكَ وَمَا الْبَعِيدُ مِنْ نَأْيٍ حَيًّا وَلَكِنَّ الْبَعِيدَ الدَّانِي

وقال يرثي صاحب الحلة الامير سيف الدولة صدقة بن منصور بن ديبس لما قُتل سنة ٥٠١هـ (١١٠٧م) في واقعة كانت بينه وبين عسكر السلطان محمد شاه. وكان هذا الامير على ما وصفه ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة (éd. Popper, vol. 2 p. 351) كريماً عفيفاً عن الفواحش وكانت داره ببغداد حراً للخائفين ولم يتروّج غير امرأة واحدة وكانت سيرته مشكورة وخصائله محمودة ان سلم من مذهب اهل الحلة فان اباه كان من كبار الرافضة. وهذا رثاء امين الدولة فيه (من الطويل):

لَيْبِكَ ابْنَ مَنْصُورٍ عَفَا نَوَالِهِ اِذَا عَصَفَتْ بِالرَّيْحِ نَكْبَاءُ حَرْجَفٍ
وَيَذْكُرُهُمْ مَنْ رَدَّهُمْ بَعْبُوسِهِ فَتَى كَانَ يَلْقَاهُمْ بِبِشْرِ وَيُسْعِفُ
وَلَمَّا سَمَا فَوْقَ السَّمَاءِ بِهَمَّةٍ (١) يَغْضُ لَهَا طَرْفُ الْحَسُودِ وَيُطْرِفُ
رَمَتْهُ اللَّيَالِي بَلْ رَمَتْهَا بَرُزْنُهُ كَبِدُ الدُّجَى فِي لَيْلَةٍ التَّمُّ يُخْسَفُ
عَلَيْكَ سَلَامٌ لَا تَرَالُ قُلُوبُنَا عَلَى حَزَنِ مَا هَبَّتِ النَّيْبُ (٢) تَوْقِفُ
وَلَا بَرَحَتْ عَيْنُ السَّمَاءِ بَوْبُلَهَا عَلَى جَدَثٍ وَاِرَاكَ تَهْمِي وَتَذْرِفُ
ولا بن التلميز اقوال حسنة ﴿في الفكاهات والمطائف﴾ منها وصفه لزجاجته
(من مجزوء الكامل):

بِزَجَّاجَتَيْنِ قَطَعْتُ عَمْرِي وَعَلَيْهَا عَوَّلْتُ دَهْرِي

(١) ويروى: رقا وسما فوق السماء بهمة

(٢) ويروى: النبت

بِزُجَاجَةٍ مُلِئَتْ بِحَبَرٍ وَزُجَاجَةٍ مُلِئَتْ بِخَمَرٍ
فَبِذَا أُثْبِتُ حِكْمَتِي وَبِذَا أُزِيلَ هُمُومَ صَدْرِي

ومن قوله في شرب الخمرة (من الرجز) :

كَأْسٌ يُطْفِئُ لَهَبَ الْأَوَامِ ثَانٍ يُعِينُ هَاضِمَ الطَّعَامِ
وَلِلْمُسْرُورِ ثَالِثُ الْمُدَامِ وَالْعَقْلُ يُنْفِيهِ مَزِيدُ جَامِ

ومن لطائفه ما قاله ليكتب على حصيد (من الكامل) :

أَفْرَشْتُ خُدَيَّ لِلضِّيَوفِ وَلَمْ يَزَلْ خُلْقِي التَّوَاضُعَ لِلْيَبِّ الْأَكْيَسِ
فَتَوَاضَعِي أَعْلَى مَكَانِي بَيْنَهُمْ طَوْرًا فَصَرْتُ أَحْلُ صَدْرِ الْمَجْلِسِ

وقال في مَسْنَدِ الرَّأْسِ (من الخفيف) :

رُبَّ وَصْلٍ شَهِدْتُهُ فَتَمَتَّعْتُ عِنَاقًا بِالْعَاشِقَيْنِ جَمِيعَا
وَجَدَانِي لِلوَدِّ أَهْلًا وَلِلْمُسْرِ مَكَانًا وَلِلصَّدِيقِ مُطِيعَا

وله في مَجْمَرَةِ الْبُحُورِ (من المتقارب) :

إِذَا الْمَجْرُ أَضْرَمَ نَارَ الْهَوَى فَقَلْبِي يُضْرَمُ لِلْهَجْرِ نَارَا
أَبُوحُ بِأَسْرَارِي الْمُضْمَرَا تَبْدُو سِرَارًا وَتَبْدُو جَهَارَا
إِذَا مَا طَوَى خَبْرِي صَاحِبُ أَبِي طَيْبٍ عُرْفِي إِلَّا انْتِشَارَا

وقال فيها بمعناه (من الخفيف) :

كُلُّ نَارٍ لِلشَّوْقِ تُضْرَمُ بِالْهَجْرِ وَنَارِي تَشْبُ عِنْدَ الْوَصَالِ
فَإِذَا الصَّدُّ رَاعَنِي سَكَنَ الْوَجْدُ وَلَمْ يَخْطُرِ الْغَرَامُ بِبَالِي
ومثله في المجمرة ايضاً (من مجزؤ الكامل) :

يَشْكُو الْمُحِبُّونَ الْجَوَى عِنْدَ التَّفَرُّقِ وَالزِّيَالِ
وَأَشَدُّ مَا أَصْلَى بِنَا رِ الشَّوْقِ أَوْقَاتَ الْوَصَالِ
وقال ايضاً يصفها (من المنسرح) :

رُبَّ حِمَى لَا تُرَامُ عِزُّهُ أَبَحُّهُ النَّفْسَ غَيْرَ مُحْجُوبِ
يُبْدِي عِيَانِي لِمَنْ تَأَمَّلَنِي نَارَ حُبٍّ وَنَشَرَ مُحْجُوبِ
ومن اطائفه يصف مَغْسِلَ الشَّرْبِ (من الطويل) :

إِذَا مَا خَطَبْتَ الْوَدَّ بَيْنَ مَعَاشِرٍ فَكُنْ لَهُمْ مُثْنِي تَعَدُّ إِذَا صَدَقَ
إِذَا اسْتَأْثَرُوا مِنْ كُلِّ كَأْسٍ بِصَفْوِهَا رَضِيتُ بِمَا أَبْقَوْهُ مِنْ مَشْرَبِ رَنَقِ

ومأخذه ابن أبي أصيبعة (١: ٢٧٤) ان ابن التلميذ عاليج في مرضه الرئيس
ابا القاسم علي بن افلح الكاتب . فلما نَقِهَ من مرضه وكان ابن التلميذ فرض عليه
الحنية فكتب له ابو القاسم يطلب منه ان يأذن له باكل الخبز :
أَنَا جَوْعَانُ فَأَتَقَدُّ فِي هَذِي الْمَجَاعَةِ
فَرَجِي فِي كَسْرَةِ الْخُبْزِ وَلَوْ كَانَتْ قُطَاعَهُ (١)
لَا تَقُلْ لِي : سَاءَ تَصَبَّرُ مَا لِي صَبْرُ سَاعَةٍ
فَخَوَايَ الْيَوْمَ مَا يَقْسِبِلُ فِي الْخُبْزِ شَفَاةَهُ

(١) قال القُطَاعَةُ هُوَ الْخَمْسُنُ مِنَ الدَّقِيقِ يُقَطَّعُ مِنَ التَّخَالَةِ وَيُخْبِزُ فَيُسَمَّى خُبْزِ قُطَاعَهُ

فاجابه ابن التلميز (من الرمل):

هكذا اضيفُ مثلي يتشكَّونَ المجاعةَ
غيرَ أَنِّي ليس عندي لِمُضِرٍّ من شِفاعَةِ
فتعلَّلُ بِسَوِيْقٍ فهو خيرٌ من قُطَاعَةِ
بِحَيَاتِي قُلْ: كما تَرَى سُمُهُ سَمْعًا وطَاعَةِ

ومأ رواه ابن ظافر الازدي في كتابه بدائع البدان (ص ٥٤) قال: اخبرني القاضي السعيد ابو قاسم هبة الله بن سناء الملك رحمه الله قال: اخبرني الجليل الوافد من العراق على الدولة المصرية قال: اجتمعتُ في بعض الايام باءين الدولة ابي الحسن هبة الله بن صاعد بن التلميز فاخذتُ في ذمِّ الدهر وإخثائه على اهل الفضل واذا بكلاب صيد التي برسم الخليفة قد ابرزت في جلال الوشي والديباج فحرك ذلك ما كنا نتجاذب أهدابه في ذم الدهر فقات (من الرجز):

مَنْ كَانَ يُلبَسُ كَلْبُهُ وشيأً ويقنعُ لي بِجُلْدِي (١)
فاستجزئهُ فقال واجاد:

الكلبُ خيرٌ عندهُ مِنِّي (٢) وخيرٌ منهُ عندي

ولابن التلميز ﴿هجو﴾ قليل فن ذلك ما هجا به الطيب اوحدا الزمان ابا البركات اليهودي الذي أسلم وكان تعين معه في خدمة الخليفة المستضيء بالله. قال ابن ابي اصبعة (١: ٢٦٠):

« ان اوحدا الزمان كان قد كتب رقعة يذكر فيها عن ابن التلميز اشياء يبعدُ جدًا ان

(١) وُبرِى: من كان يكسو الكلبَ وشيأً ثم يقنع ...

(٢) وبرِى: فالكلبُ مِنِّي عندهُ خيرٌ

تصدّر عن مثله ووهب لبعض الخدم شيئاً واستسره أن يرميها في بعض طُرُق الخليفة من حيث لا يعلم بذلك احد (وهذا مما يدل على ثنّ عظيم) وإنّ الخليفة لما وجد تلك الرقعة صعب عليه جداً في أوّل امره وهم أن يوقع بأمين الدولة. ثمّ انه بعد ذلك رجع الى رأيه وأشير عليه ان يبحث ويستأصل عن ذلك وان يستقرّ من الخدم من يُتَهمه بهذا المني. ولما فعل ذلك انكشف له أنّ اّوحد الزمان كتبها للوقية بآبن التلميذ فحنق عليه حقاً عظيماً ووهب دمه وجميع ماله وكتبه لآمين الدولة ابن التلميذ. ثمّ أنّ آمين الدولة كان عنده من كرم الطبايع وكثرة الخيريّة انه لم يترضّ له بشيء. وبعد اّوحد الزمان بذلك عن الخليفة وانحطّت منزلته. ومن مطبوع ما لآمين الدولة فيه قوله (من البسيط) :

لنا صديقٌ يهوديٌّ حماقته اذا تكلمَ تبدو فيه من فيه
يتيه والكذب اعلى منه منزلةً كأنه بعدُ لم يخرج من التيه
وقال ابن التلميذ في ولده وكان في سائر احواله بعيداً عما كان عليه والده (من المنسرح) :

اشكو الى الله صاحباً شكساً تُسَعِفُهُ النفسُ وهو يَعْسِفُهَا
فنعنُ كالشمسِ والهللِ معاً تُكْسِبُهُ النورَ وهو يَكْسِفُهَا
وفيه قال يوتّبه (من الكامل) :

والوقتُ أنفُسُ ما عُنيتَ بحفظه واره أسهلَ ما عليك يضيع
وقال يهجو صديقاً اسمه سعيد خانة (من السريع) :

حبي سعيداً جوهرُ ثابتٌ وحبه لي عَرَضُ زائلُ
به جهاتي الستُ مشغوفةٌ وهو الى غيري بها مائلُ
وروى له محمّد بن خضر الحلبي يهجو الوزير الدرگزيني (من مجزوء الكامل) :

قالوا: فلانُ قد وّرَرَ فقلتُ: كلاً لا وّرَرَ

والله لو حَكِمْتُ فِيهِ مَجَلَّتُهُ يَرَعَى الْبَقَرُ

وقال فيه (من مجزؤ الكامل):

قَالَ الْأَنَامُ وَقَدْ رَأَوْا مَعَ الْحَدَاثَةِ قَدْ تَصَدَّرَ:
مَنْ ذَا الْمَجَاوِزِ قَدْرَهُ قُلْتُ: الْمَقْدَمُ لِلْمَوْخِرِ

ومثله في رجلٍ قليل الوفاء (من مجزؤ الكامل):

قَدْ قَاتَ لِلشَّيْخِ الْجَلِيلِ الْأَرِيحِيِّ ابْنِ الْمُظَفَّرِ:
ذَكَرَ فُلَانُ الدِّينِ بِي قَالَ: الْمَوْنُثُ لَا يُذَكَّرُ

وقال يهجو آخر المسَمَّى حيدرًا (من الكامل):

مَنْ صَارَ حَيْدَرُ بَيْدَقِ الصَّدْرِ وَمُشِيرُهُ فِي السَّهْبِ وَالْأَمْرِ
وَالْمُسْتَنَابِ عَلَى نِيَابَتِهِ أَيْقَنْتُ أَنَّ الْعَجْزَ فِي الصَّدْرِ

وقال يهجو انسانًا بالعين (من المنسرح):

مَدَوَّرُ الْكَعْبِ فَاتَّخَذَهُ لَتَلَّ غَرْسٍ وَثَلَّ عَرْشِ
لَوْ رَمَقَتْ عَيْنُهُ الثَّرْيَا أَخْرَجَهَا فِي بَنَاتِ نَعَشِ

وله أيضًا في شقي يخاف الهجو (من السريع):

يَا خَائِفَ الْهَجْوِ عَلَى نَفْسِهِ كُنْ فِي أَمَانِ اللَّهِ مِنْ مَسِّهِ
أَنْتَ بِهَذَا الْعَرَضِ بَيْنَ الْوَرَى • ثَلَّ (القذَى) يَنْعُ مِنْ نَفْسِهِ

ومن اقوال امين الدولة ﴿في الشوق﴾ ١٠ رواه الصفدي في شرح لامية العجم

عَاتَبْتُ اذْ لَمْ يَزُرْ خَيَالِكَ وَالسَّوْمُ بِشَوْقِي اِلَيْهِ مَسْلُوبُ
فَزَارَنِي مُنْعِمًا وَعَاتَبَنِي كَمَا يَقَالُ الْمَنَامُ مَقْلُوبُ

وقال بمعناه (من البسيط) :

يَا دَارُ لَا تُنْكِرِي مِنِي التَّفَاتَ فَتِّي فِرَاقُ احِبَابِهِ أَجْرَى مَدَامَعِهِ
عَهْدْتُ فِيكَ قُمِيرًا كَانَ يُوْنِسُنِي حِينًا فَعَيْنَايَ تَسْتَقْرِي مَطَالَعَهُ

وله يَتَشَوَّقُ اِلَى اصْحَابِهِ فِي بَغْدَاد (من الطويل) :

عَلَى سَاكِنِي بَغْدَادَ مِنِي تَحِيَّةُ تَحْمِلُهَا رِيحُ الشَّمَالِ اِلَيْهِمْ
تُخَبِّرُهُمْ اَنِّي صَحَبْتُ مَعَاشِرًا سِوَاهُمْ فَأَبْكَانِي الزَّمَانُ عَلَيْهِمْ

ومثله (من الطويل) :

خَلِيلُ نَأَى عَنِّي فَبَدَّلْتُ بَعْدَهُ مُقِيمَ الْجَوَى مِنْ صَفْوِ عَيْشٍ وَطِيبِهِ
اِغَارَ عَلَيْهِ صَرْفُ دَهْرٍ فَعَالَهُ وَعَمَّا قَلِيلٍ سَوْفَ يُلْحِقُنِي بِهِ

وله فِي الشَّوْقِ اَيْضًا (من المنسرح) :

لَا تَعْجَبُوا مِنْ حَنِينِ قَلْبِي اِلَيْهِمْ وَأَعْذِرُوا غِرَامِي
فَالْقَوْسُ مَعَ كَوْنِهَا جِمَادًا تَتَنُّ مِنْ فُرْقَةِ السَّهَامِ

وكذلك قَالَ يَتَشَوَّقُ (من السريع) :

كَيْفَ أَلْفُ الْعَيْشِ فِي بَلَدٍ سَكَّانُ قَلْبِي غَيْرُ سَكَّانِهَا
لَوْ اَنَّهَا الْجَنَّةُ قَدْ أَرْزَلَتْ لَمْ أَرْضَها إِلَّا بِرِضْوَانِهَا

وكان جمال الدين ابو القاسم بن افلاح كتب يُعرب عن شوقه لابن التلميذ:

إني وَحَقَّكَ مِنْذُ ارْتَحَلْتُ خَارِي حَنِينٌ وَلِبْلِي أَنْيُنُ
وَمَا كُنْتُ أَعْرِفُ قَبْلُ امْرَأً بِحَسْمٍ يَقِمُ وَقَلْبِ يَبِينُ
يَقُولُ الْخَلِيُّ إِذَا مَا رَأَى وَلَوْ عِيْ بِذِكْرِكَ لَا يَسْتَكِينُ :
نَسَلٌ . فَعَلْتُ : دِهَاكَ الْفِرَاقُ أَتَدْرِي جَوَى الْبَيْنِ إِنْ يَكُونُ
وَكَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى سُلُوتِي وَحَزَنِي وَفِيَّ وَصْبِي خَوْثُونُ

فكتب امين الدولة في جوابه (من المتقارب):

وَأَتَى وَحُبِّكَ مُذْ بِنْتُ عَنْكَ مَ قَلْبِي حَزِينٌ وَدَمْعِي هَتُونُ
وَأَخَافُ ظَنِّي صَبْرٌ مُعِينٌ وَشَاهِدُ شَكْوَايَ دَمْعٌ مُعِينُ
فَلِلَّهِ أَيَّامُنَا الْخَالِيَا تِ لَوْ رَدَّ سَالَفُ دَهْرِ حَنِينُ
وَأَتَى لَأَرَعَى عَهْدَ الصَّفَاءِ وَيَكْلَأُهَا لَكَ وَدٌّ تَصُونُ
وَأَحْفَظُ وَدَّكَ عَنْ قَادِحٍ وَوَدُّ الْإِكَارِمِ عَلَقُ ثَمِينُ
وَلَمْ لَا يَكُونُ وَنَحْنُ الْيَدَا أَنْتَ بِفَضْلِكَ مِنْهَا الْيَمِينُ
إِذَا قُلْتُ : أَسْأَلُوكَ . قَالَ الْغَرَا مٌ : هِيَ هَاتِ ذَلِكَ مَا لَا يَكُونُ
وَهَلْ لِي فِي سَلْوَةٍ مَطْمَعٌ وَصَبْرِي خَوْثُونُ وَوَدِّي أَمِينُ

ونظم أيضاً ابن التلميذ ﴿ في الغزل ﴾ اللّين بحسن الذوق كقولهِ (من المتقارب):

لِسَيْفٍ جُفُونُكَ فَضْلٌ عَلَى مَوَاضِي السِّيُوفِ الَّتِي فِي الْجُفُونِ
فَتَلَكَ مَعَ الْقَتْلِ لَا تَسْتَطِيعُ رَجْعَ النُّفُوسِ بِدَفْعِ الْمُنُونِ

وعينك يقتلني شزرها وأحيا بإيماضها في سكون
وقوله بمعناه (من الكامل) :

تمت محاسنه سوى كلف حلو المواقع زانه بشر
وسموا به لآلاء غرته عمدا ليعلم انه بدر
وله في وصف الخال (من البسيط) :

لا تحسبن سواد الخال عن خلل من الطبيعة او إحداثة غلط
وأما قلم التصوير حين جرى بنون حاجيه في خده نقطا
ومن غزله (من الكامل) :

يا من لبست عليه أثواب الصنا صفرا مشهرة بحمر الأدمع
أدرك بقية مهجة لولم تدب شوقا إليك نفيتها من أضلعي
ومنه (من الخفيف) :

انت شغلي في كل حال فنومي بخيال ويثظتي بأذكاد
طال لي بطول هجرك لا دام وشوقي الى الليالي القصار
وقال ايضا (من الخفيف) :

لا تظنن تخلفي لملال انت من خوف سلوتي في أمان
رب هجر يكون أدعى الى الوصل ووصل أدعى الى الهجران
وهذه من حكم ابن التلميذ وكلها لطيفة مصيبة . قال يصف او اخر حياة الشيخ
(من المتقارب) :

اذا وَجَدَ الشَّيْخُ فِي نَفْسِهِ نَشَاطًا فَذَلِكَ مَوْتُ خَفِي
أَلَسْتَ تَرَى أَنَّ ضَوْءَ السِّرَاجِ لَهُ لَهَبٌ قَبْلَ أَنْ يَنْطَفِي
وقال في العلم واسبابه (من المتقارب):

سُقِ النَّفْسَ بِالْعِلْمِ نَحْوَ الْكَمَالِ تُؤَافِ السَّعَادَةَ مِنْ بَابِهَا
وَلَا تَرْجُ مَا لَمْ تُسَبِّبْ لَهُ فَانَّ الْأُمُورَ بِأَسْبَابِهَا
وقال في انخجاب الحقيقة عن النفس (من البسيط):

لَوْلَا حِجَابُ إِمَامِ النَّفْسِ يَمْنَعُهَا عَنِ الْحَقِيقَةِ فِيمَا كَانَ فِي الْأَزَلِ
لَأَدْرَكْتَ كُلَّ شَيْءٍ عَزَّ مُطْلَبُهُ حَتَّى الْحَقِيقَةَ فِي الْمَعْلُولِ وَالْعَائِلِ
وقال في تأثير العلم في العاقل وفي الجاهل (من الكامل):

الْعِلْمُ لِلرَّجُلِ اللَّيِّبِ زِيَادَةٌ وَنَقِصَةٌ لِلْأَحْمَقِ الطَّيَّاشِ
مِثْلُ النَّهَارِ يَزِيدُ ابْصَارَ الْوَرَى نُورًا وَيُغْشِي أَعْيْنَ الْخُفَّاشِ
وما اظرف قوله في تواضع الشريف (من الطويل):

إِذَا كُنْتَ مَحْمُودًا فَأَنْتَ مُرْمِدٌ عَيُونَ الْوَرَى فَأَكْثَلُهُمْ بِالتَّوَاضُعِ
ومن قوله في حذر العدو الصغير (من البسيط):

لَا تَحْتَرَنَّ عَدُوًّا لَأَنَّ جَانِبَهُ وَلَوْ يَكُونُ قَلِيلَ الْبَطْشِ وَالْجَلْدِ
فَالذُّبَابَةُ فِي الْجُرْحِ الْمُدَّ يَدُ تَنَالُ مَا قَصُرَتْ عَنْهُ يَدُ الْأَسَدِ
وقال يصف الكريم والثلیم (من المنسرح):

نَفْسُ الْكَرِيمِ الْجَوَادِ بَاقِيَةٌ فِيهِ وَإِنْ مَسَّ جِلْدَهُ الْعَجَفُ

وَالْحُرُّ حُرٌّ وَإِنْ أَلَمَّ بِهِ الضَّرُّ فَفِيهِ الْعَفَافُ وَالْأَنَفُ
وَالنَّدَلُ لَا يَهْتَدِي لِمَكْرُمَةٍ لِأَنَّ ذَاكَ الْمَزَاجُ مَنْحَرَفُ
فَالْقَطْرُ سُمٌّ إِنْ احْتَوَاهُ فَمُ الصِّلِ وَذَرَّ إِنْ ضَمَّهُ الصَّدَفُ

وله في الشباب والشيب (من المنسرح) :

قَالُوا شَبَابُ الْفَتَى خَوْوُنُ وَالشَّيْبُ وَافٍ فَلَيْسَ يَرَحُلُ
فَقُلْتُ : أَبْعَدْتُمْ قِيَاسًا ذَاكَ حَيْبُ وَذَا مُوَكَّلُ

ومن قوله في من يرى عيوب غيره دون عيب نفسه (من الكامل) :

وَأَرَى عَيْوَبَ الْعَالَمِينَ وَلَا أَرَى عَيْبًا لِنَفْسِي وَهُوَ مِنِّي أَقْرَبُ
كَالطَّرْفِ يَسْتَجْلِي الْوُجُوهَ وَوَجْهَهُ مِنْهُ قَرِيبُ وَهُوَ عَنْهُ مُعْزَبُ
وَقَالَ فِي آخِرِ عَمْرِهِ (من الكامل) :

كَانَتْ بُلْهَيْئَةُ الشَّيْبَةِ سَكْرَةً فَصَحَوْتُ وَاسْتَأْنَفْتُ سِيرَةَ مُجْمِلِ
وَقَعَدْتُ ارْتَقِبُ الْفَنَاءَ كِرَاكِبِ عَرَفَ الْمَحَلَّ فَبَاتَ دُونَ الْمَنْزِلِ

وقال في تحمل الدهر على الضعفاء (من الوافر) :

أَجْدِكَ إِنْ مِنْ شَيْمٍ اللَّيَالِي مِ الْعَنِيْفَةِ إِنْ تَجَوَّرَ عَلَى اللَّهْيِفِ
كَمَثَلِ الْخَلْطِ أَغْلَبَ مَا تَرَاهُ يَصْبُ إِذَاهُ فِي الْعَضْوِ الضَّعِيفِ

وقال يصرف النفس عن الملاذ (من المجث) :

قَدْ كُنْتُ اعْتَدْتُ حِينًا لُقْيَاكَ أَنْفَسَ رُبْحِ
فَقَدْ بَدَتْ عَنْ سُلُوكِ سَاءِ عَقْلِي بِنُصْحِ
مَالِي أَهْمُ بِحُسْنِ يَكُونُ عِلَّةَ قُبْحِي

وقال في العزم والجِدَّ (من السريع) :

وَإِظْبُ عَلَى الْحَدِّ وَلَا تَنْخَدِعْ بِالْهَزْلِ إِنْ سَاعَدَكَ الْجَدُّ
وَلَا تَقُلْ إِنْ لَهُ مَوْضِعًا فَالْهَزْلُ فِي مَوْضِعِهِ جَدُّ

ولابن التلميز بعض * الانغاز * كخاله ابي الفرج منها قوله في سحاب (من الرجز) :

وَهَاجِمٌ لَيْسَ لَهُ مِنْ عُذْوِي مُسْتَبَدِّلٌ بِكُلِّ مَثْوَى مَثْوَى
بِكَأْوِهِ وَضَحْكُهُ فِي مَعْنَى إِذَا بَكَى أَضْحَكَ أَهْلَ الدُّنْيَا
وَأَلْفَزُ فِي الْمِيزَانِ فَاجَادَ (من الرجز) :

مَا وَاحِدٌ مُخْتَلَفُ الْأَهْوَاءِ يَبْدُلُ فِي الْأَرْضِ فِي السَّمَاءِ
يُحْكَمُ بِالْقِسْطِ بِلَا رِيَاءِ أَعْمَى يُرِي الرِّشَادَ كُلَّ رَائِي
أَخْرَسُ لَا مِنْ عِلَّةٍ وَدَاءِ يُغْنِي عَنِ التَّصْرِيحِ بِالْإِيَاءِ
يُجِيبُ إِنْ نَادَاهُ ذُو أَمْتَرَاءِ بِالرَّفْعِ وَالْخَفْضِ عَنِ النَّدَاءِ
يُفْصَحُ إِنْ عُلِقَ فِي الْهَوَاءِ

وله ألفز في الدرع (من الطويل) :

وَبَيْضَاءُ لَا لَلْبَيْضِ وَالسُّمْرِ قَدْ هَا تَظَاهَرَ فِي تَقْوِيمِهَا الْحَرُّ وَالْبَرْدُ
تَجَلَّتْ لَنَا حَبًّا وَلَمْ تَجْرُ فِي رَحَا وَلَكِنْ تَوَلَّاهُ لَهَا الرِّقُّ وَالْبَرْدُ
وَقَيْتُ بِهَا نَفْسِي فَكَانَتْ كَأَنَّهَا هِيَ الشَّمْسُ مُحْجُوبًا بِهَا الْكَوْكَبُ الْفَرْدُ

وَألفز في الابرة كأي الفرج فقال (من الطويل) :

وَكَاسِيَةٌ رُزْقًا سِوَاهَا بِجُوزِهِ وَلَيْسَ لَهَا حَمْدٌ عَلَيْهِ وَلَا أَجْرُ

مفرقةٌ للشَّمْلِ والجَمْعُ دأبُها وخادمةٌ للناسِ تخدمها عَشْرُ (١)
 اذا خَطَرَتْ جَرَّتْ فُضُولُ ذِيولها سَجِيَّةٌ ذِي كِبَرٍ وليس بها كِبَرُ
 ترى الناسَ منها يلبسون الذي نَضَتْ تَعْمَهُمُ جودًا وليس لها وَفَرُ
 لها البيتُ بعد العزِّ غيرُ مدافعٍ الى بأسِهِ (٢) تُغزى المَهْدَةُ البُتْرُ
 أَضْرُ بها مثلي نُحُولُ يَجْسَمُها وإن لم يَرَعْها مثل ما راعني هَجْرُ (٣)

ولابن التلميذ مقاطيع غير هذه فاكتفينا بما سبق ذكره . ولعلهُ وقع ايضاً بعض
 اختلاط بين ما روي له وما روي لابي الفرج خاله فان بعض ما ذكرناه للثاني يروى في
 كتب اخرى الاول والعكس بالعكس . وما لا ريب فيه ان كليهما امتاز بالثغر
 والنظم وانما اتسع الرواة بذكر هبة الله وكان اقرب اليهم زماناً واوسع شهرةً وقد
 مدحه كثيرون من الشعراء ورثوه بعد موته . فن ذلك دالّةٌ للسيد النقيب الكامل
 ابن الشريف الجليل رواها ابن ابي اصيبعة (١: ٢٦٥) اولها :

امين الدولة اسلم للابادي على رغم المناوي والمعادي

ثم روى قصيدة للشريف ابي يعلى محمد بن الهبارية الشهير يقول في مدحه :

شمسُ مجد لا تراها ابداً عن سمواتِ العلى مُنْكَسِفَةٌ
 جلّ ان يُدرَكَ وصفاً مجدهُ انه اكبرُ من كلِّ صِفَةٍ
 غدتِ الدنيا ومن فيها معاً لعلاهُ بالعلی معترفه

وقال اثير الدين ابو جعفر عبدالله يرثيه :

فُقِدَ الطيّبُ فليس يوحد صحّة م الموجود متناً بعد ذا المفقود

وروي غير ذلك لابن اسماعيل الطغرائي ولابن جكينا واللبديع الاطرلاي
 ولابي القاسم هبة الله بن المفضل ما يُعرب عن سمو مثله ابن التلميذ واعتباره لدى
 اعيان زمانه وادبائهم

٣٠ محفوظ النيلي

﴿ اسمه ونسبه ودينه وزمانه ﴾ هو الحكيم ابو العلاء محفوظ ابن المسيحي بن عيسى النصراني النيلي الطيب والاديب الشاعر . كان من اهل العراق ونسبته الى النيل وهي بلدة على الفرات في سواد الكوفة بين الكوفة وبغداد . وقد عرف ايضاً بالواسطي لانه كان نزيل مدينة واسط يسكنها فنُسب اليها . أما زمانه فانه كان في اواسط القرن السادس للهجرة والثاني عشر للميلاد

﴿ علمه وادبه ﴾ قال فيه جمال الدين القفطي في تاريخ الحكماء (ص ٣٢٧— ٣٢٨) : « كان محفوظ طبيباً فاضلاً نبيلاً مذكوراً في وقته عالماً بصناعة الطب مرتقياً بها جميل المشاركة محمود المعالجة . وله مع ذلك ادب طري ، وخاطر في النظم سري ، وكان موجوداً بالعراق سنة ٥٥٩ (١١٦٤م) »

وقد عرفه عماد الدين الاصفهاني وذكره في خريدة القصر وجريدة العصر (Ms de Paris 1447 f. 165) قال : « الحكيم ابو العلاء محفوظ سكن واسط وعرف بها واكتسب بالطب . وكان فاضلاً عالماً مرضي الصنعة في مداواة المرضى مستقيم الرأي في تسقيم السقيم . لم يزل يتردد الي مدة اقامتي بواسط أستطبه ، وأجد بمنة الله بطبه من الصحة ما أستجبه ، وكان لهجاً بالالغاز ، ولا يسمعه من ذلك شديد الاهتزاز ، واشعاره فيه مستقيمة الصدر وسليمة الأعجاز ، توفي في اوائل سنة ستين وخمسمائة (١١٦٥م) وكان قبل ذلك بأشهر قريبة يجتمع بنا ونتذاكر ما قيل في اللغز »

ومما ذكره ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء (ص ٢١٧— ٢١٨) ان علي بن هبة الله الاثري شرح كتاب دعوة الاطباء لابن بطلان وألفه لابي العلاء محفوظ ﴿ اشعاره ﴾ لم نقف ل محفوظ على شعر إلا ما رواه عنه عماد الدين الاصفهاني في الالغاز . قال : « ما أنشد فيه لنفسه بواسط في عاشر شوال سنة تسع وخمسين (وخمسمائة) لغز في العقل (من المنسرح) :

مَا حَاضِرُ مَا يُرَى لَهُ شَخْصٌ فَإِنَّهُ فِي اخْتِفَائِهِ لِصٌّ
يُضِي فِي الْبَيْتِ كَالسِّرَاجِ وَقَدْ يَشُوبُ وَقْتًا ضِيَاءَهُ غَمَصٌ
يَبِينُ نُقْصَانُهُ وَلَيْسَ لَهُ رُجْحَانُ كَمِيَّةٍ وَلَا نَقْصٌ
لَكِنَّهُ عَادِلٌ عَمِلٌ وَمَا رَأَيْتُ مَيْلًا بِالْعَدْلِ يَخْتَصُ
يَهْزِمُ جَيْشَ الْخُطُوبِ مُقْتَدِرًا وَقَدْ يُرَى أَنَّهُ عَاجِزٌ نِكَصٌ
أَعْوَانُهُ عُدَّةٌ ثَمَانِيَةٌ (١) بِهِمْ يَنْمُ الضَّلَالُ وَالْفَحْصُ
فَبِوَكُوحٍ فِي الْفُلْكِ يَسْتَتِرُ وَهُمْ كَأَصْحَابِهِ إِذَا أُحْصُوا (٢)
فَقَدْ كَشَفْتُ الْغَطَاءَ بِجَهْدٍ حَتَّى بَدَأَ مِنْ ظُهُورِهِ نَفْصٌ (٣)

وَأَغْرَ فِي النَّارِ وَارْتَفَاعَ لَهْيِهَا عَنِ الْأَرْضِ (من السريع):

مَا صُورَةٌ كَرَّ نَهَا رَبُّهَا مِنْ عَالَمِ الْجَنَّةِ وَالْأَنْسِ
فَأَصْبَحَتْ لِلْأَنْسِ مَعْشُوقَةٌ تُهْدِي إِلَيْهِمْ لَذَّةَ النَّفْسِ
فَمَا لَهَا مِنْ بَعْدِهَا رَجْعَةٌ إِلَى مَقَرِّ الْوَصْلِ وَالْأَنْسِ
فَمَا هِيَ يَا مَنْ غَدَا عَالِمًا يَجُلُّ مَا يُلْغِزُ فِي الطَّرْسِ

قال العماد وانشدني محفوظ في الإنغاز لنفسه بالرمانسة بمعنى الثمرة والقبان (من الرجز):

(١) يريد بالثمانية القوى التي يستعين بها العقل وهي الخواص الخمس ثم الخيال والحس وقوة الإرادة

(٢) يقول إن عدد هؤلاء الأعوان ثمانية كعدد الأشخاص الذين كانوا في سفينة نوح فنجوا من الطوفان (٣) النقص بالغاء الزيادة والمبالغة

يا عالمًا يَسْتَفْهِمُ عن كلِّ ما يُسْتَبْهِمُ
 ما حَامِلٌ عَذْرَاءٍ لَمْ تَرِنْ وَلَا تُتَمِّمُ
 أولادُها في جَوْفِها تحت الضُّلوعِ جُثَمُ
 كلُّ لُةٍ من تَرْبِها (١) عليه ثوبٌ يُقْسَمُ
 شَفَاهُها كثيرةٌ فأَعْلَمُ وأَحْرَمُ
 لكن لها فردٌ فَمِ ورأسُها هوَ الفَمُ
 من الجنانِ أُخْرِجَتْ والمَجْجِمُ تُسَلِّمُ
 وما اتت جَرِيمةً ومثَلُها لا يُجْرِمُ
 بل فضلُها عندَ الأنا مَ ظاهرٌ يُقْتَنَمُ
 أمثالُها بينهمُ لها صِفاتٌ تُعْلَمُ
 فالبعضُ منها حاكمٌ يَعدِلُ فيما يَحْكُمُ (٢)
 والبعضُ منها في الصِّدو رِجالٌ يَحْتَشِمُ (٣)
 كلُّ يرى حقوقه عليه فرضاً يُلْزَمُ
 ومن شهيرِ امرِها اذ مثله لا يُكْتَمُ
 أنْ بها يشقى السَّقِيمُ والندِيمُ يَنعَمُ (٤)

(١) كذا في نسخة . ويروى : في شرجها . ولعل الصواب من شرجها أي من لحمها وشحمها

(٢) الرمانة هنا القبانة التي تتخذ للوزن

(٣) يشبه ثدي النساء بالرمانة

(٤) ويروى : يندم

وقد كشفتُ سرَّها وعند هذا أختِمُ

قال العماد . وانشدني ايضاً لنفسه في واسط رابع ذي القعدة سنة ٥٥٩ ملغزاً في آله الطرب المعروفة بالثاني (من الوافر) :

ومملوكٍ رشيقٍ القَدَّ أَلَمَى	به تلهو وتبتهجُ النفوسُ
صَموتٌ ناطقٌ أرقُ نوومٌ	عجيبٌ شَخْصُهُ شَخْصٌ نفيسٌ
ويوحشُ ذكره رُبَّعَ التصابي ١)	ولولاهُ لما أنسَ المجلسُ
له رأسٌ يُخالفُ منه جسمًا	بلا رجلٍ ففسَّرَ ما تَقيسُ
إذا ما بانَ عنه ظِلٌّ مَيَّتا	وإما عادَ عاودَهُ الحسيسُ
يئنُّ أَيْنَ صَبِّ مُسْتَهامٍ	مَشوقٍ قد نأى عنه أنيسُ
وليس بذي صباياتٍ ليهوى	ولكنَّ الهوى (الهوا) فيه حبس

وله مُعَمَّى في غلامٍ اسمه سعيد (من الوافر) :

وذي غنجٍ عَلَّتْ هَواهُ بَلَوَى	فبَلَبَنِي بَطْرَفٍ بَارِلِي
له أَسْمٌ ضِدُّ حَالِي فِي هَواهُ	فَفَتَّشَهُ تَجِدُهُ بَغِيرَ عِي
إذا أَسْقَطَ حَرْفاً مِنْهُ يَوماً	فذاك يَومٌ أَفراحٍ وَزِي
وإن أَسْقَطَ ثَانِيَهُ اتِّبَاعاً	عَدَا مَوَلَى لِعَبْدٍ أَوْ وَلِي
وإن أَسْقَطَ ثَالِثَهُ اخْتِياراً	يَصِيرُ أَسْماً لِعَبْدٍ أَرْمَنِي

(١) يريد هنا النأي مصدر نأى وهو الهجران الذي يستوحش الاصدقاء ذكره

وان اسقطت رابعه اضطراراً أتى نوع من الشئ الوجي
فان تك ذا حجي وأخا أحاج ففسر يا أخا القلب الذكي
وأنز في المسمى كما لا (من السريع) :

ذا مالك رقي هواي له من أسمه في البيت منظوم
تهجته واجعل له أولاً آخره فالأسم مفهوم
قال العماد الاصفهاني : وكان لمحمود بن المسيحي عندي رسم في كل سنة يصل
اليه من الخنطة فكتب اليّ يلغز بها ويطلب الرسم (من الوافر) :

عماد الدين دعوة مستفيد لأنك كاشف عن كل دين (١)
فما صفراء كالذهب المصفى ولون لبابها لون اللجين
محببة الى الارواح طراً بها تقوى النفوس بغير مين
لها اسم نصفه شعب قديم كما زعموا بإحدى الأمتين (٢)
ونصف جاء في القرآن نصفاً لأول سورة بقراءتين (٣)
لها وقت تداس بكل رجل ووقت فيه ترفع باليدين
أجب عنها وجد بالرسم معها وقالك الله آفة كل عين

واخبر العماد قال : كنت نظمت أنزاً في كوز الفقاع وهو الشراب الذي يتخذ
من الشعير وانشدته ابا العلاء محفوظاً فأثبتته واتى بجوابه . وهذه هي الابيات التي لي :

(١) ويروي : عن كل زين

(٢) يشير الى الجن وهو يدعى ايضاً الجن بالحاء . وذاك نصف اسم الخنطة . الأمتان الاسلام

(٣) يشير الى سورة طه في القرآن وهي نصف لفظة خنطة والنصرانية واراد هنا الاسلام

ما صورةٌ ما مثلها صورةٌ كأنها في العنق مطورةٌ
 تُطَرُّ الذي ومن ذا رأى مطورةٌ لري مطورةٌ
 منكوحةٌ ما لم تضع حملها مسدودةٌ الأنفاس بحسرة
 محرورةٌ اقلب ولكنها مبروبةٌ بالبرد مقرورةٌ
 كأنها النار بأحسانها على اشتداد البرد مسجورةٌ
 تظلُّ ملقاةً على رأسها خسارةٌ تحسب بحورةٌ
 مارةٌ الهامة من غيرها قصيرةٌ القامة ممكورةٌ
 كأنها رأس بلا جنة موصولةٌ إن شئت مبتورةٌ
 كهامة صلحاء مخلوقةٌ ما استعملت موسى ولا نورةٌ
 زامرةٌ في فيها زمرها وهي غير الزمر مشهورةٌ
 دودةٌ إن انت أرسلتها مهوكةٌ الاستار مستورةٌ
 من فضها تصق في وجهه كأنها بالفض مأمورةٌ
 ثورث تبعياً لمن ناسها وهي على ذلك شكورةٌ
 معسولة ريقها مرةٌ مُرسلةٌ بالهضم منصوره
 ان عقلت فرت وإن أنشطت فزت وثارت منك مذعورةٌ
 كم عدل ذاقك وكم سكر وأنهم ليست بمكفورةٌ
 ملحومةٌ من صخرة صلبة فاجرة الماء ومفعورةٌ
 من الصفا حسم ولكن ترى على صفاء الماء تامورةٌ
 فيا حليف المائثرات التي اوضحت لاهل الفضل مشهورةٌ
 أنعم وعجّل حل أشكالها فهي لدى فضلك مأسورةٌ

فاجاب محفوظ النيلي (من الرجز):

يا ذا الذي أعرب الغارهُ عن فطنة بالعلم مغموره
 ان التي أطنبت في وصفها حتى اغتدت في الناس مشهورة

صغيرةُ الجثةُ دحداحةُ باردةُ الملمسِ محرورةُ
 تعذبتُ في النارِ حتى اذا ماتت غدتُ في الثلجِ مقبورةُ
 محبوبةُ المخرجِ لکنها منكوحةُ ليست بمستورةُ
 ان فضها الناكحُ مقهورةُ فاضت بماءِ فيضِ مخمورةُ
 او بصقتُ في وجهِ مُفتضها فإنها في ذاكِ معذورةُ
 لانها تسقيه خمرًا بها يجللُ الخُمورُ تخميرةُ
 ويصبحُ الشَّبعانُ ذا شهوةِ كلبيةٍ بالجوعِ مذكورةُ
 صورتها تحكي اذا قستها مضغمةُ بالصَّغْرِ مأسورةُ
 فهذه من طينةِ صُورتِ وفي لهيبِ النارِ مسجورةُ
 وتلك من جوهرةِ صلدةِ مذابةٍ بالنارِ مصهورةُ
 فخذ جوابي ملغزًا مثل ما ألغزتهُ في هذمِ الصورةِ
 وهي لمن يوترُ كشفي لها فُقاعةُ الفُقاعِ محصورةُ

٣١ سعيد النيلي

ولحفظ النيلي مواطنٌ نصراني وشاعر مثله من بلدة النيل قرب واسط . ذكره
 ابن ابي اصبعة في طبقات الاطباء قال (١: ٢٥٣) : هو ابو سهل سعيد بن عبد
 العزيز النيلي المشهور بالفضل عالم بصناعة الطب جيد المصنعات متفنن في العلوم
 الادبية بارع في النظم والنثر ومن شعره (من الخفيف) :

يَا مُفَدِّى الْعِذَارِ وَالْقَدِّ بِنَفْسِي وَمَا أَرَاهَا كَثِيرَا
وَمُعِيرِي مَنْ سُقِمَ عَيْنِيهِ سُقْمًا دَمْتُ مُضْنِي بِهِ وَدَمْتُ مُعِيرَا
إِسْقِنِي الرَّاحَ تَشْفِ لَوْعَةَ قَلْبٍ بَاتَ مُذْبِتُ الْمَهْمُومِ سَمِيرَا
هِيَ فِي الْكَاسِ خَمْرَةٌ فَاذَا مَا أَفْرَعْتُ فِي الْحِشَا اسْتَحَالَتْ سُرُورَا
(قال) والنيلي من الكتب اختصار كتاب المسائل الحنين . تلخيص شرح
جالينوس . كتاب الفصول مع نُكْت من شرح الرازي
هذا ولم نجد ذكرًا لسعيد النيلي في غير ابن ابي اصبعة

٣٢ ابن اصففانوس الرومي

كان حق هذا الشاعر ان يقدم مع شعراء القرن الخامس للهجرة إلا اننا أخذنا
بترجمته المخطوطة خطأ سقيمًا فنقلناها على علانها عن كتاب بغية الطلب في تاريخ
حلب الكمال الدين الحلبي عن نسخة لندن (Car Mss. Brit. n° MCCXC) قال:
« كان ابن اصففانوس فيلسوفًا شاعرًا وُلد بالروم ونشأ بأنطاكية وكان ذا هبة اديبًا
شاعرًا نحويًا فيلسوفًا نظرًا . سافر الى العراق ولقي به العلماء ولقن من العلوم
والآداب ما علا به صيته واشتهر ذكره في الازمان . ثم ورد هناك اخبار أخرى
محمودة لقدما يؤخذ منها ان ابن اصففانوس أرسل سفيرًا الى خليفة قرأنا اسمه
« المستضي » وظننا انه الخليفة العباسي الذي تولّى الخلافة من السنة ٥٦٦ الى ٥٧٥ هـ
(١١٧٠ - ١١٨٠ م) وقرأنا هناك اسم وزيره « علي بن عبد الرحمن البازوري » فاستتجنا
ان ابن اصففانوس الرومي الشاعر عاش في اواسط القرن السادس للهجرة والثاني
عشر للمسيح . فافادنا جناب عبدالله افندي مخلص من حيفا ان الوزير المذكور هو
« الحسن بن علي بن عبد الرحمن البازوري (باليا) » الذي كان وزيرًا للخليفة الفاطمي
المستنصر بالله في مصر الذي ملك من السنة ٤٢٧ الى ٤٨٧ هـ (١٠٣٥ - ١٠٩٥ م)
وعليه يجب القول انه وقع غلط في اسم الخليفة العباسي المستضي بالله . ومنه ينتج ان
ابن اصففانوس عاش في القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح . فنشكر

لحساب المراسل افادته فقد ازال بها ما وقع من الالتباس في النسخة التي اخذنا عنها . وفيها ورد اسم رجل اجتمع به ابن اصفغانوس يُدعى «يوسف بن الكفريطاني» الذي كان يدرس في كفرطاب ، لم نعرف من امره شيئاً . هذا ما رواه كمال الدين ولم نقف في غيره على اخبار ابن اصفغانوس

٣٣ القس يعقوب المارداني

كان يعقوب المارداني احد قسوس اليعاقبة السريان ذكره الشيخ المؤمن ابو اسحاق ابن عسّال في جدول كتّبة النصاري الذي قدّمه على كتابه اصول الدين (ص ٢٨ من نسخة مكتبتنا الشرقية) روى اسمه بعد يحيى بن عدي وعيسى بن زرعة ويحيى بن حريز (ويقال جرير) فقال : «القس الفاضل يعقوب المارداني صاحب دعوة القسوس» . اما دعوة القسوس هذه فعلى ما يظهر كتاب ادبي روى فيه المؤلف اخباراً ادبية تروى لقسوس النصرانية . وقد جاء في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة (١ : ٢٤٣) ان ابن بطلان الذي سبق لنا ذكره هو صاحب دعوة القسوس والمشهور انه صاحب دعوة الاطباء كما اثبتنا هناك . والقس يعقوب هذا كان من تبة البدعة اليعقوبية . اما نسبته «المارداني» فاراد بها «ماردن» مدينة الجزيرة الشهيرة وكان الصواب ان ينسب اليها «المارديني» فرواها على صورة شاعت على السنة بعض العامة . وكنا ايسنا من اكتشاف شيء من كتاب دعوة القسوس حتى السنة ١٩٠٤ اذ اطلعنا في دار المرحوم الوجيه بشاره يارد على مخطوطات قديمة مخرومة كان من جملتها كراس من قطع صغير طوله ١٨ سنتيمتراً في عرض ٢١ سم ذي ورق صفيق مصفر لقدمه ينقص اوله ويبلغ ١١٣ صفحة وفي الصفحة ٢٢ سطراً كُتب بخط نسخي ناعم ومثّق بجبرين اسود واحمر يرتقي الى القرن الثامن عشر . وهو مجموع شعر قديم لشعراء مسلمين بينهم بعض النصاري . ففي الصفحة ١٠٣ منه فصل عنوانه «ومما وجد من القصائد والاشعار الحمريّة» ذكر فيه بعض الحمريات مترفعاً عن الحمرة المادّية الى ذكر الحمرة الالهية في سر النصرانية بينما قطع اخذها من كتاب دعوة القسوس قال (ص ١٠٥) : هذه خمريّة من كتاب دعوة القسوس (من الوافر) :

أَعَادَ بِنِعْمَةِ الرَّبِّ الْمَسِيحِ عَلَيَّ بِذَلِكَ الْخُمُرَ الْمَلِيحَ
لَقَدْ غَفَلْتُ خُطُوبُ الدَّهْرِ عَنَّا وَقَدْ ظَمَنْتُ إِلَى الصَّهْبَاءِ رُوحِي
وَقَدْ حَضَرْتُ وَمَنْ تَهْوَى فَبَادِرُ وَرَوَّ جَوَانِحِي بِدَمِ الذَّبِيحِ
فَلَوْ كَانَتْ حَرَامًا مَا أُبِيحَتْ لِمَنْ يَخْتَارُ شُرْبَ دَمِ الْمَسِيحِ
وَلَا دَاوَى بِهَا رَبُّ الْبَرَايَا بَلِيَّةَ آدَمَ الْمُتَّقَى الْجَرِيحِ
وَلَا أَوْصَى الرَّسُولُ بِهَا جَهَارًا وَحَلَّلَ شُرْبَهَا أَمْرُ السَّلِيحِ (١)
فَإِنْ بَادَرْتُ لَفَزْتُ بِكُلِّ شُكْرِ وَحَصَلَتْ السَّرُورَ مَعَ الْمَدِيحِ
وَإِنْ أَخَّرْتُ دَعَوْتُنَا أَعْنَى أَلْعَسْذَرُ الْقَبِيحِ أَمْ الْمَلِيحِ ؟
وَتَطْمَعُ بِالزِّيَارَةِ بَعْدَ وَقْتِ لَتَمَحُوَ مَا سَطَرْتَ مِنَ الْقَبِيحِ
تَحِدُنَا كَأَلْمَخْدَرِ فِي سُرُورٍ وَأَنْتِ بِيَابِنَا مِثْلَ الطَّرِيحِ

(قال) وله أيضاً في معناه (من الطويل) :

أَيَا مَنْ غَدَا ذُخْرِي لِكُلِّ مُلِمَّةٍ تَلِمُ وَلَا رَيْدُ سِوَاهُ وَلَا عَمْرُو
هَلُمَّ إِلَى الرَّاحِ الَّتِي كَانَ صَانِعُهَا لَنَادُونَ كُلَّ الْخَلْقِ فِي دَنِّهَا الْعُمُرُ (٢)
فَبَادِرُ فَمَا اللَّذَاتُ إِلَّا غَنِيمَةٌ فَشَمِّرِ إِلَيْهَا قَبْلَ أَنْ يَنْفَدَ الْعُمُرُ

وله أيضاً فيها وقد أحسن وصف أسرارها (من الكامل) :

شَمِّرْ ذِيُولَكَ فِي عُرَى الزَّنَارِ وَأَعْجَلْ إِلَى دَنِّ طُلِي بِالْقَارِ
فَلَقَدْ تَحَجَّرَ طِينُهُ فِي رَأْسِهِ مِنْ كَثْرَةِ الْأَيَّامِ وَالْأَعْمَارِ

(١) أراد بالرسول القديس يوحنا، والسليح والسليح ومن السريانية حكمتنا هو معناه

(٢) العمر الكنيسة والدير وبذكره يتضح أنه أراد الخمر المقدسة والقربان

واكشِفَ تَجْدُ شمس الضُّحَى محجوبةً في جُنْحٍ لَيْلِ القَارِ والفَخَّارِ
 قالوا: العُقَارُ. ولو أضَاءَ لَعُقُولُهُمْ مقدارُها ما سُمِّيتْ بِعُقَارِ
 نورٌ يفوقُ سناءَ كلِّ طريفةٍ من ساطعِ الأضواءِ والأنوارِ
 سرٌّ يُسِرُّ بِهِ إلى تَبَاعِهِ نورُ العقولِ وكاشفُ الأضرارِ
 قد قلتُ لَمَّا أُبْرِزْتُ في كأسِها : تَعَسَّ الذي باعَ الضياءَ بَغُبَارِ
 مالوا إلى الدينارِ قلتُ : عُدِمْتُكُمْ أَدَمُ المسيحِ يُباعُ بالدينارِ ؟
 قد كان قبلَهُمْ يهوذا بائعاً دَمُهُ بَنَزَرٍ النَّزَرِ للكُفَّارِ
 وهو أيضاً القائلُ لله دَرَهُ (من الكامل) :

نورٌ بِكَفِّكَ . أمْ شِهَابُ النارِ جَمْرٌ تَضَرَّمْ أمْ نُضَارٌ جاري
 شمسُ الضُّحَى في الكأسِ أمْ فَجْرٌ م تَبَسَّمَ صُبْحُهُ من تحت ليلِ القَارِ
 هذي التي مزَجَ المخلَصُ كأسَها في يومِ عيدِ الفِصحِ للأطهارِ
 هذي التي جَلَّتْ بها أنوارُها عن سائرِ الأشجارِ والأثمارِ
 صفراءُ لكنْ حُمْرَةٌ في خَدِّها من لَطَمِ أَخْمَصِ أَرْجُلِ العُصَّارِ
 لَمَّا رَمَتْ عنها الكَشِيفَ تَمَكَّنَتْ وتلاعبتْ بِلَطَائِفِ الأفكارِ
 وكذا النفوسُ إذا رَمَتْ شَهَوَاتِهَا قَوَّيْتُ لِعِلْمِ غَوَامِضِ الأسرارِ
 ومن محاسن شعره فيها أيضاً قوله (من الطويل) :

أَمِطْ عَنْ سَنَاها الحُتَمَ طَالَ بها العُمُرُ فَمَا صَانَهَا إِلَّا لَأَرْبَابِها العُمُرُ (١)

فقد جثَّها يا راهبَ الدير خاطباً
فقال : أريدُ المهرَ تَبْرًا فأثما
فقلتُ : إذنْ قُمْ للعُقارِ مبادراً
فقال : يُباعُ الوقْفُ لا الخمرُ خمرنا
فقلتُ له : خيرٌ حقيقةً أمرها
فقال : هي الراحُ المسيحيةُ التي
تناوَلها سِمْعانُ ثمَّ تداوَلَتْ
إلى أن وجدنا في المذارحِ مِن سَنا
فكان لها خَدْرُ الدِّنانِ فأصبَحَتْ
إذا أُتْرِعتْ في كأسها أو لَشَعَشَتْ
مُشعَّشةٌ يزهو على البدر نورها
معطَّرةٌ أعطافُها فكأنَّها
وقال أيضاً (من البسيط) :

هذه هي الراحُ لا شَبهَ أجوهرها
قد قال سَيِّدنا والكأسُ في يدهِ :
ولا يُماثلُها باللُّطْفِ مشروبُ
هذا دمي خلاصُ الخلقِ مسكوبُ

فترى ما بين هذه الخمراتِ وخمريةِ أبي الحفص الصوفي الشهير بابن الفارض من
الشبه . ويعقب المارداني معاصر لابن الفارض فلا يبعد أن أحدهما أخذ عن الآخر أو
جاراهُ في أقواله . وهذه بعض أبيات للفارض يمكن عرضها على أقوال صاحب دعوة
القسوس :

شربنا على ذكر الحبيب مدامةً سكرنا جا من قبل ان يُخلق الكرمُ
لها البدر كَأْسٌ وهي شمسٌ يُديرها هلالٌ وكم يبدو اذا مُزجت نجم
فإن ذُكِرَتْ في الحمي أصبح أهلهُ نشاوى ولا عارٌ عليهم ولا إثمُ
فلو نضحوا منها ترى قبر ميتٍ لعادت إليه الروحُ واتمشَّ الجسمُ
ولو قرَّبوا من حَاحَا مُقْعَدًا شئى وتَنطِقُ من ذِكْري مذاقتها البُكْمُ
يقولون لي: صفها فانت بوصفها خيرٌ، أَجَلٌ عندي باوصافها علمُ
صفاءٌ ولا ماءٌ ولُطفٌ ولا هواً ونورٌ ولا نارٌ وروحٌ ولا جسمُ
تقدَّم كلَّ الكائناتِ حديثها قديماً ولا شكلٌ هناك ولا رَمُ
وقامتْ جا الاشياءُ ثمَّ لِحِكْمَةٍ جا احتجبتْ عن كلِّ من لا لَهُ فهمُ
وهامتْ جا روحي بحيثُ غارَ جامُ اتحاداً ولا جِرمٌ تخلُّهُ جِرمُ
ولا قبلها قبلٌ ولا بعدَ بعدها وقبليَّةُ الأبدانِ فهي لها حَسْمُ
وقالوا: شربتِ الإثمَ. كلاًً وانما شربتِ التي في تركها عندي الإثمُ
هنيئاً لاهل الدير كم سكرُوا جا وما شربوا منها ولكتهم هموا
على نفسٍ فليَبْكُ من ضاع عمره وليس لَهُ فيها نصيبٌ ولا سهمُ

فلعمري أنَّ الشبهَ ظاهر بين اقوال الفارضي وصاحب دعوة القسوس وعلى رأينا انه
هو اخذ عن يعقوب المارداني اقواله فكساها ديباجاً فاخراً يستطيع النصارى ان يحولوا
معانيه الى سرٍّ طالما ذاقوا طعمه الالهي وحرمة من لا يُدرك اعظم عطايا الله للعالم
اي سرِّ محبته في القربان الاقدس

٣٤ يحيى بن ماري

﴿نسبه دينه زمانه﴾ ورد ذكره في تاريخ الحكماء لجمال الدين القفطي
(ص ٣٦٠-٣٦١) وفي مختصر خريدة القصر في شعراء العصر العلي المعروف برضائي
زاده المتوفى سنة ١٠٣٩هـ (١٦٢٩م) (Ms de Berlin, 7412 pp. 64) وفي
مختصر تاريخ الدول لابن العبري (ص ٤١٦) قالوا: هو ابو العباس يحيى بن سعيد بن
ماري النصراني المتطبب المعروف بالمسيحي. والمرجح انه كان نسطوري التحلة

واصله من الطيب بلدة بين واسط وخوزستان من . وضع يقال له الدوير وكان ابوه قد انتقل من الدوير الى البصرة واولد ولده هذا بها . قال جمال الدين : كان ابن ماري عالماً بالطب وكان يطب في مدينة البصرة في زماننا وكان عالماً ايضاً بالادب ادر كنا من روى عنه . وفيمن ادر كناه ابو حامد محمد بن محمد بن حامد بن الله الاصفهاني العامد رحمه الله . وتوفي ابو العباس يحيى بن سعيد بالبصرة لعشر بقين من شهر رمضان سنة ٥٨٩هـ (١١٩٣م)

﴿ ادبه وشعره ﴾ جاء في مختصر خريدة العصر عن العامد الاصفهاني قال : « كان لابي العباس معرفة بالادب وقد عمل ستين مقالة على منوال المقامات الحريرية ورأيتها معه وما قصر فيها . وقال جمال الدين القفطي : وكان للمسيحي هذا معرفة بالادب صادقة وربما امتدح بالشعر اجلاء الواردين على البصرة . وأنشأ وصنف المقامات الستين صنفها واحسن فيها وكان فاضلاً في علوم الاوائل وعلم العربية والشعر يرتق بالطب » . وذكر الحاج خليفة مقاماته (H.Kh., VI, p. 65, n° 12721) قال : « المقامات المسيحية لابي العباس يحيى بن سعيد بن ماري النصراني البصري الطبيب المتوفى في رمضان سنة ٥٨٩ هـ نسج فيها على مثال مقامات الحريري . قال ياقوت : اجاد فيها . قال الصنفدي : ما اجاد ولا قارب الاجادة . والمقامات الجزرية والمقامات التيمسية خير منها وما قاربنا الحريري »

(قلنا) اننا اطلعنا في مكتبة ثيناً عاصمة النمسة (FLUGEL : Die arab.

Handschriften I, 358, Ms 384) على مجموعة مقامات في عدد سبع وعشرين مقامة نسبت لابن ماري المذكور وانتسخنا قسماً منها اولها المقامة الفقهية ثم الرومية ثم الشعرية وآخرها المرجية . ثم اطلعنا في بغداد في كانون الاول سنة ١٨٩٥ على نسخة أخرى قديمة كاملة من المقامات المسيحية في خزانة كتب الجيدرخانه لم يسمح لنا قصر الزمان بنقلها وانما نقل منها حضرة الاب انتاس الكرملي مقدمتها ومقامتها الاولى المعروفة بالرهاوية فنشرناها في المشرق (١٩٠٠ : ٥٩١-٥٩٨) . وقد قابلنا بين نسختي ثيناً وبغداد فرأينا بينهما اختلافاً كبيراً ليس في عدد المقامات فقط بل في إنشائهما . فالقدمة في كليهما تختلف اختلافاً تاماً وكذلك يختلف الراوي والمروي فإن في نسخة بغداد يدعى راوي المقامات يحيى بن سلام وفي نسخة فيينا

اسمه ابو الخير بن الحارث يروي عن ابي الفضل . وقد ارتبنا في نسبة هذه النسخة الى ابن ماري لأنَّ في مقدّمه يذكر نبي الاسلام ويصلي عليه على خلاف عادة النصارى وعلى خلاف ما ورد في نسخة بغداد ودونك قطعة من مقدّمة نسخة ثيناً

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمّدك اللهم على ما بلغتنا من البلاغة ، وسوّغت لنا من الصناعة والصياغة ، وعلى ما ألهمتنا من التبيان البديع ، والبَيان الرفيع ، وعلى ما ذلّلت لنا من جوامع الشوارد ، ودلّيتنا (كذا) عليه من لوائح الفوائد ، وما ارشفتنا به من سوافج الموارد ، واشرفتنا عليه من سفح المقاصد ، ونشكرك على ما علّمتنا من نوايغ الحكم ، ونعمّمتنا به من سوانغ النعم ، ونصلي على أفصح من نطق بالضاد والذال ، ومن هو الى الخير هاد وعلى الحقّ دالّ ، سيّدنا محمّد الذي اخذ الضلال ، بأحد الخصال ، وعلى سائر صحبه والآل ، ما طلع هلال ولم آل - وبعد فإنّ المقامات الحريرية اشهر من أن تُذكر ، واكبر من أن تُكبر ، وقد حازت قصب السبق في مضمر البلاغة البالغة ، وكلّت فيها البصائر والابصار فهي ما بين رائفة وزائفة ، لان الحريري ادّش كلّ ناسج على منواله ، وجبر كل عامر في مسلك مقال ، حيث اخترع واستوعب ، واقترح واستصوب ، وقد كلّفني من لا أطيق رده ، ولا استطيع صده ، ان افقوا اثره ، واتلو خبره ، ليورق لي في روض الفراس عود ، ويشرق لي في افق الكمال سمود ، لعمرى انه تكليف ما لا يطاق ، وتعجز النفس بالامر الشاق ، فتلطّفت عليها باللطافة ، وارتديت فيها بلُفافة ، وقنعت من البحر بالوشل ، ومن التزيرة بالزر الاقل ، وقد تطلّعت قبلي الموصلي والقواس ، وكلّ رمى ولم يصب واخطأ القياس ، ولسان الحال ينادي ، للرائح والغادي

كم عاشق قد مات حول خيامنا اسفاً ولم يظفر بكشف البرقع . . .

وكفى بهذا دليلاً على طريقة الكاتب ولا نبت الحكم في صحّة نسبة هذه المقامات لابن ماري . ويزيدنا ارتياباً فيها ان مدار كثير منها على مسائل اسلامية كالفقه والحديث واسانيد قرآنية . هذا ما ظهر لنا من مطالعة هذه المقامات في نسخة مكتبة ثيناً . ولم نجد فيها من البلاغة ما يُنسب الى مقامات ابن ماري ففيها يصحّ

قول الصفدي : لا اجاد ولا قارب الاجادة

أما نسخة بغداد فلعلمها هي الصحيحة وقد جاء في مقدمتها اسم ابن ماري صريحاً على خلاف نسخة فينا التي قدم الاسم على الكتاب كأنه من غير قلم مؤلفها. فضلاً عن ان المقامات فيها سبع وعشرون بدلاً من ستين كما يروي الكتبة وكما تُرى في نسخة بغداد . ويا ليت احداً من ادباء الحداث يتولى نشرها بالطبع فيستحق شكر محبي الآثار النصرانية

أما شعر يحيى بن ماري فقد روى منه العباد الاصفهانى وابن العبري هذين البيتين (من البسيط) :

نَفَرَتْ هَنْدٌ مِنْ طَلَائِعِ شَيْبِي وَاعْتَرَتْهَا سَامَةٌ مِنْ وُجُومِي
هَكَذَا عَادَةُ الشَّيَاطِينِ يَنْفَرُ نَ إِذَا مَا بَدَتْ نَجُومُ الرُّجُومِ

وروى له العباد قوله في مديح (من الكامل) :

وَإِذَا نَطَقْتُ فَأَنْتَ لَفْظُ مَقَالَتِي وَإِذَا سَكَتُ فَأَنْتَ سِرُّ خَاطِرِي

وبما بروى له في صداقة الادباء الصالحين (من الكامل) :

عُدْنَا وَعَادَ الْأَنْسُ وَالْأَفْرَاحُ وَاضَاءَ فِي مَشْكَاتِنَا الْمَصْبَاحُ
وَجَرَتْ مَنَادِمَةٌ يَفُوحُ أَرْيَحُهَا كَالرُّوضِ نَمٌّ بِعَرَفِهِ الْأَرْيَاحُ
وَعَلَى الْعَفَافِ قَدِ انْطَوَتْ أَحْوَالُنَا حَبًّا بِتَقْوَى اللَّهِ وَهِيَ رَبَاحُ
لَا عَيْبَ فِينَا غَيْرَ حُسْنِ فَعَالِنَا جَهْرًا وَهَلْ يَهْوَى الْفَسَادَ صَلَاحُ
تَأْبَى الْمَحَبَّةُ بِالْفَسَادِ وَمَا لَهَا عَمَّنْ تَجَلَّى بِالصَّلَاحِ بَرَّاحُ
كَمْ عَاشَقٍ قَدْ ذُلَّ بَعْدَ فُسَادِهِ وَالْعَزُّ فِي أَهْلِ الثَّقَى وَضَّاحُ

ومن ظريف ألقاه ما قاله في الجرم والروح (من الطويل) :

إِلْفَانٍ لَمْ يُدْرِكْ حَقِيقَةً وَاحِدَةً سِوَى اللَّهِ وَالثَّانِي لَدَى الْحِسِّ ظَاهِرٌ
يُفَارِقُ ذَا هَذَا وَيَبْقَى وَذَا غَلِيظٌ تَرَاهُ فِي الْوُجُودِ النَّوَظِرُ
وَذَاكَ قَدِيمٌ فِي الْحُدُوثِ وَذَا لَهُ حَدُوثٌ قَرِيبٌ وَالْمَعَانِدُ كَافِرُ

ومثله لغزه في القبر والنعش (من الطويل):

رَفِيقَانِ مَنْقُولٌ وَآخَرُ ثَابِتٌ وَكُلٌّ لِكُلِّ لَازِمٌ وَاجِبُ الْقَهْرِ
يُحْمَلُ هَذَا سَاعَةً وَرَفِيقُهُ يُضَمَّنُ مَا يَبْقَى إِلَى زَمَنِ الْحَشْرِ
يَحْفُ بِهَذَا النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ إِلَى ذَاكَ حَتَّى يَغْنَمُوا غَايَةَ الْأَجْرِ
وَيَسْتَوْدِعُوا مَا أَثْلَوْا مِنْهُ ظَهَرَهُمْ لِآخِرٍ حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ بِالْآخِرِ

وكذلك ألغز في الليل والنهار (من الطويل):

وَصِدِّيقَيْنِ هَذَا مِثْلُ هَذَا تَعَاقَبَا وَكَمْ بِهِمَا عَدُّ الْأَنَامِ حَقَائِبَا
فَهَذَا بَصِيرٌ لَا يَضِلُّ عَنِ الْهُدَى وَهَذَا عَمِيٌّ لَيْسَ يُبْصِرُ ذَاهِبَا
تَحَرَّكْنَا فِي ذَا وَفِي ذَا سَكُونُنَا وَطَوْرًا نَرَى سَعْيًا وَطَوْرًا تَجَانِبَا
وَفِي ذَيْنِ آيَاتٍ لَاهِلِ الثُّهَى عَلَى جَلَالَةِ رَبِّ الْعَرْشِ تُبْدِي الْعَجَائِبَا

٣٥ بنو ممتي النصارى الاقباط

﴿اصلهم ودينهم وزمنهم﴾ بنو ممتي اسرة شريفة قبطية اصلها من اسبوط في صعيد مصر كانت تدين فيها بالنصرانية وهي تنتمي الى ابي مليح الملقب بممتي . قال ابن خلكان (ص ١٠١): «كان ابو مليح نصرانياً وانما قيل له ممتي لانه وقع في مصر غلاماً عظيم وكان كثير الصدقة والإطعام وخصوصاً لفسار المسلمين

فكانوا اذا رآه نادى كل واحد منهم «مَآتي» فاشتهر به»

قال ياقوت في معجم الادباء (٢: ٢٤٤) يذكر انتقال بني مَآتي الى مصر قال :
«قدموا مصر وخدموا وتقدموا وولوا الولايات . وهو (اي ابو مليح) مع ذلك من
اهل بيت في الكتابة عريق. وهو كالمستولي على الديار المصرية ليس على يده يد .
وكان الى مَآتي كثير من اعماله»

وكان في تلك الايام وزيراً على مصر بدر الجبالي أمير الجيوش في ايام الخليفة
المستنصر بالله وكان ابو مليح احد عماله يكتب في ديوان مصر ويتولّى استيفاء
الديون

وبما اخبره ياقوت في معجم الادباء (٢: ٢٤٤-٢٤٦) عن الوزير جمال الدين
الشيبياني ا حروفه :

«بلغني ان بعض تجار الهند قدم الى مصر ومعه سسكة مصنوعة من عنبر قد تُنَوَّقَ (في
الاصل تُنَوَّقُ بالناط) فيها وأجيد وطيبت ورُصِّصَتْ بالجواهر فمريضها على بدر الجبالي ليبيها
منه فسأبها من صاحبها فقال : لا أنقصها من ألف دينار شيئاً . فأعيدت اليه . فخرج بها من دار بدر
فقال له ابو مليح : أرني هذه السسكة . فأراه اياها فقال له : كم سئمت فيها ؟ فقال : لا أنقصها
من الف دينار درهماً واحداً . فاخذ بيده وقبض ألف دينار من ماله وتركها عنده مدة . فاتفق
ان شرب ابو مليح يوماً وسكر وقال لندائه : قد اشتريت سسكة هائمة المقل والدار حتى
تقلبي بحضرتنا . فجاؤوه بمقل حديد وفحم وتركوه على النار وجاء بثلث السسكة العنبر فتركها
في المقل . فجمعت تنقاي وتنفوح روائحها حتى لم يبق بمصر دار إلا ودخلتها تلك الرائحة . وكان
بدر الجبالي جالساً فشم تلك الرائحة وترايدت . فاستدعى الخزان وامرهم بفتح خزائنه وتفتيشها
خوفاً من حريق قد يكون وقع فيها . فوجدوا خزائنه سالمة فقال : ويحكم انظروا ما
هذا . ففتشوا حتى وقعوا على حقيقة الخبر فاستعظم وقال : هذا النصراني القاعل
الصانع قد اكل اموالي واستبد بالدينار دوني حتى امكنه ان يفعل هذا . وتركه
الى الغداة فلما دخل اليه وهو مغضب قال له : « ويحك استعظم انا وانا ملك مصر شرني
سسكة من العنبر فأتركها استكناراً لئمنها فتشترجها انت . ثم لا يفنك حتى تقلبها وتذهب
في ساعة واحد بألف دينار مصرية ؟ ما فعلت هذا إلا وقد قلت بيت اموالي اليك وفعلت .
فقال له : « والله ما فعلت هذا الا غيرة عليك ومحبة لك فأنك اليوم سلطان نصف الدنيا
وهذه سسكة لا يشتريها إلا ملك فحفت أن يذهب بها الى بعض الملوك ويخبره بأنك استعظمها
ولم تشتريها فأردت ان اعكس الامر وأعلمه أنك ما تركتها إلا احتقاراً لها وانها لم يكن
لها عندك مقدار وان كاتباً نصرانياً من كتابك اشتراها وأحرقها فيشيع بذلك ذكرك ويعظم عند
الملوك قدرك » . فاستحسن بدر ذلك منه وامر له بضمي ثمنها وزاد في رزقه»

واردف ياقوت: وكان مماتي مع ذلك كريماً ممدحاً قد مدحه الشعراء . فذكر ابو الصلت في كتاب الرسالة المصرية له ان ابا طاهر اسماعيل بن محمد النشاع المعروف بابن مكنسة (١) كان منقطعاً اليه فلما مات مماتي رثاه ابن مكنسة بقصيدة منها:

ماذا أرجى من حيا في بعد موت ابي المليح (٢)
طويت سماء المكرما وتكورت شمس المديح
ما كان بالنكس الدني م من الرجال ولا الشحيح

ولما ولي الافضل ابن امير الجيوش بدر الجمالي بعد ابيه دخل اليه ابن مكنسة مادحاً فقال له: ذهب رجاؤك بموت ابي المليح فما الذي جاء بك اليينا؟ وحرمة ولم يقبل مديحه

وقرأنا في كتاب البدر السافر في انس المسافر (ص ١١٤) لكمال الدين ابي الفضل جعفر الادفوي المتوفى سنة ٧٤٢ هـ (١٣٤١م) ان ابا مليح مماتي كان اسمه ميئا وانه ابن ابي زكريا بن ابي قدامة . قال (ص ١٩٨):

« وكان جوهرياً بمصر وكان يصبغ البثور صبغة الياقوت فلا يميز بينهما إلا الخبير بالجواهر . قال الوزير انغظي: حكى لي رجل يعرف بالرتيد الصانع انه اذا كان نودي على القص من صنفته تشوقت نحوه العيون اكثر من تشوقها الى غيره من الجواهر لجودته وحسن منظره »

ولده المهذب مماتي ﴿ قال ياقوت في معجم الادباء (٢: ٢٤٩) : « أما المهذب ولده (اي ولد ابي مليح) وكان يلقب بالخطير فانه كان كاتب ديوان الجيش بمصر في اواخر أيام المصريين (يريد الفاطميين) وأول يوم بني أيوب مدة فقصده الكتاب وجعلوا له حديثاً عند صلاح الدين يوسف بن أيوب او (وزيره) اسد الدين شيركوه وهو يومئذ المستولي على الديار المصرية فخاف المهذب فجمع اولاده ودخل على السلطان واسلموا على يده فقبلهم واحسن اليهم وزاد في ولاياتهم »

ثم نقل هناك ما اخبره ابو المكارم اسعد ابن المهذب عن ابيه الخطير قال انه كان مرتباً على ديوان الاقطاعات وهو على دين النصرانية فلما علم اسد الدين شيركوه في بده امره بمصر انه نصراني وانه يتصرف [في عمله] بلا غيار نهاه امره بغير النصارى ورفع الذوابة وشد الزنار وصرفه عن الديوان فبادر هو واولاده

(١) وفي المخطوط للمقريزي (٣: ١٦٠) بدعوه: ابن المكينة وهو تصحيف

(٢) ويروى: « من ذا أؤمل » ويروى: تناثرت شهب الملا من بعد . . .

فأسلموا على يده فآقره على ديوانه مدة ثم صرفه عنه فقال فيه ابن الذروري:
 لم يسلم الشيخ المصطفى رغبة في دين أحمد
 بل ظن أن محاله يبقى له الديوان سرمد
 والآن قد صرفوه عنه فدينه فالعود أحمد

فترى من هذا ما كان يقاسيه النصاري من العنت فيسلمون لا حباً بالاسلام
 واقتناعاً بصحته بل خوفاً من ضرر يلحق بهم او منصب يفقدونه. فلا يصح أن ننظم
 مثل هؤلاء. في سلك المسلمين. وقد اخبر ياقوت الرومي عن سبب وفاة المهذب (ص
 ٢٤٨) قال :

ومن عجيب ما جرى للخطير انه كان يوماً جالساً في ديوانه في حجرة موسومة بديوان
 الجيش من قصر السلطان بمصر. وكانت حجرة حسنة مرتجة منقطة فجاءه قوم وقالوا له :
 قم من هاهنا . فقال لهم : ما الخبر ؟ فقالوا : قد تقدم الملك العادل ابو بكر بن أيوب بأخذ
 رخام هذه الحجرة وان نعتري به موضعاً آخر. فخرج منكسراً كاسفاً ف قيل له في ذلك فقال :
 « قد استجيت فينا دعوة وما اظنني اجلس في ديوان بعدها . أما سمعتم اذا بالفوا في الدعاء
 علينا قالوا : خرب الله ديوانه . وما بعد الخراب إلا اليباب . ثم دخل منزله وحُم فلم يخرج منه
 إلا ميتاً »

وكانت وفاة الخطير يوم الاربعاء ٦ رمضان سنة ٥٧٢ (١١٨٢م) وذكر الأدباء
 للمهذب شعراً فن ذلك . ا قاله لاسد الدين شيركوه لآ امره بالتغيير (من السريع) :
 يا أسد الدين ومن عدله يحفظ فينا سنة المصطفى
 كفى غياراً شداً أو ساطناً فما الذي اوجب (١) كشف القفا
 ومن شعره ما رواه عنه سعيد بن ابي الكرم بن هبة المصري يتغزل بالي سعيد
 ابن ابي اليمن النخال وزير العادل وكان نصرانياً وأسلم وكان الملمح الناس وجهاً فقال
 المهذب (من السريع) :

وشادن لما بدا مقبلاً (٢) سبحت رب العرش باربيه
 ومذ رأيت النخل في خده (٣) أيقنت ان الشهد في فيه
 وكان ابن النخال يسكن في أول درب نور الدين في مصر وكان في آخره صبي آخر

(١) ويروى : يوجب

(٢) وفي ياقوت (ص ٢٤٨) : وشادن (بالذال وهو غلط) لآ آتى

(٣) ويروى : النمل في خده

نصراني مثله حسناً يُعرَفُ بابن زنبور فقال المهدَّب (من الطويل) :

حوى دربُ نور الدين كلَّ شَمَرٍ دَلِيٍّ مشدَّدَةٍ اوساطهم بالزنانيرِ
فاوَّلُهُ للشَّهَدِ والنَّحْلِ منزلٌ وآخِرُهُ يا سادتي للزنانيرِ

ومن ظريف قوله ممَّا رواه الادفوي (من الطويل) :

ولمَّا بَكَتْ عيني دماءً لِفَقْدِكُمْ تَيَقَّنْتُ أنَّ القلبَ فيه كلُّومُ
وروى له العمد الاصبهاني في الحريدة قوله في كتمان السرِّ (من البسيط) :

واكتمُ السرَّ حتَّى عن إعادته الى المُسرِّ به من غيرِ نسيانِ
وذاك أنَّ لساني ليس يُعْلِمُهُ سَمْعِي بسرِّ الذي قد كان ناجاني

وروى ايضاً (Ms. Berlin 7412, ff. 180) يصف الخمر (من البسيط) :

اذا انبرت من فمِ الابريقِ تحسبُها شهابَ ليلٍ رُقي في الكاسِ شيطاناً

قال : ومن شعره من قصيدة (من الطويل) :

ابيت رقيبَ النّجمِ منها كأنما عُيونِي لم يُخْلَقْ لهنَّ جفونُ
ومنها :

كأنَّ ظلامَ الليلِ اذ لاحَ بَدَرُهُ دُجوجي شَعْرٍ لاحَ منه جبينُ
كأنَّ الثَّريَّا رقبُ الليلِ غيرةً فقد هجرت منها المنامَ عيونُ
كأنَّ سُهَيْلاً في مطالعِ أَفْقِهِ فَوادٍ مَرُوعٌ خامرته ظنونُ
كأنَّ السُّها تبدو أواناً وتنجلي لدى الليلِ سرٌّ في حشاه مَصُونُ

﴿ابنُ الاسعد مئاتي﴾ هو شرف الدين ابو المكارم اسعد بن المهذب مئاتي المصري الكاتب الشاعر . قال ياقوت في معجم الادباء (٢: ٢٤٩) والمقريري في الخطط (٢: ٢٦٠): «خلف اباهُ على ديوان الجيش وتصدَّر فيه مدَّةً طويلة ثم أُضيف اليه ديوان المال وهو اجلُ ديوان من دواوين مصر واستمرَّ في ذلك مدَّةَ ايام السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب وَايام ابنه الملك العزيز عثمان وولي نظر الدواوين واختص بالفاضل عبد الرحمان بن علي اليساني فنفق عليه وحظي عنده وكرم لديه فقام بامرِه واشاع من ذكرِه ونَبِه على فضلِه وصنَّف له عدَّة تصانيف باسمِه وكان يستميه بلبل المجلس»

قال المقريري في الخطط : « ولم يزل بمصر حتى ملك السلطان الملك العادل ابو بكر بن ايوب وورَّث له صفيُّ الدين علي بن عبد الله بن شكر فخافه الاسعد لما كان يصدر منه في حقِّه من الاهانة وشرع الوزير ابن شكر في العمل عليه ورَّتب له مؤامرات ونكبة واحال عليه الاجناد فقرَّ من القاهرة وسقط في حلب »

قال ياقوت في معجم الادباء . حدَّث صاحب جمال الدين الاكرم قال : لما ورد الاسعد الى حلب نزل في داري فاقام عندي مدَّةً وذلك في سنة ٦٠٤ (١٢٠٧م) . وعرف الملك الظاهر غازي ابن صلاح الدين خبره فأكرمه وأجرى عليه في كل يوم ديناراً صورياً وثلاثة دنانير أخرى أجرة دار ٠٠٠ واقام عنده على قدم العطالة الى سنة ٦٠٦ وفيها مات سابع جمادى الاولى سنة ٦٠٦ (١٢٠٩م) عن ٦٢ سنة فدُفن بظاهر حلب بمقام بقرب قبر ابي بكر الهروي »

واشتهر الاسعد بادبه ومصنَّفاته . قال العماد الاصبهاني : « كان فاضلاً اديباً شاعراً ناثراً . . . وتأنَّب وصنَّف مصنَّفات في فنون عدَّة منها كتاب سر الشعر صنَّفه للملك العزيز . وكتاب علم النثر . ونظَّم سيرة السلطان صلاح الدين يوسف ونظَّم كتاب كليلة ودمنة . ومن تأليفه الممتعة كتاب صحَّة الحق على الخلق في التحذير من سوء عاقبة الظلم ودو من اهم ما طالعهُ الملوك كان السلطان صلاح الدين يُكثر النظر فيه . وصنَّف ايضاً للملك العزيز كتاب قوانين الدواوين فيما يتعلَّق بدواوين مصر ورسومها واصولها واحوالها في اربعة اجزاء ضخمة ذكر فيه اربعة آلاف ضيعة من

اعمال مصر ومساحة كل ضيعة وقانون ربيها ومتحصِّلها من عين وغلة . وكتب اخرى

كثيرة عددها يا قوت في معجم الادباء (٢: ٢٥١)
ولاسعد نماتي ديوان شعر تعددت محاسنه فروى منه الادباء عدة مقاطيع . فن
ذلك ما رواه عنه السيوطي في اخبار مصر والقاهرة (٢: ٢٠٧ و ٢٠٨) يصف جزيرة
مصر (من الطويل):

جزيرة مصر لا عدتكَ مسرة ولا زالت اللذاتُ فيكَ اتصاها
فكم فيكَ من شمسٍ على غصنٍ بانه يُبيتُ ويُحيي فجرها ووصاها
مغانيك فوق النيل اصبحت هودجا ومختلفات الموج فيها جماها (١)
ومن أعجب الاشياء انك جنة تُدفُّ على اهل الضلال ظلالها (٢)
وقال في الروضة وقد حلها السلطان الكامل محمد (من الطويل):

جزيرة مصر انت اشرف موضع على الارض لما حل فيكَ محمد
وفيك علا البحران لكن كف ذا على الناس ائدى بالغطاء وأجود
واصبحت الاغصان من فرح به تمايل والأطيّار فيكَ تغرد
فرق نسيم حين سار وجدول ويشدو هزار حين يرقص أملد
وانشد في وصف الخليج (من الوافر):

خليج كالحسام له صقال ولكن فيه للراني مسرة
رأيت به الملاح تعوم فيه (٣) كأنهم نجوم في المجرة
وبما قاله في تحامل الوزير صفى الدين عليه وهربه الى حلب (من الطويل):

(١) روى المقرئ في نفع الطب (١: ٢١): فيك حبالها
(٢) وفي المقرئ: عدت. اراد انها يستظل تحت اغصانها غير المسلمين ففتحهم باهل الضلال
(٣) كذا في الاصل، وفي نسخة اخرى: تجيد عوما

تَنَكَّرَ لِي وَدُّ الصَّفِيِّ وَلَمْ أَكُنْ بِهِ رَافِعاً رَأْساً لَوْ اعْتَدَلَ الزَّمَنُ
وَلَكِنْ عِلَا عِنْدَ انْخِفَاضِ وَسَاءِنِي وَحَسْبُكَ مِنْ شَخْصٍ تَرَكْتُ لَهُ الْوَطَنُ
وَقَالَ اَيْضاً (مِنْ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ) :

لَا تَقْبَلْنَ مِنْ الْوُشَاةِ وَتُقْبِلْنَ عَلَى الْعَوَاضِلِ
فَالْعَيْنُ قَدْ جُنَّتْ بِبُعْدِكَ وَالِدَمْعُ لَهَا هَوَاطِلُ
وَدَخَلَ يَوْمًا عَلَى صِلَاحِ الدِّينِ فَوَجَدَهُ يَلْعَبُ بِالْشَطْرَنْجِ فَقَالَ (مِنْ السَّرِيعِ) :
اِنْ يَكُنِ الشَّطْرَنْجُ مَشْغَلَةً لِعَلِيٍّ الْقَدْرِ وَالْهَمِّ
فَهِيَ فِي نَادِيكَ تَذَكُّرَةٌ لَامُورِ الْحَرْبِ وَالْكَرَمِ
وَقَالَ فِي غِلَامِ نَحْوِي (مِنْ السَّرِيعِ) :

وَأَهْيَفُ أَحَدَثَ لِي نَحْوُهُ تَعْجَبًا يُعْرَبُ عَنْ طَرْفِهِ
عِلَامَةُ التَّانِيثِ فِي لَفْظِهِ وَأَحْرَفُ الْعِلَّةِ فِي طَرْفِهِ
وَرَوَى لَهُ الصَّفْدِيُّ فِي شَرْحِ لَامِيَّةِ الْعَجَمِ (مِنْ السَّرِيعِ) :

أَيَسْكُنُ النَّاسُ وَقَدْ حَاطَهُمْ سَبْعَةُ أَفْلَاقٍ عَلَيْهِمْ تَدْوُرُ
وَالدَّارُ فِي الْآخِرَى دَهَالِيزُهَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لُحُودُ الْقُبُورِ
وَقَالَ فِي وَصْفِ الْحَسُودِ (مِنْ الْخَفِيفِ) :

لَا تُصِخْ لِلْحَسُودِ فِي ذَمِّهِ مِ النِّعْمَةِ مَعَ كَوْنِهِ الْعَجُولَ إِلَيْهَا
فَهُوَ مِثْلُ السَّحَابِ إِذَا حَجَبَ الشَّمْسَ عَنْ الْعَيْنِ ثُمَّ يَبْكِي عَلَيْهَا
وَمِمَّا مَدَحَ بِهِ الظَّاهِرَ الْغَازِي فِي حِلَابِ قَوْلِهِ (مِنْ الْوَافِرِ) :

أَسْكَرَانُ نَدِيمُ الْعَدُوِّ غَازٍ وَأَسْمَاءُ الْمُلُوكِ لَهَا حُلَاهَا
كَأَنَّ السُّمَرَ رَيْشَهَا طَوَالَ فِكَمِ نَفْسٍ بِهِنَّ قَدْ اسْتَقَاهَا
إِذَا اكْتَحَلَتْ عَيْنُونَ مِنْ عُدَاةٍ يَغْيِرُ حَيَاتَهُ وَجَدَتْ عَمَاهَا

وَأَطْمَعَ نَفْسَ أَسْمَرِهِ وَاضْحَى يَفْتَشُ مِنْ نَفُوسٍ مَا خَبَاهَا
كَأَنَّكَ خَلَّتْهَا سَتَرَتْ كَمِيناً فَتَطْعُنُهَا لِتُبْصِرَ مَا وَرَاهَا
سَلَّ الْبَيْتَ الْمُقَدَّسَ عَنْهُ يُخْبِرُ بِسُورَةٍ فَتَحِيهِ لَمَّا تَلَاهَا
وروى له ابن خلكان في المعاني (من الوافر) :

تُعَاتِبَنِي وَتَنْهَى عَنْ أُمُورٍ سَيْلُ الْمَاسِ إِنْ يَنْهَوَكَ عَنْهَا
أَتَقْدِرُ أَنْ تَكُونَ كَمَثَلِ عَيْنِي وَحَقِّكَ مَا عَلَيَّ أَضُرُّ مِنْهَا
وقال منوهاً بنهرى دمشق ثوراً وبردَى (مجزوء الوافر) :

حَكَمَى نَهْرَيْنِ مَا فِي الْآرِ ضٍ مَنْ يَحْكُمُهُمَا أَبَدَا
حَكَمَى فِي خَلْقِهِ ثَوْرَا وَفِي اخْلَاقِهِ بَرَدَى

أخذه من قول بعضهم فيهما وفي نهر يزيد :
ضاهى ابنُ بَشْرَانَ مَدِينَةَ جَلْقٍ كَلَامَهَا يَوْمَ الْفَخَارِ فَرِيدُ
أَلْفَاظُهُ بَرَدَى وَصُورَةُ خَلْقِهِ ثَوْرَا وَنَقْصُ الْعَقْلِ هُوَ يَزِيدُ

وقال في الغزل (من الرجز) :

سَمَرَاءُ قَدْ أَزْرَتْ بِكُلِّ أَسْمَرٍ بَلَمَوْهَا وَلِينَهَا وَقَدَّهَا
أَنْفَاسُهَا دَخَانُ نَدَى خَالِهَا وَرَيْقُهَا مِنْ مَاءٍ وَرَدٍ خَدَّهَا
لَوْ كَتَبَ الْبَدْرُ إِلَى خِدْمَتِهَا رِسَالَةً تَرْجِمُهَا بَعْدَهَا
وقال يصف كرمًا (من الطويل) :

لِنِيرَانِهِ فِي اللَّيْلِ أَيُّ تَحْرِقٍ عَلَى الضَّيْفِ إِنْ أَبْطَا وَايُّ تَلَهَّبٍ
وَمَا ضَرُّ مَنْ يَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ إِذَا هُوَ لَمْ يَنْزِلْ بِأَلِ الْمَلَبِّ

٣٦ الاسعد ابن عسال

﴿ أصله ودينه وشعره ﴾ بنو العسال ثلاثة أخوة المؤمن والصفي والاسعد

اشتهروا كلهم بالآداب والتصنيف في القرن الثالث عشر للميلاد وقد اثبتنا ما وقفنا عليه من مصنفاتهم في كتابنا المخطوطات العربية لكتبة النصرانية (ص ١١-١٣). وكان اصلهم من مدينة سدمنت في الفيوم من اسرة القس بطرس السدمنتي الذي ذكرنا له بعض التأليف في الكتاب المذكور (ص ٦٢) انتقلوا الى مصر ودخلوا في دواوين الدولة المصرية على عهد المماليك. ولم نعلم لاحد منهم على آثار شعرية إلا للمدعو الاسعد ابا الفرج هبة الله. ورد له في احد مخطوطات مكتبة الاقباط في مصرارجوزة صنفتها في تعريف قوانين الميراث عند النصارى. ذكرها الاديب جرجس فيلوثاؤس عوضاً لمحقة بكتاب المجموع الصفوي تأليف اخيه الشيخ الصفي ابي الفضائل بن العسال. وها نحن نورد منها قسماً صالحاً تثبت ما كان له من القدرة بالنظم. قال:

مقدمة

الشكرُ للهِ الوحيدِ الذاتِ سبجانهُ مثلت الصفاتِ
أحمدُهُ كمثلما هو أهلهُ اذ فاضَ بحرُ جودهِ وفضلهُ
أزِيدُ في التمجيدِ والتسبيحِ لابنِ الالهِ السيدِ المسيحِ
أنقذنا من ظلمةِ الجهالةِ ومن جحيمِ الكفرِ والضلالةِ
يا أيُّها الطالبُ علمِ الشرعِ في الارثِ خذْ مختصراً من فرعِ
إسمعْ هُديتْ أفضلَ السبيلِ جملتهُ نظماً بلا تفصيلِ
إبدأ بما يصلحُ للأكفانِ والقبرِ والحُمالِ والقربانِ
أوفِ الديونَ قبلَ أن تُقسِمَا فالشرعُ قد صيرهُ مُقدِّماً

عدد مراتب الوراثة

وإن تُردِ معرفةَ المراتبِ لكي تُعدَّ من ذوي المناصبِ

فأثما عشرون واثنتان بعيدها محتجب بالبداني
لا رتبة مع قبلها بوارثه رابعة ليس لها مع ثالثة
أو لها البنون والبنات لافرق بل هن مساويات
والأم مثل أحد الأولاد والاب مثل في القياس الهادي
ان مات ميت وله فرد ولد لزوجہ الرُّبع فَعَنهُ لا يُحَدِّ
والنصف والرَّبع لابن الميت أعط له هذا بلا تشئت
وكل ما زادوا عن الثلاثه تكون مثلهن في الوراثه
مثاله كان البنون اربعه فالخمس حصتها بلا مدافعه

ثم يعمد الناظم بقية المراتب الى ان يقول :

والزوج ان مات بلا اولاد للزوجة النصف بلا عناق
والزوج والزوجة في الحكم سوى والنصف للاهل فدع عنك الهوى
ومنها :

والأم ان كانت مع الأعمام تحوز ثلثيه بلا كلام
اولاد عم ميت من حكمهم ثلث لهم مع زوجة اعيهم
وجدق من والد وجدته ثلث لهم من إرثه مع اخوته
هذا اذا لم تكن الوصيّه أحكامها شرعيّة مرضيّة
لأنها ان لم تكن شرعيّة كان كمن مات بلا وصيّة

لا يُنْعَ المرء من التصرف في النصف والرُّبْع بلا توقُّفٍ
فان يَزِدْ عنه فلا تَدْعُهُ واعمل بما قلنا ولا تُضِعْهُ
والملكُ ان يوقِفَ لغير مؤمن فبطل الوقف ولا تُسَكِّنْ
وأُسْقِفْ ومثله في التَّكْرِمْهُ يكتب ما يملك قبل التَّقْدِمَةِ
حتى اذا تَنَيَّحُوا فأهلهم غير الذي جاءوا به ليس لهم
وما يَزِدْ فانه للبيعه بكل هذا تحتم الشريعة
ومن يَسِتْ في الدير من رهبان فلن يجوز ارثه علماني
لكنه للدير والاخوان كما يراه اعظم الرهبان

وهذه خاتمتها :

نظمها للحفظ حتى يسهل فاستغفر الرحمان لي ثم اسألا
فان تجد عيباً فسُدْ - الخللاً فجَلَّ من لا عيب فيه وعلا

ولم نقف على سنة وفاة ناظم هذه الارجوزة كما تجهل سنة وفات اخويه المؤتمن
والصفي . وما لا شك فيه ان الاخوة الثلاثة اشتهروا منذ اوائل القرن الثالث عشر
وبلغوا اواسط ذلك الجيل . وقد جاء لاحدهم الشيخ الصفي في آخر بعض تأليفه انه
كتبه سنة ٩٥٥ للشهداء وهي توافق السنة ١٢٣٨ للمسيح

٣٧ ابن ابي الثناء ابن كاتب قيصر

﴿نسبه دينه وادبه﴾ ذكره معاصره ابو اسحاق المؤتمن ابن عسال في مقدمة

كتابه عن النحر القبطي المسمى «السلم الموقى» (١) قال: «هو الرئيس الاوحد العالم الفاضل عالم الرئاسة ابو اسحاق ابراهيم ولد الشيخ الرئيس النيس ابي الثناء ابن الشيخ صفى الدولة كاتب الامير علم الدين قيصر ابقاه الله ورحم آباءه» وكان ابن ابي الثناء قبطياً من نصارى الفيوم من اشراف قومه وكان كاتباً بليغاً وشاعراً مجيداً. أما لقبه بابن كاتب قيصر فلأن أباه الشيخ ابا الثناء اتصل باحد كبار العلماء في زمانه وهو علم الدين ابو المعالي قيصر بن ابي القاسم بن عبد الغنى الاسفوني المولود في أسفون من صعيد مصر سنة ٥٦٤ وقيل سنة ٥٧٤هـ (١١٦٩-١١٧٨م) والمتوفى في دمشق سنة ٦٤٩هـ (١٢٥١م). وقد ذكره ابو الفداء في تاريخه (٣: ١٩٥) وقال «انه هو المعروف بتعاسيف وكان اماماً في العلوم الرياضية اشتغل بالديار المصرية والشام ثم سار الى الموصل وقرأ على الشيخ كمال الدين موسى بن يونس علم الموسيقى ثم عاد الى الشام وتوفي بدمشق (٢)». فقد خدم ابو الثناء هذا العالم فعرف ابنه بابن كاتب قيصر فالذكر اشهر بالادب واشتغل بلغته القبطية فصنف فيها مقدمة دعاها التبصرة وتعمق فيها آثار الانبا يوحنا اسقف سمندود في كتابه السلم الكنائسي (MFO, I, 125-126). وله ذكر في كتب آداب العرب ورووا له شعراً نقله هنا عنهم. فن ذلك ما رواه صلاح الدين خليل بن ابيك الصفي في كتاب الكشف والتنبية على الوصف والتشبيه (Ms de Paris, 3345, p. 120²) قال: وما جاء في وصف الياسمين قول ابن ابي الثناء المعروف بكاتب قيصر (من البسيط):

يا حبذا ياسمينُ الروضِ حين غدا يُهدي من الريح طيباً غير مكتَم
كأنَّ زهرته في كف لاقطها والروضُ منتثرٌ في إثر مُتَظَم
فراشةٌ هجرت حتى اذا واصلت تلامت مع من تهوى فما لقم

وروى له ابن منظور صاحب لسان العرب في كتابه نثار الازهار في الليل والنهار

(١) اطلب مجموعة آثار المكتب الشرقي (MFO, I, 123)

(٢) له كُرة فريدة على هيئة الاوض وصفها ابو الفداء في تاريخه (راجع مجلة الزهراء

(ص ١١٠) قوله وأثماً دعاه «تاج الملك بن كاتب قيصر (من الخفيف):

وَكأنَّ الْهَلالَ قوسُ لُجَيْنٍ والثُّرَيَّا في الغربِ كالقِرطاسِ
وَكأنَّ النجومَ افواقُ نَبَلٍ عابراتُ حادَتٍ عن البرجاسِ

٣٨ أخوهُ علمُ الملك ابن أبي الشناء

كان على مثال أخيه إبراهيم أديباً ذكره خليل بن أيبك الصفدي بيتين في الياسمين
جاري فيها قول أخيه (من المتقارب):

أرى ياسميناً مُحشًى غداً الى الندى في نثره يَنْثمي
كمثل قِصاصَةٍ نِصفِيَّةٍ تَلَوْتُ اطرافُها بالدمِ

اطلب ايضاً وصفه لبركة (ص ٦٦٦)

٣٩ ابو الربيع سليمان المارديني

﴿نسبه وزمنه ودينه وأدبه﴾ هو ابو الربيع سليمان بن اسماعيل (ويروى اسماعيل
ابن سليمان) ابن ابي الميث النصراني المارديني كان من اديباء القرن الثالث عشر معاصراً
لابن منظور وعاش في مصر. وكان شاعراً ورد له مقاطيع متفرقة في تأليف الادباء.
من ذلك ما رواه ابن منظور في نثار الازهار (ص ١٠٤) يصف فيه نجوم السماء قال
(من الخفيف):

رُبَّ اَيْلٍ تَحالُ فيه الدَّراري زَهَرَ الرُّوضِ والمَجَرَّةُ نَهْراً
والثُّرَيَّا كأنَّها كَأْسُ خمرٍ أَطْلَعَتْ فوقها الفِواقِعَ دُرّاً

وتخالُ السماء حُلَّةَ خَزٍّ نُثِرَتْ فَوْقَهَا الدِّرَاهِمُ نَثْرًا
وَكُنَّ الصَّبَاحَ جَامٌ لُجَيْنٍ مَلَأَتْهُ أَشْعَةُ الشَّمْسِ خَمْرًا
وروى له في موضع آخر يصف المجرة (من الخفيف):

وترى الزُّهْرَ فِي الْمَجَرَّةِ كَالزُّهْرِ مِ طِفْلاً فَوْقَ جَدُولٍ وَغَدِيرٍ
ومن حكمه قوله في الثقة بالله في الشدائد (من السريع):

لَا تَيَأَسَنَّ لِلضِّيقِ فِي أَمْرٍ وَكُنْ فِي ثَقَةٍ مِنْ سَائِرِ الْعَيْبِ
وَلَا تَقُلْ بَابُ الرَّجَاءِ مُغْلَقٌ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْعَيْبِ

وتما ورد في مطالع البدور لعلاء الدين الغزولي (١: ٢٥) وفي حلبة الكميت (ص ٢٩٤) وفي نفحات الازهار لعبد الغني النابلسي (ص ٣٨٧) قولهم بجرف واحد: «حكى الاديب ابو الربيع سليمان بن اسماعيل بن ابي الليث المسيحي (١) قال: جمعي مجلس أنس مع الاديب اسحاق بن ابي الثناء المسيحي بالقيوم في بستان فيه بركة عليها فؤارة من الماء فتجاذبنا في اهداب وصفها فقال ابو اسحاق (من الخفيف):

بِرِّكَةٍ تَصْعَدُ الْإِنَابِيُّ مِنْهَا يَقْعَدُ الْمَاءُ فَوْقَهَا وَيَقُومُ
فَلِذَا أَطْلَعَتْ فَوَاقِعَ تَبْدُو كَالْقَوَارِيرِ مِنْ زُجَاجٍ تَعُومُ
وَكُنَّ السَّمَاءَ صَفْحَتَهَا الزَّرُّ قَاءَ وَالْيَاسَمِينَ فِيهَا نَجُومُ

(قال ابو الربيع) وقلتُ انا (من المنسرح):

وَبِرِّكَةٍ تَذْهَلُ الْعُقُولُ بِهَا تَحَارُّ فِي حُسْنِ وَصْفِهَا الْفِكْرُ (٢)

(١) وفي حلبة الكميت: «المنبجتي» وهو تصحيف

(٢) ويروى: في بعض وصفها

كَأَنَّهَا مُقْلَةٌ مُحَدِّقَةٌ عَبْرَى مِنَ الْوَجْدِ (١) نَاكَلَهَا السَّهَرُ
تَبْكِي وَمَا فَارَقَتْ لَهَا وَطْناً يَوْمًا وَلَا فَاتَ أَهْلَهَا وَطْرُ
تَحَالُ أَنْبُوبَهَا لِصِحَّتِهِ وَالْمَاءُ يَعْلُو بِهِ وَيَنْحَدِرُ
كَصَوَّلِجَانٍ مِنْ فَضَّةٍ سُبُكَتْ فَوَاقِعُ الْمَاءِ تَحْتَهَا أَكْرُ

ومن ظريف ما اخبر به ابن منظور في نثار الازهار (ص ٣١) ما حرقه قال :
« جرت في قصر النهار نادرة . أنشدني سليمان بن اسماعيل المارديني المسيحي لنفسه فيما
زعم من قصر النهار (من المتقارب) :

ويوم حواشيه مملومة ظَنَّاهُ مِنْ قِصْرِ مُدْجَا
قَصْتُ غَزَالَتَهُ وَأَلْتَفْتُ أُرِيدُ أُخْتَهَا فَاحْتَمْتُ بِالْدُّجَى (٢)

فأثبت البيتين عندي . فاخبرني بعد ذلك ابو الحسن بن سعيد انه وقف في تاريخ
إربل لابن المستوفي لابي عبدالله محمد بن ابي الوفاء القنيصي على ذكر البيتين بحرفهما .
قال ابن المستوفي ثم ورد علينا ابو الحسن علي بن يوسف الصقار فنسبها لنفسه (قال)
ولعلها ليسا له ولا لابن القنيصي . فقيدت هذا على هذه الصورة . ثم جرى بعد ذلك
مذاكرة في هذه الابيات وتحدث فيها الشعراء فقال بعض من حضر : هذه الابيات
عندي في تعليق لفر . فرغبنا اليه في الكشف عنها فاحضر التعليق فاذا فيه . « خرج المنتخب
العالي (٣) (منسوب الى عانة جزيرة بالفرات) مع الملك الزاهر ابن صلاح الدين صاحب
البيرة للصيد فأثاروا ظبية في آخر النهار فاستطردت لهم فلم يدر كهها السلطان إلا
عند غروب الشمس فأمسكها ونظر الى الشمس وهي تقرب فاستظرف هذا الاتفاق
وقال لشاعره : قل في ذلك شيئاً . فقال :

ويوم حواشيه مملومة علينا نحاذر ان تُفَرِّجَا

(١) وفي نفعات الازهار : عين من الوجه بالتصحيح

(٢) اراد بالنزلة الاولى الحيوان وبأختها الشمس التي انزلة من اسمائها

(٣) وفي الاصل : العالي بالفاء وهو تصحيف

قنصت غزالته والتفت الى أختها فاحتمت بالدجى

قال المصنف: فصَحَّ عندي أنَّ هذا هو قائلها على الخصوص وأنَّ الجميع لصُوصُ .
(قال) وقد قرأت كتاب اللصوص للجاحظ فلم اسمع فيه بأنَّ ثلاثة لصُوصُ اجتمعوا
بالاتفاق الظريف على بيت واحد

٤٠ رشيد الدين ابو حليقة

﴿اسمه اصله نسبة دينه﴾ افادنا ابن ابي اصيبعة في كتابه الممتع عيون الانباء
في طبقات الاطباء (٢: ١٢١-١٣٢) معلومات متفرقة عنه وعن اجداده ما نستخلصه
هنا للقرءاء. قال يذكر اسمه ونسبه (ص ١٢٣): «هو الحكيم الاجل العالم رشيد
الدين ابو الوحش بن الفارس ابي الخير بن ابي سليمان داود بن ابي المنى بن ابي فانة
ويعرف بابي حليقة»

وذكر جدّه ابا سليمان داود وكان متطبياً (ص ١٢١) فقال عنه أنّه «كان من
اهل القدس ثم انتقل الى الديار المصريّة» وما رواه ان ملك القدس الفرنجي اموري
(Amaury) وهو يدعوه «ماري» لما وصل الى الديار المصريّة اعجبه طبّه فطلبه من
الحليفة ونقله معه هو واولاده الخمسة الى البيت المقدس. فخدم الملك هناك وعالج
ابن الملك المصاب بالجذام ثم ترهب

ومما اخبره عنه انه ارسل احد ابنائه وبشّر الملك الناصر صلاح الدين يوسف
بفتح القدس فاصابت ذريته لذلك حظوة كبيرة لدى السلطان

واردف ابن ابي اصيبعة ذلك بتراجم ابناء ابي سليمان. وكان اكبرهم الحكيم
(ابو سعيد مهنّد الدين) الذي خدم صلاح الدين ثم الملك العادل وولده المعظم. وتوفي
سنة ٦١٣هـ (١٢١٦). ويدعى الثاني (ابا شاكر) خدم الملك الكامل ابن الملك العادل
وتوفي سنة وفاة اخيه ابي سعيد. واسم الثالث (ابو نصر) كان ايضاً طبيباً وتوفي بالكرك.
والرابع (ابو الفضل) كان طبيباً نطاسياً وهو اصغر اخوته توفي سنة ٦٤٤ وعمره ٨٤
سنة هجرية (١١٦٤-١٢٤٦ م) خدم الملك المعظم بالكرك والملك الكامل بمصر.

الخامس (ابو الخير فارس) تربى مع ابن ملك الفرنج المجذوم وخرج من بين اخوته الاربعة اطباء جنديا

ورشيد الدين ابو حليقة هو ابن ابي الخير فارس . دُعي ابا حليقة لحليقة من فضة في اذنه وُصفت له عند ولادته دفعا للموت الذي اصاب اخوته قبله فعاش هو وعُرف بابي حليقة

﴿دينه واخباره﴾ كان رشيد الدين ابو حليقة نصرانيا كجده ابي سليمان الذي صرح ابن ابي اصيبعة بنصرانيته وكذلك اولاده وحفيده رشيد الدين . وقد اتسع ابن ابي اصيبعة في وصف معارفه الطبية وعلاجاته الغريبة بترياق عجيب وضعه فشفى به كثيرين ممن أيس اطباء من حياتهم وحكموا بوفاتهم القريبة . وذكر خدمته الممتازة لاربعة من الخلفاء الايوبيين في مصر وهم الملوك الكامل ثم العادل ثم الصالح وتوران شاه . وعاش الى زمن المماليك وخدم الملك الظاهر ركن الدين بيبرس (٦٥٨ — ٦٧٦ هـ = ١٢٦٠ — ١٢٧٧ م) ولم يذكر سنة وفاته

﴿ادبه وشعره﴾ قال ابن ابي اصيبعة يصف معارف رشيد الدين واخلاقه ويذكر اجتماعه به (٢: ١٢٣):

« كان اوحدا زمانه في صناعة الطب والعلوم الحكمية . متفتنا في العلوم والآداب حسن المعالجة لطيف المداواة رؤوفا بالمرضى محبا لفعل الخير . واطبا للامور الشرعية متفتنا في العلوم والآداب حسن المعالجة لطيف المداواة رؤوفا بالمرضى محبا لفعل الخير . ولقد اجتمعت به سرات ورايت من حسن المعالجة وعشروته وكمال مروءته ما فوق الوصف »

وقد ذكر له عدة تأليف طبية منها كتاب في الامراض واسبابها وعلاماتها ومدواتها . وكتاب في الادوية المفردة دعاه المختار في الالف اعطار . وكتاب الادوية المركبة التي قد اظهرت التجربة نجحها وكتب مقالة في ان الملاذ الروحانية الذ من الملاذ الجسدية وعلل ذلك بقوله « ان الروحانية كمالات وادراك الكمالات . والجسدية انما هي دفع الالم اخرى وان زادت اوقعت في الالم اخرى » وهو نعم القول . وله ايضا مقالة في ضرورة الموت علله بتحلل بدن الانسان بالحرارة التي في داخله وبجراحة الهواء الذي من خارج . فكان يتمثل بهذا البيت :

واحدهما قاتلي فكيف اذا استجمعا

وكان رشيد الدين شاعراً روى له ابن ابي اصبعة بعض المقاطيع زومها هنا عنه .
فمن ذلك قوله من ابيات يصف فيها منظره سيف الاسلام (من الكامل) :

سَمَحَ الحَبِيبُ بَوَصْلِهِ فِي لَيْلَةٍ غَفَلَ الرَقِيبُ وَنَامَ عَنْ جَنَابَتِهَا
فِي رَوْضَةٍ لَوْلَا الزَوَالُ لَشَابَهَتْ جَنَّاتِ عَدْنٍ فِي جَمِيعِ صِفَاتِهَا
فَالطَّيْرُ يَطْرَبُ فِي الْغُصُونِ بِمَسْوَتِهِ وَالرَّاحُ تُجَلِي فِي الْكُؤُوسِ صِفَاتِهَا
وَجَاسُ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ تَنَزَّهَتْ فِيهِ الْحَوَاسُ بِاسْمِهَا وَكُنَاتِهَا

وقال يذكر ايام اجتماعه بالمحبيب ووداعه له (من الطويل) :

أَحْنُ إِلَى ذِكْرِ التَّوَاوُلِ يَا سَعْدُ حَنِينَ النِّيَاقِ الْعِيسِ عَنْ لَهَا الْوَرْدُ
فَسَعْدِي عَلَى قَلْبِي أَلَدُ مِنَ الْمُنَى وَقُرْبِي لَهَا عِنْدَ اللَّقَاءِ هُوَ الْقَصْدُ
حَوْتِ مَبْسَمًا كَالدَّرِّ أَضْحَى مِنْظَمًا وَتَغْرًا كَمَثَلِ الْأَقْحَوَانِ بِهِ شَهْدُ
وَفَرَعًا كَمَثَلِ اللَّيْلِ أَوْ حَظِّ عَاشِقٍ وَوَجْهًا كَوَجْهِ الصُّبْحِ هَذَا لَذَا ضِدُّ
أَقُولُ لَهَا عِنْدَ الْوَدَاعِ وَبَيْنَنَا حَدِيثُ كَنْشَرِ الْمِسْكِ خَالِطُهُ نَدُّ
تُرَى نَلْتَقِي بَعْدَ الْفِرَاقِ بِمَنْزِلٍ وَيَغْفَرُ مُشْتَاقٌ أَضْرَبُ بِهِ الْبُعْدُ
تَمُرُّ اللَّيَالِي لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ وَذَكَرُكُمْ بَاقٍ يُجَدِّدُهُ الْعَهْدُ
وَلَكِنْ خَوْفَ الصَّبِّ أَنْ طَالَ هَجْرُكُمْ لَيَقْضِي وَلَا يَقْضِي لَهُ مِنْكُمْ وَعْدُ
عَشِثْتُ سَيُوفَ الْهِنْدِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهَا تُشَابِهُهَا فِي فِعْلِ أَلْخَاطِهَا الْهِنْدُ
وَلِي فِي الرَّمَاحِ السُّمْرِ سُمْرٌ لَا نَهَا تُشَابِهُهَا قَدْ دَأَّىهَا حَبْدُ الْقَدِّ

وفي الورد معنى شاهدٌ فوق خديها لنشاهدهُ فيها اذا عديم الوردُ
وبي من هواها ما جحدتُ وعبرتُ به عبرتي يوماً وما نفع الجحدُ
وقال مشتبهاً (من الطويل):

خليلي آتي قد بقيتُ مسهداً من الحب مأسور الفؤادِ مُقيّداً
محب فتاة يُخجلُ البدرَ وجهها ولا سيما في ليلِ شعرٍ اذا بدا
ضللتُ بها وهي الهللُ ملاحه فوا عجباً منه أضلُّ وما هـدى
لها مبسمٌ كالدرّ اضحى منظماً ونطقٌ كمثل الدرِّ أمسى مبدداً
ولما كان رشيد الدين في دمياط اتاهُ خبر والده انه كان مرض في القاهرة ثم
حظي بالعافية فكتب له (من الكامل):

قطرتُ عليَّ سحائبُ النماء منذ زال ما تشكو من البلواء
ولبستُ منذ ابصرتُ خطك نعمةً فيها اقوم لشكرها بوفاء

وقال ابن ابي اصيعة يذكُر اهل رشيد الدين فقال (٢٢٨: ٢): وجماعة اهل
الحكيم رشيد الدين ابي حليقة اكثر شهرتهم في الديار المصرية والشام ببني شاكر لشهرة
الحكيم ابي شاكر وسُنمته الذائعة فصار كل من له نسب اليه يُعرفون ببني شاكر وان
لم يكونوا من اولاده. ولما اجتمعتُ بالحكيم رشيد الدين ابي حليقة — وكان قد بلغه
انني ذكرتُ الاطباء المشهورين من اهلِهِ ووصفتُ فضلهم وعلوهم — تشكرُ مني
وتفضلُ فانشدتهُ بندياً (من السريع):

وكيف لا اشكرُ من فضلكم قد سار في المشرق والمغرب
تشرقُ منهم في سماء السلا نجومٌ سمعتُ قطُّ لم تقرب
قومٌ ترى اقدارهم في الوري بالعلم تسنو رتبة الكوكب

كَمْ صَنَعُوا فِي الطَّبْ كُنْبًا أَتَتْ بَكْلَ مَعَى مُبَدِعٍ مُغْرِبِ
وَأَنَّ شُكْرِي فِي بَنِي شَاكِرٍ مَا زَالَ فِي الْأَبَدِ وَالْأَقْرَبِ
خُلِدْتُ مَجْدًا دَائِمًا فِيهِمْ بِحُسْنِ وَصْفٍ وَتَمَّ طَيْبِ

وقد ذكر ابن أبي أصيبعة ولدًا لرشيد الدين يدعى أبا سعيد زاول الطبابة كاليه وقال عنه أنه أسلم في أيام الملك ظاهر بيبرس. وفي خطط المقرئ (٢: ٣٧٨) جاء ذكر ولد آخر لرشيد الدين لم يُسَمَّ دعاهُ عَلمُ الدين أبا نصر جرجس بن أبي حليقة روى عنه أنه خدم الملك الكامل وحضر وفاته

٤١ ابن مرتين

﴿زمنه وشعره﴾ هو شاعر نصراني أنشدني ذكره ابن العربي في مسامراته (٢: ٣١١ أو ٢٣٧) قال في باب العشاق والعشق. أنشدني ابن مرتين من هذا الباب يصف ما في الحب من الخير والشر من الحسن والضر (من الكامل):

الْحُبُّ فِيهِ حَلَاوَةٌ وَمَرَارَةٌ وَالْحُبُّ فِيهِ شَقَاوَةٌ وَنَعِيمٌ
الْحُبُّ أَهْوَاؤُهُ شَدِيدٌ قَادِحٌ وَالْحُبُّ أَصْغَرُ مَا يَكُونُ عَظِيمٌ
الْحُبُّ صَاحِبُهُ يَبِيتُ مُسَهَّدًا وَيَطِيرُ مِنْهُ فَوَّادُهُ وَيَهِيمُ
الْحُبُّ لَا يَخْفَى وَإِنْ اخْفَيْتَهُ إِنَّ الْبُكَاءَ عَلَى الْمَحَبِّ نَعِيمٌ
الْحُبُّ يُشْهَدُ صَادِقًا (١) فِي وَجْهِهِ عِنْدَ التَّنَفُّسِ أَنَّهُ مَهْمُومٌ
الْحُبُّ دَائِمٌ قَدْ تَضَمَّنَهُ الْحُشَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالضَّيْلُوعِ مَقِيمٌ

ولم نطالع على شيء آخر من شعر ابن مرتين. وإنما يؤخذ من ذكره في مسامرات ابن

العربي أنه عاش قبله أعني قبل القرن السابع للهجرة والثالث عشر للمسيح لأن ابن العربي توفي سنة ٦٣٨ هـ (١٢٤٠ م)

ثم وجدناه مذكوراً في كتاب المّري «نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب» (٢: ٨٨٩) حيث دُعي بالقائد ابن مرتين ويتبعين زمانه في عهد المعتمد على الله بن عبّاد صاحب اشبيلية (٤٦١—٤٨٤ هـ ١٠٦٨—١٠٩١ م) فيكون اذن من شعراء القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للمسيح

٤٢ ابن زطينا

﴿نسبه زمانه دينه﴾ وصفنا في المشرق (١٨ [١٩٢٠]: ٥٩٦—٦٠٧) كتاباً مخطوطاً قديماً من اواخر القرن الثالث عشر او اوائل الرابع عشر ونقلنا عنه هناك شذرات تاريخية بهمة . ففي الصحيفة الثانية عشرة منه ورد ذكر ابن زطينا فقال المؤلف في تاريخ سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٨ م): «وفي هذه السنة توفي ابو الفضل جبريل بن زطينا كاتب الديوان كان اولاً نصرانياً واسلم في ايام الخليفة الناصر لدين الله . ومنه يتخذ أنه عاش في اواخر القرن السادس للهجرة الى الربع الاول من القرن السابع . وانه كان نصرانياً . وأما اسلامه فنعرف انه لم يكن اختيارياً لما صار وقتئذ من الضغط على النصارى كما ورد في الكتاب المذكور (ص ٥٩٦—٥٩٧) عن ابن فضلان الذي كتب الى الخليفة الناصر لدين الله يحضه على مناهضة النصارى والضغط عليهم . ومن ثم لا ترتب في نظره بين النصارى . ويؤخذ من شعره انه عمر طويلاً

وقد ذكر المؤرخ المذكور الذي نقلنا عنه في تاريخ سنة ٦٣١ هـ (١٢٣٢ م ص ٧٩٥) ان هبة الله ابن زطينا خلف ابيه جبريل في الديوان ورُتب كاتب السكة وذلك بايعاز ابن حاجب قيصر النصراني كما يلوم في ذلك ابن رضوان . وهو دليل على نصرانية هبة الله وعلى ان اسلامه كان تظاهراً ليس - حقيقةً

﴿ادبه وشعره﴾ ورد ذلك في الكتاب المخطوط الذي اشرنا اليه فقال: وكان (ابن زطينا) ذا فضل وادب وله نظم ونثر واشياء مستحسنة ومن شعره قوله

يُحْضُ عَلَى التَّوْبَةِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ (من السريع) :

إِنْ سَهَرَتْ عَيْنُكَ فِي طَاعَةٍ فَذَاكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ نَوْمٍ
أَمْسُكَ قَدْ فَاتَ بَعْلَاتِهِ فَاسْتَدْرِكِ الْفَائِتَ فِي الْيَوْمِ
وَأَنْ قَسَا الْقَلْبُ لَا كِدَارَهُ فَصَفِّهِ بِالذِّكْرِ وَالصَّوْمِ
وَلَهُ فِي الْإِسْتِغَاثَةِ بِاللَّهِ عِنْدَ الْبَلِيَّةِ (من الوافر) :

إِذَا أَعْيَا عَلَيْكَ الْأَمْرُ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّ عَوَائِدُهُ جَمِيلِهِ
فَكَمْ مِنْ مَسْئَلِكٍ مَعَ ضَيْقِ سِلْكٍ تَحَلَّى وَأُسْتَبَانَ بِغَيْرِ حِيلِهِ
وَقَالَ يَذْكُرُ ضَعْفَهُ لَتَقْدُمِهِ بِالْعَمْرِ (من السريع) :

أُرِيدُ مِنْ نَفْسِي نَشَاطَ الشَّبَابِ وَدُونَ مَا أَبْغِيهِ شَيْبُ الْغُرَابِ
فَكَيْفَ وَالسَّبْعُونَ جَاوَزْتُهَا وَمُذْهَبُ الْعُمَرِ رُمِيَ بِالذَّهَابِ
وَمَطْلَبِي عَزَّ وَمَا دُونُهُ تَأْبَاهُ نَفْسِي وَأُمُورِي صِعَابُ
وَقَدْ تَحَيَّرْتُ وَلَا غَرَوُ أَنْ يَجَارَ مَنْ يَطْلُبُ مَا لَا يُصَابُ

٤٣ صاعد بن عيسى بن سمان

﴿زَمَنُهُ دِينُهُ شَعْرُهُ﴾ ورد ذكر صاعد في تاريخ كمال الدين ابن العديم الذي
عنوانه بغية الطالب في تاريخ حلب (Ms de Paris n° 726, ancien fonds, ff. 18^r) فقال هناك يذكر ابن سهلون :

« اسراييل بن سهلون ابو الحسن الطبيب الحلبي اظنه من نصارى حلب ظفرت
له بيتة من الشعر قرأته بخط بعض كتاب حلب مما اختاره من شعر صاعد بن عيسى
ابن سمان الكاتب النصراني الحلبي . فكان صديقه ابو الحسن اسراييل بن سهلون
الطبيب عمل بيتاً وهو (من الطويل) :

أَيَا طَيْفٍ مِنْ أَهْوَى تَسْرَبْتَ عِفَّةً وَاشْبَهْتَ فِي الْأَحْلَامِ فَمَلَكَ يَقْظَانَا

فاجابه يعني صاعد بن عيسى :

ولكننا متنا من الوجد قبل أن يُسلمَ دُجَيَّا (١) بالسلام فأحيانا
على مثل هذا الفعل كانت إمامةُ توأصلنا أحيانا وتهجرُ أحيانا
إذا كنتُ لألقاك في الدهر يقطرةً فيا ليت اتى ما عشتُ وسنانا
فن ذكر صاعد في تاريخ كمال الدين يتعين انه سبق هذا الكاتب المتوفى سنة
٦٦٠ هـ (١٢٦١ م). وقد سها عن ذكره محمد افندي راغب في كتابه اعلام النبلاء
بتاريخ حاب الشهباء.

٤٤ نصر الله الغفاري

﴿زمنه شعره﴾ ورد ايضاً ذكره في احد مخطوطات لندن الذي عنوانه كتاب
تذكرة العلماء والشعراء (Ms Br. Mas. 1108) للمملوك ثاني بك الخزندار فنظم
بين شعراء القرن الثالث عشر الميلاد نصر الله بن هبة الله الغفاري الكاتب الشاعر
النصراني وروى له من الشعر قوله في توبته عن شرب المدام (من الخفيف) :

أيها الخللُ خلني وهومي شغلتي ندامتي عن نديمي
عدي عني كأس المدام فاني تائب عن وصال بنت الكروم
ختم الله لي بخير فما لي ارب في رحيقها المختوم
انا لا اسمعُ الغناء فما لي ولثاني الثقيل والمزوم (٢)
قال ومن شعره ايضاً قوله في كذب النجمين (من الوافر) :

إذا حكم النجم في القضايا يحكم . جازم فأردد عليه
فليس بعالم ما الله قاض فقلدني ولا تركن اليه



(١) الدجى نسبة الى الدجّة وهي شدة الظلام

(٢) ثاني الثقيل والمزوم من الاصوات المعروفة عند المغنين وارباب الموسيقى

ملحق

بشعراء النصرانية بعد الاسلام

القسم الاول

نشر هنا فوائد شتى من زيادات وتنقيحات على الاجزاء الثلاثة السابقة من كتاب شعراء النصرانية بعد الاسلام. والاعداد تشير الى هذه الطبعة المفردة

ملحق بالشعراء المخضرمين

٢ الحارث بن كلدة (ص ٤-٧)

ورد في العقد الفريد لابن عبد ربه (ج ٣ ص ١٤٤ - ١٤٦) حديث للحارث بن كلدة مع كسرى انوشروان الفارسي رواه بعده ببعض التصرف ابن ابي اسبيعة في طبقات الاطباء (١: ١١٠-١١٢) وفيه دلالة على عقله وادبه ومعرفته بالطب كانت خاتمة كما جاء في العقد اذ قال كسرى: «الله درك من عربي لقد أعطيت علماً وخصصت به من بين الحمقى وفطنة وفهماً» ثم امر باعطائه ووصلته وقضاء حوائجه وقد ورد للحارث في رسالة الغفران لابي العلاء المعري (ص ١٦) قوله في صديق (من الوافر):

فما غسل ببارد ماء مزنٍ على ظمأٍ لشاربه يُشَابُ
بأشهى من لُقيكمُ البنا فكيف لنا به ومتى الإيابُ

الصفحة ٥ السطر ١٤-٢٠) هذه الابيات البائية المنقولة عن الحماسة البصرية المتضمنة الطيف عتاب ذكرت في شواهد الكشف للزمخشري وفيها بعض روايات كما ترى: البيت ٢ «فَأَعْتَبَهُمْ غَضَابُ» ٤ «أَعْيَرَهُمْ كَنَاءُ» اي تباعد - ٥ «لا يدوم له وصال» - وقد روى الزمخشري للحارث هذا البيت (ص ١١٧):

نَقَبُوا فِي الْبِلَادِ مِنْ حَذَرِ الْمَوْتِ وَجَالُوا فِي الْأَرْضِ كُلِّ مَجَالٍ
الصفحة ٦ س ٤-٥ روى صاحب الحماسة البصرية هذين البيتين للحارث بن كلدة وقدّم عليها بيتين آخرين:

أَنَّ اخْتِيَارَكَ لَا عَنْ خِبَرَةٍ سَلَفَتْ إِلَّا الرِّجَاءُ وَمِمَّا يُخْطِئُ الْبَصَرُ
كالمستغيث ببطن السَّيْلِ تَحْسَبُهُ جَزْراً يَبَادِرُهُ إِذْ بَلَغَهُ الْمَطَرُ
وهو يقدّم البيت الرابع «ان السعيد» على الثالث «لا اعرفنك» وقد روى «إذ أرسلت» «إذ لا تنفع»

ومما روّني للحارث ايضاً قوله يذكر الزبابة وهي الفارة البرية الصماء يشبه بها الرجل الجاهل (كتاب الحيوان للدميري ٢: ٤٠٥) من (مجزؤ الكامل):

ولقد رأيتُ معاشراً جمعوا لهم ألاً ووُلداً
وهمُ زَبَابٌ حَائِرٌ لَا تَسْمَعُ الْأَذَانُ رَعْدَا

٤ اكثمر بن صيفي (ص ١٠-١٤)

روى له الجاحظ في كتاب الحيوان (٣: ١٥٠) قوله (من المتقارب):

نُرْبِي وَيَهْلِكُ آبَاؤُنَا وَبَيْنَ نُرْبِي وَبَيْنَا فَنِيَا

٥ عبد المسيح بن بُقَيْلَةَ (ص ١٣-٢٠)

ص ١٥ س ١٩ الخ (اصمٌ ام يسمع) لهذه الابيات روايات مختلفة وقد روّيت

على غير ترتيبها . البيت ١ رواه النويري في نهاية الارب (٣: ١٢٩): «فَأَزَلَمَ بِهِ» —
٣ رُوِيَ فِيهِ: «آل ذَنْبِ بْنِ حَجَّجٍ»

الصفحة ١٦ س ٢ فِيهِ: «يَسْرِي بِالْوَسْنِ . . . يَجُوبُ فِي الْأَرْضِ عَلَى ذَاتِ شَجْنٍ» —
س ٣ فِيهِ: تَرْتَعْنِي — س ٤ فِيهِ: «تَأْفُفُهُ» بِالْقَاءِ — س ١٣ رَوَى الْمُرْتَضِي فِي أَمَالِيهِ (١):
(١٨٩) أَنْبَاءُ عِلَّاتٍ . . . فَجَفَنُوْهُ وَمَحْقُوْرٌ — س ١٤ فِيهِ: «فَجَفَنُوْهُ وَمَحْقُوْرٌ»

ص ١٨ س ١ (لَقَدْ بَنَيْتُ . . . حَصْنًا) رَوَى الْمُرْتَضِي فِي أَمَالِيهِ (١: ١٨٩): بَنَيْتُ . . .
قَصْرًا — ٢ رَوَى: بِهِ أَنْيْنُ

ص ١٩ س ٩ (تُرْوَحُ بِالْخَوْرَنْقِ) رَوَى السَّيِّدُ الْمُرْتَضِي فِي أَمَالِيهِ (١: ١٨٩):
تُرْوَحُ إِلَى الْخَوْرَنْقِ

ص ٢٠ س ٨ (نَلَتْ بُلُغَ الْمَزِيْدِ) رَوَى فِي الْمَرْصَعِ لَابْنُ الْأَثِيرِ (ص ٤١): فَوْقَ
الْمَزِيْدِ — س ١٠ (أَنَالَ بِالشَّرَفِ) رَوَى: أَنَالَ فِي الشَّرَفِ

٦ الْحُرْقَةُ هَنْدُ بِنْتُ النُّعْمَانِ (ص ٢٠—٢٩)

ص ٢٤ س ١٩—٢٠ (قَصَّةُ هَنْدٍ وَالْحَجَّاجِ) رُوِيَ هَذِهِ الْقِصَّةُ مَعَ تَفَاصِيلٍ أُخْرَى
فِي أَحَدِ . . . خُطُوطَاتِ مَكْتَبَتِنَا الشَّرْقِيَّةِ كِتَابِ الْحِكَايَاتِ وَالْعَتَابِ (ص ١١١—١١٢)
ص ٢٦ س ١٢ (صَانُ لِي ذِمَّتِي) يَرَوِي الْبَيْتَ: حَسَاطُ لِي ذِمَّتِي . . . الْكَرِيمُ
الْكَرِيمَا

ص ٢٧ س ٢٢ (قَصَّةُ الْحُرْقَةِ مَعَ سَعْدِ بْنِ وَقَّاصٍ) رَوَاهَا الشَّعْرِيُّ (شَرْحُ شَوَاهِدِ
لِلْغَنِيِّ السِّيَاطِي ١: ٢٤٦) مَعَ الْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ وَيَدْعُو الْحُرْقَةَ هُنَاكَ «الْحُرْقَةُ» بِالْخَاءِ
ص ٢٩ س ٩—١٣ (أَعْدَاءُ الْبَيْتِ) تَرَوِي هَذِهِ الْأَبْيَاتُ فِي حِمَاةِ ابْنِ قَتَامٍ (ص ٤٠٢)
لَعْنَتِي بَنَ مَالِكُ الْقَبْلِيِّ وَرَوَى الْبَيْتَ الْخَامِسَ: «وَلَمْ نَلْقَ رَحْلَيْنَا . . . جُوزَ اللَّيْلِ» قَالَ
«جُوزَ اللَّيْلِ وَقَدْ مِيلَهُ وَجَنُوفُهُ إِلَى الْمَغِيبِ»

— س ١٣ (وَلَمْ نَلَوْ رَحْلَيْنَا) وَيَرَوِي: «وَلَمْ نَلْقَ رَحْلَيْنَا وَأَمَلَّهَا الرِّوَايَةُ الصَّحِيحَةُ»

٧ الزبرقان (ص ٢٩-٣٧)

ورد في نقائض الفرزدق وجبر (ص ٩٠٥-٧٠٦ ed. Bervan) عن زوجة الفرزدق الملقبة بذات الحمار قال: «هي هُنَيْدَة بنت صعصعة عمّة الفرزدق اخوها غالب ابو الفرزدق وخالها الاقرع بن حابس بن عقّال المجاشعي وزوجها الزبرقان بن بدر» وقال ابن الاثير في كتاب المرصع (ص ٩١-٩٢ ed. Seybold): «سُميت بذات الحمار لوضعها خمارها بحضرة ابيها واخيها وخالها وزوجها» فقالوا لها: ما عهدناك متبرجة. فقالت: دخلتني الحيلة. حين رأيتمكم. فمن جاءت من نساء باربعة يحلّ لها ان تضع خمارها كاربعة جئت بهم فصرمتي (١) لها: الي صعصعة بن ناجية واخي غالب ابن صعصعة وخاله الاقرع بن حابس وزوجي الزبرقان بن بدر وما رواه الشعابي الزبرقان في كتابه احوال العالم في مخطوطات مكتبتنا الشرقية (ص ١٣) قوله (من الطويل):

اخوك الذي لا ينقض الدهر عهده ولا عن صروف الدهر يزور جانبه
وليس الذي يلقاك بالبشر والرضى وان غبت عنه تابعتك عقاربته
فخذ من اخيك العفو واغفر ذنوبه ولا تك في كل الامور تحاسبه

ثم ألحق هذه الابيات بثلاثة اخرى تروى في الاغانى (٣: ٢٧) وفي حماسه البعثري (العدد ٣٣٦) وفي غيرهما لبشار بن برد من قصيدة شهيرة قالها في مديح عمر بن هبيرة. وروى الديميري في حياة الحيوان للزبرقان قوله (من البسيط):

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتثقي مريض المستأسد الضاري
ص ٣٠ س ٢٢ (نحن الكرام ٠٠) يروى البيت ايضاً: فلا حي يقاومنا فينا
...العلاء

الصفحة ٣٢ س ١٥—١٦ (الطبري ٣: ١٩٢٤) يُصلح العدد: الطبري ١: ١٩٦٤
ص ٣٤ س ٣—١١ (قال دثار بن شيبان) الابيات الآتية رواها في نقائض جرير
والفرزدق (ص ٧١٤) ونسبها الى شيبان بن دثار التّمري. روى البيت الثاني : « بما
اجتمعت » ولم يرو البيت الاخير

ص ٣٤ س ١٢ (عامر بن بهدلة) وفي نقائض جرير والفرزدق يدعى عامر بن
أخيمر بن بهدلة

٨ عدي بن حاتم (٣٧—٤١)

لعدي بن حاتم الطائي اخبار كثيرة متفرقة في كتب الادب وقد ذكرنا منها ما
هو أثبت واصلق. راجع ايضاً العقد الفريد لابن عبد ربه (٣ : ١٤٨) ونهاية الارب
للنويري (٣: ١٥٨) وكتاب حسن الصحابة في اشعار الصحابة (ص ٣٨—٤٢)

ص ٣٩ س ١٢—١٧ (اجيبوا يا بني نُعل) هذه الابيات قد شرحها محمد
مستارلي جاني زاده في حسن الصحابة (ص ٤٠—٤٢) . وقد روى في البيت الثاني :
من بعد النقاء . قال : النقاء بالكسر واصله مقصور . وهو منخ العظام وشحمها من السمن
ص ٤٠ س ١٧ (كرم عدي) ما رويناؤه هنا عن كرم عدي نقلاً عن ابن قتيبة
ذكره ايضاً ابن عبد ربه مرتين في العقد في الجزء الاول (ص ١١٧) وفي الجزء الثالث
(ص ١٣١) . وقد روى البيت الثاني (١: ٤١) : كنصل السيف سُل من الخلل . وروى
البيت الثالث في الجزء الاول : « ليس تُعذَرُ بالعلل » وفي الجزء الثالث : ليس تغدر
بالعدل . وروى البيت الرابع : « فان تفعلوا شراً »

١٠ النجاشي الحارثي (٤٣—٥١)

قد وقفنا للنجاشي على مقاطيع اخرى غير التي ذكرناها . فمن ذلك ما ورد له في
نقائض جرير والاخلط (ص ١٢٩) يهجو بني العجلان (من الطويل) :

اذا الله عادى اهل لؤمٍ وردقةٍ فعادى بني العجلان رهط ابن مُقبل
 قبيصة لا يَغرِدونَ بذمةٍ ولا يَظلمون الناس حبة خردل
 وما سمي العجلان إلا لقولهم خذ الصحن فأحلب أيها العبد وأعجل (١)
 وروى له الجحظ في البيان والتبيين (٢: ٧٤) قوله لام كثير ابنة الصلت (من
 الطويل) :

ولست بهندي ولكن ضيقه على رجلٍ لو تعلمين مزي (٢)
 وأعجبنى للسطو والنوط والعصا ولم تعجبني خلة لاوير
 وفي الاخبار الطوال المدينوري ما رواه للنجاشي (ص ١٨٥) يذكر قتالا جرى
 بين جعدة بن هبيرة وعتبة بن ابي سفيان في صفين فانهزم عتبة وقال النجاشي (من
 البسيط) :

ان شتم الكريم يا عتب خطب فأعلمته من الخطوب عظيم
 أمه أم هاني وابوه من لؤي بن غالب لعميم
 انه للهيرة بن ابي وهب أقرت بفضلته مخزوم
 وقال ايضاً (من البسيط) :

ما زلت تنظر في عطفك أبهة لا يرفع الطرف عنك التيه والصف
 لما رأيتهم صبحاً حسبتهم أسد العرين حمى أشبالها الغرف (٣)
 ناديت خيلك أذعص السيوف بها عوجي الي فما عاجوا وما وقفوا
 هلاً عطفت الى قتلى مصرعة منها السكون ومنها الأزد والصدف

(١) وبرى . لقبهم . خذ القعب

(٣) النرف انواع من الشجر

(٢) الضيق الشك . والمزبر الدافع على الزبارة

قد كنت في منظر عن ذا ومستمع يا عتب لولا سفاه الرأي والترف
وروى له الدينوري أيضاً (ص ١٩٨) قوله يدح الاشترا لما قاتل اهل الشام ورد
لواءهم (من المتقارب):

رأيت اللواء كظل العقاب يُقحمه الشامي الاخر
دعونا له الكباش كبش العراق وقد خالط العسكر العسكر
فرد اللواء على عقبه وفاز بخطوتها (١) الاشرت

وجاء في كتاب وقعة صفين بعد البيت الاول :

كليث العرين خلال العجاج وأقبل في خيله الأبت
ثم زاد في آخرها :

كما كان يفعل في مثلها اذا تاب معصوب منكر
فان يدفع الله عن نفسه فحظ العراق بها الأوفر
اذا الاشرت الخير خالي العراق فقد ذهب الدرف والمنكر
وتلك العراق ومن قد عرفت كفع تبينه القرقر

الصفحة ٤٤٤س ١٧ (تعاف الكلاب) روى الحميري في زهرة الآداب (هامش عقد

الفريد ١: ٢١): وتأكل من عوف بن كعب بن نهشل

ص ٤٥س ١٨ (يا أيها الملك) ورد في ديوان الاخطل (ص ١١٢) البيت الاخير

من رائيته منسوباً للنجاحشي في هذه القصيدة وهو البيت الآتي :

قد أقسم المجد حقاً لا يحالفهم حتى يحالف بطن الراحة الشعر

ص ٤٨س ١٥ (دعاً يا معاوي) هذان البيتان اللذان نقلناهما عن المبرد رواهما

الدينوري في الاخبار الطوال (ص ١٧١) وقال ان النجاشي قالها ردّاً على ابيات كعب ابن جعيل ثم ألحقها بخمسة ابيات آخر وهي:

يَرَوْنَ الطَّعَانَ خِلَالَ الْعِجَاجِ وَضَرَبَ الْقَوَانِسَ فِي النَّقْعِ دِينَا
هُمْ هَزَمُوا جَمَعَ جَمَعَ الزُّبَيْرِ وَطَلْحَةَ وَالْمُعَشَرَ النَّاكِسِينَ
فَانْ يَكْرَهُ الْقَوْمُ مُمَالِكَ الْعِرَاقِ فَقَدِمَا رَضِينَا الَّذِي تَكْرَهُونَا
فَقُولُوا لِكَعْبِ اخِي وَاثِلِ وَمَنْ جَعَلَ الْغَثَّ يَوْمًا سَمِينَا
جَعَلْتُمْ عَلِيًّا وَأَشْيَاءَهُ نَظِيرَ ابْنِ هَنْدٍ أَمَا تَسْتَحُونَا

ومما يروى للنجاشي ايضاً ما قاله يوم صفين لما عزل علي الاشعث بن قيس واقام في مقامه حسان بن مخدوج (راجع كتاب وقعة صفين (ص ١٠٠) من الطويل):

رَضِينَا بِمَا يَرْضَى عَلِيٌّ لَنَا بِهِ وَإِنْ كَانَ فِيهَا يَأْتِ جَدْعُ الْمُنَاخِرِ
وَصِيُّ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ دُونِ أَهْلِهِ وَوَارِثُهُ بَعْدَ الْعُمُومِ الْإِكْبَارِ
رَضِي بَابِنِ مَخْدُوجٍ فَقُلْنَا الرِّضَى بِهِ رِضَاكَ وَحَسَانَ الرِّضَى لِلْعِشَائِرِ
وَالْأَشْعَثِ الْكَنْدِيِّ فِي النَّاسِ فَضْلُهُ تَوَارَثُهُ مِنْ كَابِرٍ بَعْدَ كَابِرِ
مَتَوَجُّجُ آبَاءِ كِرَامٍ اعْزَّةٍ إِذِ الْمُلْكُ فِي أَوْلَادِ عَمْرٍو بْنِ عَامِرٍ
فَلَوْلَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَفَضْلُهُ عَلَيْنَا لَا شَجِينَا حُرَيْثَ بْنَ جَابِرٍ
فَلَا تَطْلُبْنَا يَا حُرَيْثُ فَأَنَّنَا لَقَوْمُكَ دَرَّةً فِي الْأُمُورِ الْغَوَامِرِ
وَمَا بَابِنِ مَخْدُوجِ بْنِ ذُحْلٍ نَقِيضَةُ وَلَا قَوْمُنَا فِي وَائِلٍ بَعَوَائِرِ
وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا الرِّضَى بِابْنِ حُرَّةٍ أَشْمٌ طَوِيلٍ السَّاعِدِينَ مُهَاجِرِ
عَلَى أَنْ فِي تِلْكَ النُّفُوسِ حَزَازَةٌ وَصَدْعًا يُوَآبِيهِ أَكْفُ الْجَوَابِرِ (١)

الصفحة ٥٠ س ١-٧ (وماه كلون الغسل) هذه الابيات التي يخاطب فيها النجاشي الذئب تُروى في عدة كتب كالحاضرات للراغب الاصفهاني (٢: ٢٩٢) وكشرح شواهد المغني للسيوطي (ص ٢٣٩) وغيرهما. وروى الراغب (ر) البيت الاول: وماه كلون البول. . . جاوزته محل. ورواه السيوطي (س):

وماه قديم العهد بالورد آجن. يخال رضايا او سلاقا من العسل (كذا)

وروى س البيت الثاني: «لقيت . . . ضليع». وروى ر، س البيت الثالث: «هل لك في اخر» ثم روى ر «يؤاسي عليك بلا اثر ولا نحس». وروى ر البيت الرابع: «لم يأتقه تبع». وروى س البيت الخامس: «ولا مستطيفة» ثم روى ر: «وهاك اسقي». وروى ر البيت السادس: «من السجل». والصغور الجانب والسجل الدلو. وروى ر البيت السابع: «مطرب» فاستعوى. . . وعدت وكل.

١١ جحيمة بن المضرّب (ص ٥١-٥٥)

قد التبس علينا وعلى غيرنا هذا الاسم فرويناهُ جحيمة كما ورد في الاغاني الجزء الرابع (١١٨) وفي الجزء الحادي والعشرين (١٤-١٦) وفي فهارس الاغاني واهل الصواب جحيمة بتقديم الجيم كما جاء في تاج العروس (١٠: ٨٤) ص ٥٤ س ١٨-١٩ (بمنتهجات) ويروى: بمنتهجات. «ولم يدع» والصواب: «ولم يدع»

ص ٥٥ س ٧ (يصونون احساباً) ويروى: إحساناً

١٢ امرؤ القيس بن عابس (ص ٥٦-٦٠)

ص ٥٩ س ١٨-١٩ (رُبَّ خرق) هذا البيت من الخفيف لا من الرمل وقد ورد في معجم البلدان لياقوت (٣: ٨٢٩) ذكره هناك مع بيتين آخرين هكذا:

رُبَّ مِزْقٍ مِثْلَ الْهَلَالِ وَبَيْضَا
حَصَانٍ بِالْجَزْعِ مِنْ عَمَاسٍ

قد لثوا الله غير باغٍ عليهم واقاموا في غير دار أئتناس
فصبرنا صبرا كما علم الله م وكنا في الصبر أهل اياس

١٣ نائلة بنت الفرافصة (ص ٦٠-٦٣)

جاء في نقائض جرير والفرزدق (ص ١٩٠) «ان ايلي بنت الاحوص هي ام
بسطام بن قيس واخت فراصة الكلبي» فهي عمة نائلة بنت الفرافصة
الصفحة ٦٠ س ١١ (فتحنت) قد اصالح ابن عبد ربه (٣: ٢٧٢) رواية الطبري
فرواها: فتحنفت

— س ٢٠ (تحت ركايبهم) اصالح: تحث ركايبهم
ص ٦١ س ٢٢ (وتبكي قرابتي وقد غيبت) رواها ابن عبد ربه في العقد :
« وتبكي صحابتي وقد ذهبت »
ص ٦٢ س ٢٢ (دعت بفهر فهمت فاها) جاء في كتاب اخبار النساء لابن
تيمية (ص ٧٠):

« انه لما قُتل عثمان رضـا وقفت على قبره امرأته نائلة بنت الفرافصة الكلبي فترجعت عليه
ثم انصرفت الى منزلها ثم قالت: اني رأيت الحزن يبلى كما يبلى الثوب وقد خشيت ان يبلى حزن
عثمان من قلبي الخ... وخطبها... ماوية فبعثت اليها اسنانها وقالت: اذات عروس ترى. (وقالوا) لم
يكن في النساء احسن منها مضحكا »

١٤ ميسون الكلبيّة (ص ٦٣-٦٤)

ص ٦٤ س ١-٩ (لبيت تحفّق الارواح...) روي البيت الاول في غرر الخصائص
(ص ٣٧): «تحفّق الارياح» وروي فيه البيت الخامس: «وبكر يتبع الأطلال...
من بغل ردوف». وروي البيت السابع: «من عالج غنيف»

١٥ ابوزبيد الطائي (ص ٦٥-٩١)

ص ٦٧ س ١٧ (اعطيهم الود) رواه السيد المرتضى في اماليه (٤: ١٩٤):
«اعطيهم الجهد مني بله ما أسع»

الصفحة ٦٨ س ٢-٣ (ابن عريسة الخ) روى السيد المرتضى هذين البيتين:
 أبن عريسة عئابها أشب ودون غايته مستورد شرع
 شامي المبوط زناء الجامين متى تأنع بوادره يحدث لها فزع
 ص ٦٩ س ٦-٢٤ (تذكار الأسد...) هذا الوصف للأسد لابي زبيد الطائي
 ورد في تأليف عديدة غير التي ذكرناها كأما لي السيد المرتضى (٤: ١٩٤-١٩٥)
 وكتاب الف باء البلوي (١: ٣٨٥-٣٨٦) مع اختلافات في الروايات بعضها حسن
 وبعضها تصحيف نكتفي بالإشارة

ص ٧١ س ٤ (كالجحر المظلم) رواه البلوي: «كالجحر المشأم»
 — س ١٣ و ١٧ (قضا قض) رواه: «قضا قض» — س ١٥ (الاقران هطام)
 رواه: «هضام»

ص ٧٢ س ٥ (وعينان كالوقبين...) رواه الجاحظ في كتاب الحيوان (٤: ١٤٦)
 «في مل صخرة ترى تسعر»

ص ٧٦ س ١٦-٢٠ (يا ليت شعري) وجدنا في كتاب الحيوان الجاحظ (٤: ١٤٦ و ١٤٦)
 هذين البيتين لعلها من اصل هذه القصيدة وفيها وصف الاسد وهما:

كان عينيه في وقبين من حجر قضا اقتناصاً باطراف المناقير
 اذا تبهّس يمشي خلته وعثاً وهت سواعده من بعد تكسير

ص ٧٨ س ٣ (واستظل العصفور) روى الجاحظ في كتاب الحيوان (٥: ٧٣):
 «واستكن العصفور» — س ٥ (من سموم) روى الجاحظ: «كانها نفخ نار
 سجرتها الهجيرة العماء»

ص ٨٠ س ٢-٣ (تذب عنه...) رواه الجاحظ في كتاب الحيوان (٣: ٩٨):
 كذود العرس — وروى الشطر الاول من البيت التالي: «اذا وني ونية دلفن لها»
 — س ٦-٩ (ألا أبلغ...) هذه الابيات من بحر الوافر لا الطويل روى
 الثريشي في شرح المقامات (١: ٧٢) البيت التالي (س ٨):

فما انا بالضعيف فتظلموه ولا حظي اللقاء ولا الخسيس

ومنها بيتان روى أولهما الجاحظ في كتاب الحيوان (٤ : ٩٥) وثانيهما أبو العلاء المعري في كتاب الغفران (ص ١٠٨) :

يُحَجِّنُ كَالْمَحَاجِنِ فِي فَتُوحٍ يَقِيهَا قِصَّةَ الْأَرْضِ الدُّخَانِ
فَسَارَ الزَّاجِرُونَ فَزَادَ مِنْهُمْ تَقَرُّباً وَصَادَفَهُ ضَبِيسٌ

الصفحة ٨٢ س ١٥ النخ (خبرتنا الركبان) هذه الابيات ذكرت في كتاب شواهد الكشف (ك ص ١٠٠) وفي شرح شواهد المغني للسيوطي (ص ٢١٩). روى البيت الاول في الكشف : « خَبَرْنَا الرُّكْبَانَ أَنْ قَدْ فَخَرْتُمْ وَفَرَحْتُمْ »

ص ٨٣ س ٢ (هل علمتم) روى ك : « هَلْ سَمِعْتُمْ مِنْ مَعْشَرٍ شَافَهُنَا »
— س ٥ (ثم لا تشذرت وانا فت) قال السيوطي في شرحه : « تشذرت رفعت الحرب ذنبها . وانا فت رفعت رأسها »

ص ٨٣ س ٨ (ولقد قاتلوا) جاء في شرح شواهد الكشف بعد هذا قوله :
وَحَمَلْنَاهُمْ عَلَى صَعْبَةٍ زَوْ رَاءَ يَعْلُونَهَا بَغِيرٍ وَطَاءَ

— س ١٣ (ما اطاف الميس) روى ك : « مَا اطَافَ الْحَمِيسُ »
ص ٨٩ س ١٠ (من يكذني .) روي : « بشي . » وهو تصحيف . وهذا البيت يستشهد به النحويون لبيان كون فعل الشرط يكون مضارعاً وجوابه ماضياً

انتهت الملحوظات على القسم الاول من شعراء النصرانية بعد

الاسلام



القسم الثاني

ملحق بالشعراء الامويين

١ هذبة بن الخشرم (٩٥-١١٣)

الصفحة ٩٦ س ٢٠-٢١ (زيادة بن زيد) صهر هذبة بن الخشرم رويت له في كتاب مجموعة المعاني (طبعة الجوانب ص ٤٢) ابيات عينية حسنة اولها :
وقد ابرزت في الحروب مجرباً صليبا على وقع الحروب مشبعاً

ص ١٠١ س ٢-١٢ (ألا يا قومي) وردت هذه الابيات ايضاً في كتاب
الالفاظ لابن السكيت (ص ٤٥٨) وفي شرح شواهد المغني للسيوطي (س) (ص ٩٦).
س ٤ (فلا تتقي) روى السيوطي الشطر الاول : « فلا ذارجلال هبتة لجلاله — س ٧
(عدت) روى س : « لا يعير — ولا يسب به قبري » — س ١١ (رَمِينَا) روى س :
« فصاذف سَهْمُنَا منية نفس » — س ١٢ (وراءك من معدى) روى س : من معدى
ص ١٠٤ س ١ (يا ويل نفسي على غدي) روى س (ص ٩٧) : يا لهف نفسي
— س ١٢ (لقد زعمت) ذكر ابن السكيت في اصلاح المنطق اول هذه
الابيات :

أَتُنْكَرُ رَسْمَ الدَّارِ ام انت عارفُ ألا لا بل العرفانُ فالدمع ذارفُ
وفيا :

تَرى وَرَقَ الْفَتِيَانِ فِينَا كَأَنَّهُمْ دراهمُ مِنْهَا جَائِزَاتُ وَزَائِفُ (١)

راجع ايضاً ابن السكيت في تهذيب الالفاظ (ص ١٢١)
الصفحة ١٠٤ س ١٦ (هذبة بعث الى عائشة) وفي شرح شواهد الغني للسيوطي
(ص ٩٧): «بعث الى أم سلمة»

ص ١٠٥ س ٣ (ابن أم كلاب) قال ابن الاثير في المَرَصع (ص ١٨٨—١٨٩):
ابن أم كلاب هو رجل من المدينة عشقته حبي المدينة فتزوجته على كبر سنّها فضرب
بها المثل

ص ١٠٦ س ١٤ (وليس اخو الحرب ٠٠) رواه الاصبهاني في الراغب (٢: ١٠٣):
«اخو الحرب الغليظة ٠٠ اذا رَئيتُهُ الحرب ٠٠»

ص ١٠٧ س ١٧ (انّ حزناً انبدا بادى شراً) روي: «انّ حزناً منكما اليوم يسره»
ص ١٠٩ س ١٧ (طربت ٠٠٠) وردت ابيات من هذه القصيدة في العقد الفريد
لابن عبد ربّه (٣: ١٨٢)

ص ١١٠ س ٣ (فيأمن خائف) رواه في العقد: «ويأتي اهله الثاني الغريب»
ص ١١١ س ١٤ (وبعض رجاء المرو) روي البيت في نهاية الارب المنويري (٣):
(١١١) لهزمة بن الحشرم بتصحيف اسم هذبة وهو يزوي: «ليس نائلاً عناء وبعض
اليأس اعفى»

٢ موسى بن جابر (ص ١١٣-١١٨)

في كتاب محاضرات الراغب الاصبهاني (١: ١٥٧) ورد ذكر عمرو بن جابر
الحنفي اخي موسى وروي له بيتاً في وصف عدو يكاشر عدوه اذا حضره (من
الوافر):

يكاشرني وأعلم أنّ كلاًنا (كذا) على ما ساء صاحبه حريص

٣ شمعلة التغلبي (ص ١١٨-١٢١)

ص ١١٩ س ٢٠ (روي المبرد هذا الخبر ونسبه الى عبد الملك) وهكذا وجدناه

منسوباً الى عبد الملك في كتاب الوزراء والكتّاب للجهمياري المطبوع حديثاً (ص ١٠٠)

(١٨٩) وروى البيت الاول لشعلة : « وضربة بالرجل متى تهافتت . . . ولا نكر »
وروى البيت الثاني : « وانَّ امير المؤمنين وفعله »

٤ . اعشى بني تغلب (ص ١٢٢-١٢٩)

ذُكر في لسان العرب (١٧ : ٨٠ في مادة نوم) بيت لعمر بن الايهم وهو

نَعِمًا فِي بَشْرَةٍ مِنْ طِلَاءٍ نَعِمَتِ النَّيْمُ مِنْ شِبَا الزَّمِيرِ

قال المصحح في الهامش : « قوله الايهم في التكملة في مادة هيم ما نصه : واعشى بني تغلب اسمه عمرو بن الاهيم » قلنا : لم نجد في غير هذا المكان ما يؤيد زعم المصحح .
راجع ما قلناه عن اسم الاعشى التغلبي ونسبه (ص ١٢٢)

ومما يروى للتغلي في الصحاح وفي اللسان في مادة « نما » قوله (من الوافر) :

وقافية كأنَّ السمَّ فيها وليس سليمها ابداً بنامي
صرفتُ بها لسانَ القومِ عنكم فخرتُ للسنابك والحوامي
قال : النامي الناجي . وروى له النويري في نهاية الارب (٢ : ٥) (من الطويل) :
وكانوا أناساً ينفحون فأصبحوا واكثرُ ما يعطونك النظرُ الشَّرُّ

٥ . اعشى بني ربيعة (ص ١٢٩-١٣٥)

الصفحة ١٣٠ س ٣ (دخل على عبدالله والصواب : على عبد الملك بن مروان الخليفة الاموي . وقد كُتِبَ الخليفة الاعشى بابي عبدالله

— س ١٨ (قدم اعشى بني ربيعة على عبد الملك بن مروان) زاد ابن عبد ربه في العقد الفريد (١ : ١١٨) : وعن يمينه الوليد وعن يساره سليمان فقال له عبد الملك : ماذا بقي يا انا المغيرة ؟ قال : مضى ما مضى وبقي . . . وانشأ يقول . . .

— س ٢٠ (وما انا في امري) روى في العقد الفريد : « وما انا في حقي »

ص ١٣١ س ١ — (ولا مسلم مولاي) روى في العقد : « من سوء ما جنى . . من

سوء ما اجني » — س ٢ روى في العقد : « وانَّ فؤادي » — س ٣ وروى الشطر الاول :

« وفضلي في الاقوام والشعر اني » — س ٤ روى : « واني وان فضلت » ثم روى قول عبد الملك لولديه الوليد وسليان : « أتلوماني على هذا ؟ »

١٠ القطامي التغلبي (ص ١٩١-٢٠٣)

الصفحة ٢٠٠ س ٤-١٤ (واني وان كان المسافر) وردت هذه الابيات في زهر الاداب للحصري (الطبعة الجديدة ٣ : ٧١-٧٢). روى البيت الثاني : « يجسر ما رأى » وهو تصحيف — س ٦ روى الحصري : « أُخْبِرَكَ الْأَنْبَاءُ — س ٧ روى : « تَلَقَّتُ فِي ظِلِّ » — س ٩ (تصلّي) روى بعد هذا البيت :

فَجِئْتُ إِلَيْهَا مِنْ دَلَاصِ مُنَاخَةٍ وَمِنْ رَجُلٍ عَارِي الْأَشَاجِعِ شَاخِبِ
سَرَى فِي جَلِيدِ اللَّيْلِ حَتَّى كَأَنَّمَا تَحْرَمُ بِالْأَطْرَافِ شَوْكَ الْعُقَارِبِ
تَقُولُ وَقَدْ قَرَّبْتُ كُورِي وَنَاقَتِي إِلَيْكَ فَلَا تُذْعِرْ عَلَيَّ رُكَّائِي

ص ٢٠١ س ١-٣ (من المشتري القدر) روى الحصري : من المشتري القدر — س ٢ روى : عليّ مبيت السوء.

١٣ العجاج بن روبة (ص ٢٢٨-٢٣٨)

ص ٢٣٠ س ٢ (الحمد لله الذي اعطى الشبر) هو البيت الذي اسندنا اليه قولنا بأن العجاج كان يدين بالنصرانية في اوائل حياته. وقد اعترض علينا السيد المغربي في جريدة الف باء الشامية (عدد ٩ حزيران ١٩٢٥) بأجبتنا على اعتراضه وبيننا جنبابه الاسباب الاربعة التي حتمت علينا على نظم بين شعراء النصرانية بعد الاسلام (في المشرق ٢٣ [١٩٢٥]: ٥٥٨) ثم فيه ٢٤ [١٩٢٦]: ٨٠)

ص ٢٤٨ س ٧ (فما فجع الاقوام من رزئها لك) هذا تصحيف والصواب : من

رَزَّءَ هَالِكٍ

القسم الثالث

ملحق بشعراء الدولة العباسية

٥ الموصلي النصراني (ص ٢٥٤)

ص ٢٥٤ س ١٣-١٦ (عدي ونعيم) هذه الابيات التي رواها البيهقي للموصلي النصراني وجدناها في نفح الطيب للمقري (١: ٥١٣) منسوبة الى شاعرة نصرانية قال: «نشدنا الامام اللغوي رضي الدين ابو عبد الله محمد بن علي بن يوسف الانصاري الشاطي زينب بنت اسحاق النصراني الرّسعيّ نذكرها هنا بحرفها ويا ليتته زادنا علماً عن زينب النصرانية المذكورة :

عَدِيٌّ وَتَيْمٌ لَا أُحَاوِلُ ذِكْرَهُمْ	بُسُوٌّ وَلَكِنِّي مُجِبٌّ لَهَا شَمِ
وَمَا يَعْتَرِينِي فِي عَلِيٍّ وَرَهْطِهِ	إِذَا ذُكِرُوا فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَا تَمِ
يَقُولُونَ: مَا بَالُ النَّصَارَى تَحِبُّهُمْ	وَأَهْلُ النَّهْيِ مِنْ أَعْرَبٍ وَأَعَاجِمِ
فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنِّي لَا أَحْسَبُ حُبَّهُمْ	سَرَى فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ حَتَّى الْبَهَائِمِ

٦ بش بن هارون (ص ٢٦٢-٢٦٣)

جاء في كتاب جامع التواريخ لابي علي المحسن التنوخي المتوفى سنة ٣٨٤ هـ (٩٩٤م) (في الصفحة ٥٢ ed. Margoliouth) : أنشدني ابو نصر بشر بن هارون الكاتب النصراني البغدادي لنفسه في ابي رفاعه بن كامل احد خلفاء القضاة ببغداد على سوادها (من الوافر) :

قَضَى شَعْرِي عَلَى الْقَاضِي بِحُكْمِ	أَجَابَ إِلَيْهِ مَصْفُوعًا مُذَالَا
وَلَوْ لَمْ يَسْتَجِبْ لَنَتَقْتُ مِنْهُ	سِبَالًا إِنْ وَجَدْتُ لَهُ سِبَالَا
وَنَتَفُ سِبَالَهُ شَيْءٌ مُحَالٌ	لَأَنَّ الْخَلْقَ صَيْرُهُ مُحَالَا

قال: وانشدني لنفسه في شعبان سنة ٣٥٩ هـ (٩٧٠م) في رئيسين صرف احدهما بالآخر (من الوافر):

مضى من كان يُعطينا قليلاً واوفى من يَشِيعُ على القليلِ
واحسبُ ان سيمَلِكُنَا مُكْدًى متى اطرَدَ القياسُ على الدليلِ
فقل للفاطمي لَقَد تَمَادَتْ اناؤْتُكَ في الحلول وفي الرحيلِ
فحُثَّ السَّيْرُ علَّ الله يَهْدِي شِفَاءً مِنْكَ للبلدِ العليلِ

١٠ عيسى بن فرُّخْنِشاه (ص ٢٦٣-٢٦٦)

ص ٢٦٤ س ٢٢ (ذكر له الصابي) والصواب: ذكر له الصولي. وقد جاء في كتاب الاعجاز والايجاز للعالبي (طبعة مصر ١٨٩٧ ص ١٣): عيسى بن فرُّخْنِشاه وزير المعتز كان يقول: القلمُ الرديُّ كالولد العاق. قال ابن عباد: وكالاخ المشاق. وكان عيسى يقول لا اشكر لحظة واشكو لفظه

١٢ ابن بطلان الملتطِّب (ص ٢٦٦-٢٧٧)

ذكر محمد افندي راغب الطباخ في تاريخ حلب (٤: ١٩٤-١٩٦) فصلاً في عناية ابن بطلان ببناء البيمارستانات بانطاكية وحلب
ص ٣٧٠ س ٩ (وفاة ابن بطلان) ذكرنا اختلاف الكتبة في تعيين سنة وفاة ابن بطلان بين السنة ٤٤٤ و٤٦٣ هـ (١٠٥٢-١٠٧٠م). وذكر الطباخ في تاريخ حلب (٤: ١٩٦) ان ابن بطلان توفي بانطاكية يوم الجمعة ٨ شوال سنة ٤٥٨ (١٠٦٦م) والله اعلم

ومن الشعر المنسوب الى ابن بطلان ميميَّة في وصايا طبيَّة اوَّلها:

احفظ بنيَّ وصيتي واعمل بها فالطبُّ مجموعُ بُنْصٍ كلامي

رواها ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء (١: ٢٩١) قال انها نسبت الى الرئيس

ابن سينا والى ابن بطلان والصحيح انها لمحمد بن مجلي بن الصائغ العنزي

١٤ عون الراهب (ص ٢٧٨-٢٧٩).

وردت في كتاب ادب الكاتب للصولي (ص ٨١) ابيات في انقام انشدها عون
ولعله عون الراهب المذكور هنا

١٩ امين الدولة ابن موصلايا (ص ٢٨٣-٢٨٨)

هذا ما كتبه ابن الميسر في آخر الجزء الثاني من اخبار مصر (ص ٩٩ ed.
: Massé)

« امين الدولة ابو سعد العلاء بن ابي علي الحسن بن وهب بن الموصلايا كاتب الانشاء بدار
الخليفة ببغداد . كتب للقائم وقتدي واستظهر (أصلح : وللمقتدي والمستظهر) خمسا وستين سنة
وكان ابتداء خبره منه في أيام القائم سنة ٤٣٢ ومات في ١٨ جمادى الاولى سنة ٤٩٩ هـ
(١١٠٦ م) بعد ما أخر وكان ممالي (يُملي) على ابن اخيه ابي نصر وكان نصرانياً فاسلم في أيام
المنندي على يده ولم يزل موقراً وناصب في الوزارة وله شعر وكان قد جمع من (بين) حسن
الخط والبلاغة ولد ليلة السبت ١٦ شوال سنة ٤١٢ هـ (١٠٢١ م)

٢١ ابو غالب ابن الاصباغي (٢٩١-٢٩٢)

اسمه عبيد الله بن هبة الله كما جاء في وفيات الاعيان لابن خلكان (١٧: ٢)
الصفحة ٢٩١ س ٢١ (عقرتهم معقورة) ذكر المقرئ في نفع الطيب (١: ٤٤٦) ابياتاً
لاي بكر محمد بن زهر في وصف الحمرة :

وَمُوسِدِينَ عَلَى الْأَكْفِ خَدَوَدَهُم	قَدْ غَالَهُم نَوْمُ الصَّبَاحِ وَنَالَتِي
مَا زِلْتُ اسْتَقِيمُهُمْ وَاشْرَبُ فُضْلَهُمْ	حَتَّى سَكَرْتُ وَنَالَهُمْ مَا نَالَتِي
وَالْحَمْرُ تَعْلَمُ كَيْفَ تَأْخُذُ نَارَهَا	أَنِّي أَمَلْتُ إِنْاءَهَا فَأَمَّالَتِي

ثم قال ووزعم ابن خلكان (١١ : ٢) أنَّ ابن زهر أَلَمَ في الابيات المذكورة

يقول الرئيس ابي غالب عبيد الله بن هبة الله، ثم ذكر الابيات وروى البيت الاول:
«عاقرتهم مشولة» وروى البيت الثاني: «ذكرت حفاثدها»

٢٨ ابو الفرج يحيى ابن التلميذ (ص ٣١٠-٣١٤)

وصف ياقوت في معجم الادباء. أبا الفرج بن التلميذ فقال (٧: ٢٨٢): كان اديباً شاعراً وكان مقيماً باصبهان مقرباً عند الامراء والاعيان وقصده الشريف ابن الهبارية الاديب الشاعر فأكرمه وجباه وحصل له بواسطته من الامراء والاكابر مال عظيم فدخله بعدة قصائد. توفي ابو الفرج معتمد الملك سنة ٥٥٩ (١١٦٤ م)
ص ٣١١ س ١٣ (فا ان تفارق) روى في معجم الادباء. «فا ان تفارقه» (كذا) وقد روى له ياقوت هناك هذين البيتين (من السريع):

ما هذه الدنيا لطالبها إلا بلاء وهو لا يدري
اذا قبلت فسدت امانته او اديرت شغلته بالفكر

٢٩ هبة الله بن التلميذ (ص ٣١٥-٣٣٤)

وصفه ياقوت في معجم الادباء (٧: ٢٤٣) وصفاً جميلاً فذكر معرفته باللغات الفارسية واليونانية والسريانية وتضلعه بالعربية وذكر نظمه الفائق وتقدمه عند الخلفاء. وعلو مكانته لديهم وانه «عمر طويلاً نبيه الذكر جليل القدر وانه كان مقدماً للنصارى في بغداد ورأسهم ورئيسهم وقسيسهم وكان حسن العشرة كريم الاخلاق ذا مروءة وسخاء حلو الشائل كثير النادرة وكان عييل الى صناعة الموسيقى ويقرب اهله» وذكر له شعراً (٢٤٦-٢٤٧)

٣٤ يحيى بن ماري (ص ٣٤٧-٣٥١)

ذكره ياقوت في معجم الادباء (٧: ٢٩٥) وقال فيه انه توفي بالبصرة ثم روى له في الاقتصاد (من الكامل):

نعمَ المعينُ على المروءة للفتى
لا شيءُ انفعُ للفتى من ماله
واذا رمتُهُ يدُ الزمانِ بسهمه
(قال) وله ايضاً (من الكامل) :

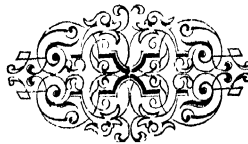
لاموا على صبِّ الدموع كأنهم
كفؤوا فقد وعدَ الحبيبُ بزورةٍ
لا يعرفون صبابتي وولوعي
وروى ايضاً (من الخفيف) :

نفرتَ هندُ من طلائعِ شيبي
هكذا عادةُ الشياطينَ ينْفَرُ
واعترتها شامةٌ من وجومي
نَ اذا ما بدتْ نجومُ الرجومِ

٣٥ . بنو مماتٍ النصارى الاقباط (من ٣٥٨ - ٣٥٩) .

ذكر محمد افندي راغب الطباخ في تاريخ حلب (٤ : ٣٢٢) اسعدَ بن ماتي واتسع
في ذكره وروى شيئاً من شعره في وصف الثلج (ص ٣٢٧ - ٣٢٨)

انتهى



فهرس

القسم الثالث من شعراء النصرانية

شعراء الدولة العباسية

رقم	اسم	رقم	اسم
٣٩٣٠٢٧٨	١٤ عون الراهب	٢٤١	
٢٧٩	١٥ ابن مَرْغَرِ الاشبيلي	٢٤١	١ ابو قابوس
٢٨١	١٦ زبيد النصراني	٢٤٨	٢ اسحق بن حنين
٢٨٢	١٧ ربيب النصراني	٢٥٠	٣ سعيد التستري
٢٨٢	١٨ سعيد النصراني	٢٥٣	٤ ابو الحسن بن غسان
٣٩٣٠٢٨٣	١٩ العلا بن الموصلاني	٣٩١٠٢٥٤	٥ الموصلاني النصراني
٢٨٨	٢٠ ابو نصر بن موصلاني	٢٥٤	٦ يحيى بن عدي
	٢١-٢٢ ابو غالب وابو طاهر	٢٥٦	٧ ابو تمام الطائي
٣٩٣٠٢٩١	ابن الاصباغي	٢٦٠	٨ ثابت بن هارون
٢٩٢	٢٣ ابن باني	٣٩١٠٢٦٢	٩ بشر بن هارون
٢٩٦	٢٤ ابن ابي سالم	٣٩٢٠٢٦٣	١٠ عيسى بن فرخانشاه
٢٩٨	٢٥ ابو الفتح بن صاعد	٢٦٦	١١ ابن بطريق
٣٥٩	٣٦ الاسعد بن عتال	٣٩٢٠٢٦٦	١٢ ابن بطلان المتطبب
٣٦٢	٣٧ ابن ابي الشناء ابن كاتب قيصر	٣٠٠	٢٦ ابن ابي الخير سلامة الدمشقي
٣٦٤	٣٨ اخوه علم الدين ابن ابي الشناء	٣١٨	٢٧ جرجس الانطاكي
٣٦٤	٣٩ ابو الربيع سليمان المارداني	٣٩٤٠٣١٠	٢٨ ابو الفرج يحيى ابن التلميذ
٣٦٧	٤٠ رشيد الدين ابو حليقة	٣٩٤٠٣١٥	٢٩ هبة الله بن التلميذ
٣٧١	٤١ ابن مرتين	٣٣٥	٣٠ محفوظ النيلي
٣٧٢	٤٢ ابن زطينا	٣٤١	٣١ سعيد النيلي
٣٧٣	٤٣ صاعد بن عيسى بن سمان	٣٤٢	٣٢ ابن اصطفانوس الرومي
٣٧٤	٤٤ نصر الله الففاري	٣٤٣	٣٣ القس يعقوب المارداني
٣٧٥	ملحق بالشعراء المخضرمين	٣٩٥٠٣٤٧	٣٤ يحيى بن ماري
٣٨٨	ملحق بالشعراء الامويين	٣٩٥٠٣٥١	٣٥ بنو ماتي النصراني الاقباط
٣٩١	ملحق بالشعراء العباسيين	٢٧٨	١٣ صاعد بن شماس

La collection de ces fragments forme un ensemble assez suggestif et nous fait connaître l'activité de ces poètes, qui se sont essayés dans tous les genres cultivés par leurs congénères : épîtres dédicatoires, odes diverses, élégies, satires, poésies morales ou badines, et cela parfois avec finesse et bonheur. C'est ce qui leur a valu l'honneur d'être cités par les auteurs musulmans, qui d'ordinaire n'ont de préférence que pour ceux de leur culte. Cela explique aussi pourquoi dans leur choix, ils ont omis tout ce qui porte une trace de Christianisme.

Nous avons aussi rangé parmi les chrétiens quelques poètes, contraints par des mesures vexatoires de passer à l'Islâm, de l'aveu même des historiens musulmans.

Ce fascicule se termine par un certain nombre d'additions, de notes et de rectifications, suggérées par des publications récentes ou de nouvelles recherches; elles embrassent les trois Périodes étudiées jusqu'ici, depuis l'hégire jusqu'à la fin de la Période Abbasside.

Les Poètes chrétiens des époques postérieures feront l'objet d'études subséquentes.

Beyrouth
3 Décembre 1926.



LES POÈTES ARABES CHRÉTIENS APRÈS L'ISLAM

3^e FASCICULE

Période Abbasside



C'est un nouveau spécimen de Littérature arabe chrétienne que nous offrons à nos lecteurs d'Orient et aux Orientalistes d'Europe. Il fait suite aux deux fascicules précédents et contient les notices et les poésies de 44 auteurs chrétiens qui ont fleuri sous le règne des Califes abbassides en Syrie, en Egypte ou en Mésopotamie.

Sans doute beaucoup de ces poètes n'ont ni le renom, ni le génie poétique ou la fécondité de leurs contemporains de l'Islâm ; nous ne retrouvons parmi eux aucun poète de la valeur d'Ahtal ou de Qatâmi ; mais ils ne méritent pas moins la reconnaissance de la Littérature arabe classique, qu'ils ont cultivée avec soin, malgré le peu de moyens dont disposaient les chrétiens au Moyen-Age.

Je vais plus loin ; je dirai même qu'ils méritent d'autant plus notre reconnaissance, que leurs œuvres ne sont que les épaves d'un grand naufrage où ont péri de riches trésors littéraires soit à cause de l'état d'avilissement où s'est trouvé le Christianisme sous les dynasties musulmanes, soit par la négligence des chrétiens à recueillir les productions littéraires de leurs coreligionnaires, soit surtout par la perte des bibliothèques chrétiennes, détruites par les guerres, le pillage, l'incendie des couvents et plus encore par le fanatisme religieux de leurs adversaires.

Ce qui est certain c'est que nous n'avons là que les faibles restes d'un héritage poétique aujourd'hui perdu. Ce sont de simples fragments éparpillés dans les ouvrages d'auteurs musulmans, noyés dans leurs récits et d'où il a fallu les extraire et non sans peine, comme des perles de leur nacre.

